



جامعة الكوفة-كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

**البحث الدلالي في تفسير ابن عطية (ت 546 هـ)
(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**

**رسالة تقدمت بها
الطالبة**

رسل عباس محمد شيروزة

إلى

**مجلس كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
هي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها**

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري

أذار 2011م

ربيع الأول 1432هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَيَسِّرْ لِي ﴾

﴿ أَمْرِي ﴾ ﴿ وَالْحَلِّ عَقْطَةً ﴾ ﴿ مِنْ لِسَانِي ﴾ ﴿ بِفَقْرِي ﴾

﴿ قَوْلِي ﴾

(طه : 25 - 27)

صدق الله العظيم

الإهداء

إِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ نَبْعٌ فَإِنَّكَ ، أَنْتَ يَا مَوْلَايَ
مَنْبَعُهُ ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَجْدِ جَمْرٌ ، قَسَمًا
أَنْتَ يَا مَوْلَايَ مَصْدَرُهُ ، إِنِّي قَصَدْتُكَ بِجَهْدٍ رَجَوْتُ بِهِ ، أَنْ
يَرْضَى الْعَبْدُ سَيِّدَهُ .

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إِلَى مَنْ رَبَّنِي صَغِيرَةً ، وَأَجَابَتْنِي
سَائِلَةً ، وَسَلَكْتُ بِي مَسَالِكَ الْهُدَى هَادِيَةً ، وَتَوَجَّهْتَنِي
بِتَاجِ الْعِلْمِ مَشْكُورَةً ، فَوَالَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ سَبْعَةَ ، إِنِّي
عَنْ شُكْرِهَا عَاجِزَةٌ .

أُمِّي

إِلَى مَنْ رُوْحُهُ رَافَقَتْنِي بِرِحْلَتِي ، إِلَى مَنْ صَوْتُهُ مَا غَابَ عَن
مُخْبِلَتِي .

أَبِي

إِلَى شَمْسِ الضُّحَى ، وَبَدْرِ الدُّجَى
وَسُنْدِي غَمْدِي .

إِفْوَتِي

شكر وعرافان

أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ الدكتور عبد الكاظم الياسري شاكرة الله تعالى أن منّ عليّ سبحانه بلطفه وكرمه للعمل مع الأستاذ عبد الكاظم الياسري وإنجاز هذا العمل ، إن هو إلا فرع طيب وجهد كريم من أصل أطيب وأكرم إذ أغدق عليه من علومه ومعرفته ما يجعلني أقف موقف الممتن المقر بالفضل الجزيل أمام حضرته . وأخص بالشكر الجزيل عمادة كلية التربية الموقرة ورئيس لجنة الدراسات العليا وأعضاءها ورئاسة قسم اللغة العربية وأساتذته المحترمين مدّ الله ظلهم وأعزهم وسدد خطاهم .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدّ يد العون لي وأسدى لي معروفاً أو مشورة أفاد منها البحث وأخصّ بالشكر خدمة العلم الذين أسهموا إسهاماً فاعلاً في بلوغي غايتي ، ألا وهم موظفو مكتبة الإمام الحكيم " قدس الله سره الشريف " ومكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة الإمام الحسن " عليه السلام " ومكتبة قسم اللغة العربية في كلية التربية للبنات، وفقهم الله ورعاهم لخدمة العلم والباحثين من بعدنا . ومما لاشك فيه أن لعائلتي الكريمة الفضل الكبير في تحقيق حلمي بمساندتهم وسعيهم في تخفيف المصاعب بشدهم على يدي ومؤازرتهم لي فكانوا خير سند لي في مسيرتي .

الباحثة

المحتويات

المقدمة :-	أ- ج
التمهيد :- أولاً - ابن عطية ومنهجه في التفسير :	1 - 42
1- اسمه ، نسبه ، كنيته :	1
2- مولده:	2
3- نشأته :	2
4- شيوخه :	2 - 2
	3
5- تلاميذه:	4
6- مكائته العلمية، وأقوال العلماء فيه :	5 - 6
7- نشاطه العلمي:	7 - 11
8- وفاته :	12
9- مؤلفاته :	13
ثانياً منهجه في التفسير :	14 - 42
اسم التفسير و نسبته لمؤلفه :	14
أ - موضوعاته :	14 - 15
ب- منهجه :	16 - 42
الفصل الأول : الأثر الصوتي والصرفي في الدلالة :	42 -
	103

المبحث الأول : الدلالة الصوتية : -	43
أولا- تخفيف الهمزة وتحقيقها :- -43	51
ثانيا : التخفيف والتشديد :- - 52	56
أ- المبالغة :- -52	54
ب- التكثير : - - 55	56
ثالثا: الإبدال :- - 57	68
أولا : - الأبدال بين الصوامت : - -57 -63	
1-الإبدال في فاء الكلمة :- -57	60
2-الإبدال في عين الكلمة :- -60	62
3-الإبدال في لام الكلمة :- -62-64	
ثانيا : - الإبدال بين الصوائت :- - 64 - 67	
1- الإبدال بين الكسر والفتح :- -64 -65	
2- بين الفتح والضم :- -65-66	
3- بين الضم والكسر :- -67	
المبحث الثاني : الدلالة الصرفية :- -68 -104	
أولا - الدلالة الصرفية في الأسماء :-..... -69 - 91	
1- المشتقات :-.....-69 - 81	

- أ- اسم الفاعل :- 69- 73
- ب - صيغ المبالغة :-..... 74- 82
- 1- فَعَال :- 74- 77
- 2- فَعُول :-..... 78
- 3- مِفْعَال :-..... 79- 80
- 4 - فَعِيل :-..... 81
- 2- دلالة المصدر :-..... 82- 89
- أ- ما ورد من المصادر على صيغة فَعَال :-..... 82- 85
- ب- ما ورد من المصادر على صيغة فَعْلان :-..... 85- 87
- ج - الوصف بالمصدر :-..... 88 - 90
- ثانيا - الدلالة الصرفية في الأفعال :-..... 91- 104
- أبنية الأفعال :-..... 91
- الأفعال المزيدة :-..... 91- 104
- 1- الأفعال المزيدة بحرف واحد :-..... 91- 95
- أ- فعل وأفعل :-..... 91 - 94
- ب- فعل وفعل :-..... 94- 95
- 2 - المزيد بحرفين :-..... 96- 102
- أ- فعل و تفعل : -..... 96- 98
- ب- فعل و افتعل :- 99- 102
- 3-المزيد بثلاثة أحرف :- 102- 104
- أ- استفعل :- 102- 104
- الفصل الثاني :- البحث الدلالي في التركيب :-..... 105- 141
- المبحث الأول :- التقديم والتأخير : - 107- 117
- المبحث الثاني :- دلالة الحذف:-..... 118- 125
- المبحث الثالث :- دلالة أساليب الكلام :-..... 126- 141

أولا- الخبر: -	130 -125
1- دلالة الخبر على الأمر :-	128 -126
2- دلالة الخبر على التقريع والتوبيخ :-	128
3- دلالة الخبر على الاحتقار:-	128
4- دلالة الخبر على الوعيد :-	130 -129
5- دلالة الخبر على التحسر والتلهف :-	130 -129
ثانيا : الإنشاء :-	141 -131
أولا - دلالة الأمر :-	136 -131
1- دلالة الأمر على الخبر :-	133 -131
2- دلالة الأمر على الإباحة :-	134
3- دلالة الأمر على التقريع :	136 -135
4- دلالة الأمر على الاستهزاء :	136
5- دلالة الأمر على التحذير :-	137
ثانيا : الاستفهام :-	141 -137
1- دلالة الاستفهام على التوبيخ والتقريع :-	138
2- دلالة الاستفهام على التقرير :-	139 -138
3- دلالة الاستفهام على الإنكار :-	139
4- دلالة الاستفهام على التكذيب والاستهزاء :-	141 -140
الفصل الثالث :- المظاهر الدلالية:-	185 -142
المبحث الأول :- التطور الدلالي :-	162 -142
أ- تخصيص الدلالة :-	150 -143
ب- تعميم الدلالة :-	156 -151
ج- تغيير المجال الدلالي :	162 -157
المبحث الثاني :- الترادف :	167 -163
المبحث الثالث :- المشترك اللفظي :-	175 -168

185-176	المبحث الرابع :- الأضداد :-
187-186	الخاتمة
213 -188.....	المصادر
AB	ملخص باللغة الإنجليزية

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا متصلا ما اتصل الليل والنهار إذ أنزل ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : 2) وصلى الله على خير خلقه ومُبلِّغ رسالته محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الغر الميامين الذين مَنَّ الله علينا بهم وجعلهم أنوارا بعرشه محدقين.

أما بعد :

إن القرآن الكريم الذي أنزل على خير البشر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك الكتاب العظيم الذي بهر العقول وأسرى النفوس وأنس القلوب وشفقت آياته الأسماع واهتدت به الإنسانية بعد الضياع، فأهبط معجزة شرفت بها الصحراء فكان يد رحيمة للفقراء والضعفاء وعزة ومنعة للسادة والشرفاء ، وسوط من نار على الجبابرة والطغاة فضاخوا به ذرعا وتناوشوه بأباطيلهم وأشرعوا بوجهه سيوفهم ولكنهم لم يصمدوا طويلا فسرعان ما تهاووا أمامه مهطعي رؤوسهم لما فيه من الإعجاز والعظمة فجاء معجزا ببلاغته ولغته وتشريعه إذ حمل رسالة سماوية رائدة وخالدة مدى العصور، فأصبح محط أنظار الدارسين ومحط رحالهم ، فتناولوه بالبحث والدراسة ولم يتركوا زاوية من زواياه إلا وأخضعوها للدراسة ، فكانت عصارة تلك الجهود الجبارة طائفة من التفاسير القيّمة وكان من بينها تفسير آبن عطية الأندلسي (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) فكان من التفاسير الجديرة بالتقدير إذ أفنى فيه المفسر حياته وتوجه به لوجه الله تعالى وخدمة لكتابه العزيز ، فكان ذلك حافظا حدا بي إلى أن أوجه وجهي إليه قاصدة أبوابه مستجلية حقائق الأمور التي جاء بها ذلك السفر الجليل .

وبعد أن عقدت العزم وتوكلت على الله (عزّ وجل) في دراسة الموضوع بدأت بقراءة دقيقة ومتأنية للمحرر الوجيز- والذي هو محور دراستي - ووقفت على مواضع الدلالة فيه ، وبعد إتمام مرحلة جمع مادة البحث كان المنهج الذي انتهجته في الرسالة منهجا وصفيا تحليليا .

ومن ثم كانت خطة الرسالة تبدأ بتمهيد سلطت فيه الضوء على حياة المفسر ومنهجه في التفسير وعنوان الفصل الأول كان (الأثر الصوتي والصرفي في الدلالة) وتضمن هذا الفصل مبحثين درست في الأول علاقة الصوت بالمعنى وأثره في تغيير دلالة الألفاظ ، أما المبحث الثاني فخصصته لدراسة الدلالة الصرفية .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان (الدلالة التركيبية) وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، المبحث الأول وقفت فيه على دلالة التقديم والتأخير والثاني درست فيه دلالة الحذف والثالث درست فيه دلالة أساليب الكلام .

وكان الفصل الثالث (الظواهر الدلالية) في أربعة مباحث فكان في الأول التطور الدلالي للألفاظ والثاني درست فيه ظاهرة الترادف في اللغة والثالث درست فيه المشترك اللفظي والرابع درست فيه ظاهرة التضاد .

وأعقبت هذه الفصول خاتمة جاءت بأهم النتائج التي توصل إليها البحث ومنها: أن ابن عطية كان عالماً متعدد الاتجاهات فلم يكن مفسراً فقط وإنما كان شاعراً وأديباً وعالماً بالفقه واللغة فضلاً عن التفسير الذي قدم لنا من خلاله هذا الكتاب الكبير الذي يعد موسوعة علمية ضم كثيراً من المعارف والعلوم .

إن شخصية ابن عطية العلمية كانت مثار إعجاب العلماء في عصره ومن جاء بعدهم يدل على ذلك كلمات الثناء والمدح التي ذكرها فيه علماء عصره المشهورون وأثنوا فيها على علمه وفقهه وشاعريته .

ظهر من خلال البحث أن كثيراً من علماء التفسير قد أفادوا مما ورد في تفسير ابن عطية من آراء وأفكار نقلوها عنه ولم يشر كثير منهم إليها مما يدل على سعة علمه وقدرته الفكرية الكبيرة حيث ترك أثراً كبيراً فيمن جاء بعده .

وكتشف البحث عن طائفة من الأغراض الدلالية التي أشار إليها ابن عطية وهي تتحقق بأسلوب التقديم والتأخير مثل : التخصيص والعناية بالمقدم وتقديم السبب على المسبب ، وتبين في البحث طائفة أخرى من الدلالات التي أشار إليها ابن عطية في وقوفه على أسلوب الحذف كالإيجاز وفهم السامع والمبالغة والإبهام والتخويف والتخفيف وغيرها ، وكان ابن عطية يفيد في بحثه من الظواهر اللغوية مثل الترادف والتضاد والمشارك من الأصول المعجمية للألفاظ ومتابعة تطورها في مسيرة استعمالها للوصول إلى الدلالات التي أرادها التعبير القرآني .

وتلت الخاتمة قائمة بروافد البحث التي توزعت بين كتب اللغة والنحو والمعاجم والتفسير والقراءات وكتب المعاني وطائفة كبيرة من الدراسات الحديثة التي تنوعت بين كتب حديثة ورسائل وأطاريح جامعية وبحوث لأساتذة من ذوي الاختصاص ومن ذلك كتاب سيبويه وشرح

المفصل لأبن يعيش وشرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترأباضي أما المعاجم فتصدرها كتاب العين وجمهرة اللغة وتهذيب اللغة والصاح ومقاييس اللغة ولسان العرب ، وكتب المعاني تمثلت بمجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش ، والتفاسير كان منها تفسير الطبري والطوسي والزمخشري والطبرسي والألوسي والطباطبائي وغيرها . ولم يخلُ الأمر من الصعوبات التي واجهتها في دراستي هذه ، فكانت شديدة الحذر في دراسة الآيات القرآنية و تحليلها وذلك خوفا من الوقوع في الخطأ ، فضلا عن ذلك صعوبة الحصول على المصادر والمراجع التي بمقدورها النهوض بمستوى البحث إلى الأفضل وخاصة في ظل الأخطار المحدقة ببلادنا . غير أن الله (عزّ وجلّ) بعنايته يسر لي العسير وأدنى لي البعيد وسهل لي قصدي أن وفقني ومنّ عليّ بأستاذ كريم فاضل تمتع بسعة صدره ، وغزارة علمه وطيب خلقه ، وطول صبره ، ورصانة ملاحظه القيمة التي سددت لي خطاي في مسيرة البحث حتى صار بهذه الصورة التي بين أيديكم هو أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري .

وأتوجه بخالص الشكر والامتنان للسادة رئيس لجنة المناقشة وأعضائها لمشاركتهم إياي في بذل الجهد الخالص لوجه الله تعالى في قراءتها وتصويب هئاتها ولتثريهم لنا بحضور المناقشة للإدلاء بما لديهم من آراء وتوجيهات علمية ترفع من شأن الرسالة لتنهض بها إلى مصاف البحوث الأكاديمية الجديرة بالاحترام والتقدير ، ولتكون واحدة من الرسائل التي ستزدان بها المكتبة القرآنية إلى مصاف الدراسات القرآنية الكريمة .

وفي الختام أقول : إني أتوجه بكل ما بذلته من جهد إلى وجه الله (عزّ وجلّ) وخدمة لكتابه العزيز فإن وفقني بما قدمته من جهد فمن الله التسديد ومن أستاذي الكريم وإن زلت قدمي في بعض المواطن فذلك من نفسي ، وأرجو الله أن يوفقني لكل ما يحب ويرضى .
وآخر دعوانا أن الحمد لله أولا وأخرا .

الباحثة .

التمهيد

﴿ابن عطية ومنهجه في

التفسير﴾

المحور الأول : ابن عطية اسمه ونسبه .

المحور الثاني : منهجه في التفسير .

أولاً : ابن عطية :

1- اسمه ، نسبه ، كنيته :

هو (عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله ابن تمام بن عطية بن خالد بن مالك بن عطية بن خالد بن عطية بن خفاف بن أسلم بن مكرم بن محارب بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وكنيته أبو محمد)⁽¹⁾ ولُقِبَ بالغرناطي نسبة إلى (غرناطة)⁽²⁾ ووقع ثمة خلاف بين من ترجموا له في سلسلة نسبه فذكر الذهبي (ت 748 هـ) أنه (عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية)⁽³⁾

وذكر ابن فرحون اليعمري : (ت 799 هـ) أنه : (عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي)⁽⁴⁾ نسبة إلى محارب قيس⁽⁵⁾ .

وذكر أحمد صادق الملاح أنَّ اسمه : (أبو محمد عبد الحق بن الفقيه الإمام الحافظ أبي بكر غالب ابن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن خالد بن عطية وهو الداخِل إلى الأندلس)⁽⁶⁾ - ابن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي - من ولد زيد بن محارب بن حفصة ابن عيلان [ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان]⁽⁷⁾

ومن خلال ماتقدم من الخلاف في سلسلة نسبه فالراجح ما ذهب إليه أحمد صادق الملاح محقق التفسير وذلك لاستناده إلى نسخة خطية للتفسير بخط ابن عطية جاء فيها اسمه ونسبه فضلاً عن مطابقته لما جاء في كتاب ابن عطية (الفهرس) ، فهذا حقيقة ما جعلنا نميل إلى ما جاء به أحمد صادق الملاح في مقدمة تحقيقه للتفسير .

(1) الفهرس : عبد الحق بن عطية الأندلسي : 10 ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : أحمد بن يحيى ابن عميرة الضبي 376 ، الصلة : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال : 338 /2 ، الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب 3 /412 ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري : 174 ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : 73 /2

(2) ظ: طبقات المفسرين : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي : 158

(3) تاريخ الإسلام : أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي : 3756 /1

(4) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 174

(5) ظ : الأعلام : خير الدين الزر كلبي : 52/4

(6) (الذي كان له شرف المشاركة في حمل راية الجهاد إلى أرض الأندلس) : (الإحاطة في أخبار غرناطة 3/

540 ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 75 /2)

(7) المحرر الوجيز : تحقيق : أحمد صادق الملاح : 4-3 /1 (مقدمة التحقيق) .

2- مولده :

اتفق أكثر المؤرخين من الذين ترجموا لابن عطية على أن ولادته كانت في سنة (481 هـ)⁽¹⁾ وقد خرج على هذا الذهبي والسيوطي وذهبوا إلى أن ولادته كانت في سنة (480 هـ)⁽²⁾ والراجح ما اتفق عليه أصحاب التراجم من أنه ولد سنة (481 هـ) لأن هذا يمثل اتفاق العلماء على هذا التاريخ ولا يعتد بما ذكره الذهبي والسيوطي لأن الفارق هو سنة واحدة .

3- نشأته :

نشأ ابن عطية في أسرة أشتهر أسلافها بالعلم والدين والفضل ، وكان أجداده من العلماء المشهورين في زمانهم في مختلف العلوم والمعارف وقد برز منهم طائفة من العلماء في ميدان الفقه والأدب فمنهم : (غالب بن تمام بن عطية (ت 400 هـ)⁽³⁾ والفقيه (العالم الزاهد الورع عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي (ت 468 هـ)⁽⁴⁾ (والإمام الحافظ المتقن أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي (ت 518 هـ) والد العلامة المفسر عبد الحق)⁽⁵⁾ .
ففي هذا الجو العلمي الديني نشأ ابن عطية ونهل علومه من تلك الينابيع فكانت نشأته علمية خالصة ، وكان خير تلميذ لخير معلم هو والده أبو بكر بن غالب وفضلا عن أسرته فقد ترعرع في جو علمي وثقافي وأخذ عن عدد من العلماء في مختلف ميادين العلم والمعرفة .

4- شيوخه :

ذكر أصحاب التراجم أن ابن عطية أخذ عن أبيه ، وغيره من العلماء وكان من أشهر الذين أخذ عنهم :

1- الشيخ الجليل الصالح أبو محمد عبد العزيز بن عبد الوهاب بن أبي غالب القيرواني (ت 495 هـ) 0⁽⁶⁾

(1) ظ : بغية الملتبس : 376 ، البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي : 1 / 9 ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 174 تاريخ قضاة الأندلس : ابن حسن النباهي : 141 - 142 .
(2) ظ : تاريخ الإسلام : 1 / 3756 ، طبقات المفسرين : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : 16-17
(3) الفهرس : عبد الحق بن عطية الأندلسي : 10
(4) الصلة : 2 / 338
(5) ظ : الفهرس : 94
(6) ظ : المصدر نفسه ، تاريخ الإسلام : 453

2- الشيخ الآجل المشاور أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشَّعبي - رحمه الله -
(ت497هـ)⁽¹⁾

3- الفقيه المشاور الفاضل أبو عبيد الله محمد بن فرج القرطبي ويعرف بابن الطلاع قرطبي الأصل كان زعيم المفتين في وقته ، حافظاً للفقهِ على مذهب الإمام مالك وأصحابه حاذقاً للفتوى شديداً على أهل البدع (ت 497 هـ)⁽²⁾ .

4- الفقيه الإمام الحافظ أبو علي الغساني ، كان مقدماً في الأدب والشعر واللغة والنسب والغريب (ت498 هـ)⁽³⁾

5- الشيخ الجليل الصالح المقرئ أبو الحسن علي بن خلف بن ذي التَّون بن أحمد بن عبد الله ابن هُذيل بن جحيش بن سنان العبسي (ت 498 هـ)⁽⁴⁾

6- الفقيه الإمام الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيَّون الصدفي السرقسطي كان ذا دين وورع (ت 514 هـ)⁽⁵⁾

7- الفقيه الأستاذ الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ، كان أوحده زمانه اتقاناً ومعرفةً ، مع انفراد بعلم العربية ومشاركة في علم الحديث ومعرفة رجاله ونقلته (ت 528 هـ)⁽⁶⁾

فكان لتلك النخبة المميزة أثر بارز في شخصية ابن عطية حتى جعلت منه موسوعة علمية كتب لها التقدم في العلوم الفقهية والعربية وقد أتت عليه الأوائل والأواخر من العلماء والأدباء فتناقلت كتبهم ثناءهم عليه وعلى إنجازاته العظيمة في مختلف المجالات العلمية والأدبية وستذكر لاحقاً .

(1) ظ : الفهرس : 96-99

(2) ظ :المصدر نفسه : 91

(3) ظ :المصدر نفسه : 76-79

(4) ظ :المصدر نفسه: 96

(5) ظ: الفهرس : 99

(6) ظ: المصدر نفسه : 101

5- تلاميذه :

ابن عطية من العلماء المشهورين وقد أثنى كثير من العلماء على قدرته وعلمه وأصبحت له مكانة كبيرة بين علماء عصره فلا غرابة أن يكون مجلسه قبلة لطلاب العلم والمعرفة وقد تلمذ على يديه عدد من العلماء وأخذوا عنه مختلف العلوم والمعارف ومن أشهر من تلمذ له :

1- أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري المروي البلنسي الأصل (ت 581 هـ) (كان من أئمة أهل القرآن ، مع المعرفة الكاملة بالنحو والبراعة في فهم أغراض أهله متحققا بكتاب سيبويه ، مع مشاركة في الحديث ، تلا على أبي القاسم بن ورد وغيره وروى عن... عبد الحق بن عطية...)⁽¹⁾

2- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أبي عيسى القاضي الإمام الحافظ أبو القاسم بن حبيش الأنصاري الأندلسي (ت 584 هـ) ⁽²⁾ ، كان بارعا في الحديث والعربية ، واللغة و الأدب والبلاغة والبيان وله كتاب (المغازي)⁽³⁾ .

3- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي القرطبي (ت 592 هـ) كان أمهر أهل عصره في علم النحو ، وعلوم الحساب والهندسة والأصول⁽⁴⁾

4- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي يعرف بابن الفرس الغرناطي (ت 597 هـ) كان بارعا بالفقه والأصول والعربية واللغة وألف كتابا في أحكام القرآن⁽⁵⁾ .
القرآن⁽⁵⁾ .

6- أبو بكر بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن أبي جمرة المرسي (ت 599 هـ) كان أمما فقيها حافظا بصيرا بمذهب مالك لقي ابن عطية وناولته تفسيره وأذن له بالرواية عنه⁽⁶⁾

(1) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 353 /1

(2) ظ: المصدر نفسه : 85/2

(3) ظ: سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي : 264/21

(4) ظ : الدباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 47 ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 307/1

(5) ظ : تاريخ قضاة الأندلس : 142 ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 116 /2

(6) ظ : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : 233 /1

وقال عنه ابن فرحون⁽¹⁾ (ت 799 هـ) : (كان القاضي عبد الحق فقيهاً ، عالماً بالتفسير ، والأحكام ، والحديث والفقه ، والنحو واللغة والأدب ، مقيداً حسن التقييد ، له نظم ونثر ، ولّى القضاء بمدينة المريّة وكان غاية في الدهاء ، والذكاء ، والتهمم بالعلم ، سريّ الهمّة في اقتناء الكتب ولما ولي القضاء توخى الحق ، وعدل في الحكم وأعزّ الخطة) .

وقال عنه السيوطي⁽²⁾ (ت 911 هـ) : (أُلّف تفسير القرآن العظيم ، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها) .

إن هذه الأوصاف التي ذكرها أكابر العلماء في شخصيته تدلّ دلالة كبيرة على المكانة الكبيرة التي تمتع بها هذا الرجل في مختلف ميادين العلم والمعرفة وأنّ شهرته هي التي دفعت هؤلاء الأعلام إلى أن يثنوا عليه وعلى جهوده العلمية ، وقد شغل القاضي عبد الحق منصب القضاء في (المريّة) عام (527 هـ)⁽³⁾ .

(1) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 175

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 73 / 2

(3) ظ: تاريخ الإسلام : 3756 / 1

7- نشاطه العلمي :

سبقت الإشارة إلى أن ابن عطية كان موسوعة علمية في مختلف الميادين وله نشاط علمي كبير وذكرنا أنه تلمذ على عدد من شيوخ عصره المشهورين وأخذ عن طائفة من العلماء وقد أظهر نشاطا واضحا في ميدان التدريس وكانت حلقة العلمية تغص بطالبي العلم وخاصة في ميدان التفسير والقراءات فضلا عن اشتهاؤه بهذا الميدان ، فقد كان أديبا شاعرا وناثرا وله كثير من الشعر والنثر وسوف نقف عند نشاطه في ميدان الشعر والنثر والتأليف العلمي .

أ- شعره :

كان ابن عطية أديبا لامعا فصيح اللسان له موهوباً كبيرة في نظم الكلام بأسلوب يدل على قدرته البلاغية وفصاحته وقد أختير قاضيا في أكثر من مرة وأستطاع أن ينجح في هذه المهمة - وهذا بشهادة من ترجموا له - بفضل ما يملكه من ثقافة وقدرة كلامية وبلاغية وفضلا عن ذلك فقد كان شاعرا وناثرا يدل على ذلك ما وصل إلينا من شعره ونثره الذي ذكرته المصادر التي ترجمت له وتحدثت عن نشاطه وثقافته وقد أورد صاحب القلائد أشعارا لآبن عطية في مختلف الأغراض الشعرية من (المديح ووصف الطبيعة والشكوى) ومن أمثلة ذلك قوله في المديح⁽¹⁾ 0

وأعتزّ تحت لوائك

الإسلام

لما أنجلى بـb

ك الإظلام

ما ضاع عندك للتغور ذمام

وصمدت معتزماً، وسعدك منهضٌ نحو العدى ودليلك الإقدام

ضاعت بنورٍ إيابك

الأيام

أما الجميع ففي أعم

مسرة

بادرت أجرك في الصيام

مجاهداً

(1) ظ: قلاند العقيان ومحاسن الأعيان : 3 / 660

وقال في وصف الطبيعة: (1)

نرجسٌ باكرتُ منه روضةً لذَّقَطْعِ الدَّهْرِ ِ فيها
وَعَذْبُ

حَثَّتِ الرِّيحُ بِهَا حَمْرَ حَيَاً رَقَصَ النَّبْتُ لَهَا ثَمَّ
شَرِبُ
فَعْدَا يُسْفِرُ عَن وَجْنَتِهِ نُورُهُ العَضُّ وَيَهْتَرُ
طُرِبُ

خَلَّتْ لَمَعِ الشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ لَهْباً يَحْمَلُهُ مِنْهُ لَهَبُ
وَبِياضِ الطَّلِّ فِي صُفْرَتِهِ نَقَطَ الفِضَّةِ فِي خَطِّ الذَّهَبِ
ووصف الليل بقوله: (2)

وليلةٌ جُبْتُ فِيهَا الجَزَعُ مُرْتَدِيَاً بالسيفِ أُسْحِبُ أذيالاً مِنَ الظلمِ
وَالنَّجْمُ حَيْرَانٌ فِي بَحْرِ الدُّجَى عَرَقُ والبرقُ فِي طيلسانِ اللَّيْلِ كالعِلمِ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ زَنْجِيٌّ بِكَاهِلِهِ جَرِحَ فَيَثْعَبُ أحياناً لَهُ بِدَمِ
وله أبيات في الشكوى: (3)

دَاءُ الزَّمَانِ ِ دَاءُ يَعِزُّ لَهُ العِـلَاجُ
وَأَهْلُهُ
أَطْلَقْتَ فِي ظِلْمَائِهِ وَذَا كَمَا سَطَعَ السَّـرَاجُ
لصحابةٍ أعيى ثِقَا فِي من قناتِهِ ِمُ
إِغْوَجَاجُ

أَخْلَقَهُمْ مَاءً صَفَا مَرَأَى ، وَمَطَعَهُمْ أَجْجَا
كَالدُّرِّ مَا لَمْ تَخْتَبِرْ فَإِذَا اخْتَبِرْتَ فَهُمْ زُجَاجُ

(2) المصدر نفسه .

(1) قلاند العقيان ومحاسن الأعيان : 656/3

(2) المصدر نفسه : 670/3

ويبدو مما تقدم أن ابن عطية كان شاعراً بارعاً له يد في النظم وذلك بشهادة معظم من ترجم له فجاءت قصائده تضم أرقى أساليب البيان العربي فزخرت بالتنسيهات والاستعارات والكنائيات التي سخرها الشاعر لخدمة قصائده⁰ واستعان ابن عطية بطبيعة الأندلس الغناء في استيحاء معاني قصائده فلجأ إلى الرياض وأزهارها وإلى الليل وظلامه ولعله في وصف الليل يُذكرنا بأبيات امرئ القيس ومالها من إرتباط وثيق بحالته النفسية التي أنهكتها حوادث الزمان وأكداره⁰ وتمكن ابن عطية من الربط في شعره بين الإنسان والطبيعة التي من حوله ويبدو هذا واضحاً عندما شبه ظلام الليل برجل (زنجي) أسود اللون وعندما أضفى فعل (الرقص والشرب) على النبات الذي حركته الريح وأضفى فعل (الغرق) على النجم وغيرها⁰

وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن ابن عطية كان يمتلك شخصية واقعية التجأت للواقع الذي تعيش فيه لتجعل منه مادة لشعرها بعيدة عن الخيال والأساطير التي تخلق جواً من التعقيد والغموض بل على العكس تماماً كانت غاية ابن عطية الوضوح في قصائده والكشف عن المعاني ووصولها إلى المتلقي بصورة سلسلة بعيدة عن التعقيد فضلاً عن أن أشعاره كانت لها نصيب من شخصية ابن عطية فمن يطلع على أشعاره يلمس نغمة الفخر والإباء⁰ وتتضح هذه النغمة في مختلف الأغراض التي طرقها ابن عطية في أشعاره وليس هذا فحسب بل كان للسيف شأن كبير في أشعاره فيردد ذكره دائماً في قصائده ولم يكن السيف وحده الذي حظي بذلك الاهتمام بل كان يكثر من ذكر الحرب وأسمائها وآلاتها المختلفة فكانت خير دليل على شخصيته المحاربة وكذلك تضمنت قصائده معاني إسلامية وأخلاقية تكشف عن كونه عالماً فقيهاً ورجل قضاء⁰

ب- نشره :

لأبن عطية رسائل أكدت كونه نائراً إلى جانب شاعريته كما ذكرت معظم كتب التراجم التي ترجمت له 0

وكانت معظم رسائله من الرسائل الاخوانيه (تلك الرسائل التي تكتب إلى الأصدقاء في أمور وقضايا اجتماعية مختلفة وغالباً ما تكون بين الأدباء أنفسهم أو بينهم وبين أصدقاء لهم من القضاة والعلماء وغيرهم)⁽¹⁾

وتكتب رسائلهم الإخوانية في مناسبات متنوعة فمنها ما كُتِبَ في المدح والثناء والمباركة في الأفرح والتعازي في الأحزان والهجاء في حالات العداوة والمخاصمة والاعتذار والعتاب في حالات الوشاية من الآخرين في شخص ما 0 وبذلك توسع نطاق الرسائل الإخوانية التي ترسل إلى الملوك والأمراء والقواد ولم تعد تقتصر على الأصدقاء فقط 0 أمّا الأغراض التي كُتِبَت بها الرسائل الإخوانية لم تبتعد عن أغراض الشعر بل نجدها هي نفسها الأغراض كُتِبَت نثراً 0

ولم يحاول الكتاب الفصل بين الأدب بل على العكس من ذلك تماماً جاءت معظم رسائلهم مذيبة بقصائد شعرية امتزجت مع نص الرسالة وأصبحت جزءاً منها ولم تتوقف عند هذا الحد المحاولات التي كانت غايتها المزج بين الشعر والنثر بل تعدتها إلى إستيحاء معاني الأبيات الشعرية وكتابتها نثراً ، وليس هذا فحسب بل عملوا على تضمين رسائلهم معاني قرآنية

(1) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : حازم عبد الله خضر : 159

مستوحاة من القرآن الكريم فإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على براعة الأديب وتنوع ثقافته ومن الشواهد على ذلك ما كتبه ابن عطية للأمير عبد الله بن مزدلي معزيا له بمصاب أخيه الأمير محمد قائلا : " أدام الله تأييد الأمير الأجل ، محروسة بحسام القدر جوانبه ، مكتنفة بجنن السعد مذهبه ، سارية مسرى الأنجم مراتبه وأطال بقاءه جابر صدوع الرياسة عند انفصامها وخلف سلف النفاسة ووسطى نظامها ، ولازال يوزن به الأوائل فيرجح ، ويعارض بغرته بهيم النوائب فيصبح . كتبته - أعلى الله يدك - عن فؤاد دام ودمع هام ، ولب حائر وقلب في جناحي طائر 0000"⁽¹⁾

ماتقدم كان جانبا من رسالته التي تمثلت بمعظم ما ذكرناه من إستيحاء للمعاني الشعرية وتوظيفها لصياغة العبارات النثرية ومن ذلك قوله : " قلب في جناحي طائر " فقد استوحى ابن

عطية معناه من قول الشاعر عمران بن حطان :⁽²⁾

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي

طائرٍ

واستشهد برسالته المذكورة بقول أبي تمام قائلا:⁽³⁾

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها : من تحت أخمصك الحشر
فاحتوت بذلك رسالته على أكبر عدد من المعاني التي كان مصدرها الشعر ويتضح لنا من خلالها أن شخصية ابن عطية الشعرية قد طغت على نتاجه النثري فلم يستطع التخلص منها في كتاباته بل كانت ملازمة له ، لذلك كانت شديدة الوضوح في أعماله النثرية 0

(2) قلاند العقيان ومحاسن الأعيان : 663/3

(1) بلاغات النساء : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور : 173

(2) شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي : أبو حجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم

الشننمري: 312 /2

8- وفاته :

لم يتفق العلماء الذين ترجموا لابن عطية على السنة التي توفي فيها وقد أشارت المصادر إلى هذا الاختلاف وقد أفرز لنا هذا الخلاف ثلاثة آراء مختلفة يمثل كل واحد منها رأي جماعة من علماء التراجم وعلى النحو الآتي :

- 1- الأول : أن وفاته كانت في سنة (541 هـ) وقد ذهب إلى هذا ابن الأبار (ت 658 هـ)⁽¹⁾ 0 والذهبي (ت 748 هـ)⁽²⁾ وأبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)⁽³⁾ والنباهي المالقي (ت قبل إنتهاء القرن الثامن)⁽⁴⁾ والسيوطي (ت 911 هـ)⁽⁵⁾
- 2- الثاني : أن وفاته كانت في سنة (542 هـ) هـ وقد ذهب إلى هذا ابن بشكوال (587 هـ)⁽⁶⁾ والضبي (ت 599 هـ)⁽⁷⁾

(1) ظ : معجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي : 259

(2) ظ : تاريخ الإسلام : 1 / 3756

(3) ظ : البحر المحيط : 9

(4) ظ : تاريخ قضاة الأندلس : 1 / 109

(5) ظ : طبقات المفسرين : 16-17

(6) ظ : الصلة : 386

(7) ظ : بغية الملتمس : 376

3- الثالث : أنه توفي في سنة (546هـ) وقد ذهب إلى هذا لسان الدين بن الخطيب
(ت 776هـ)⁽¹⁾ شهاب الدين محمد بن فرحون اليعمري (ت 799هـ)⁽²⁾ والمقري التلمساني
(ت 1041 هـ)⁽³⁾

ويبدو من خلال عرض الآراء التي ذهب إليها من ترجموا لهذا الرجل أن الرأي الأول والثاني
متقاربان فالفرق بينهما هو سنة واحدة ويمكن أن يرجع هذا إلى تداخل تاريخي بين سنة
(541هـ و 542 هـ) – أما الرأي الثالث الذي حدد وفاته (546 هـ) فهو يبتعد بمسافة تقرب من
خمس سنوات عن التاريخ السابق ويبدو لنا أن هذا هو الرأي الراجح من بين التواريخ التي حددت
وفاة ابن عطية لأن ذلك التاريخ هو الذي استند عليه محقق الكتاب ورجحه على غيره وهو ما
نميل إليه لكثرة الروايات التي أشارت إلى هذه السنة .

9- مؤلفاته :

ترك ابن عطية بعد وفاته مؤلفين كان أحدهما : في مجال التفسير واسمه (المحرر الوجيز
في تفسير الكتاب العزيز) 0
والآخر : عبارة عن برنامج ضمنه أسماء شيوخه ومروياته واسمه (الفهرس)⁽⁴⁾ 0

(8) ظ : الإحاطة في أخبار غرناطة : 414

(9) ظ : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 174

(10) ظ : نفح الطيب : 280 / 3

(1) ظ : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 174 ، تاريخ قضاة الأندلس : 109/1 طبقات
المفسرين : 260 / 1

ثانياً- منهجه في التفسير :-

اسم التفسير ونسبته لمؤلفه :-

أجمع معظم من ترجم لأبن عطية على نسبة الكتاب إليه ومنهم الضبي (ت 599هـ) ⁽¹⁾ والذهبي (ت 748هـ) ⁽²⁾ والسيوطي (ت 911هـ) ⁽³⁾ ولم يذكر عنوان تفسيره آنذاك لذلك اكتفوا بنعته باسم (الوجيز في التفسير) ⁽⁴⁾.

فضلاً عن أن ابن عطية لم يصرح بعنوان لتفسيره إلا ما ذكره في مقدمته حينما أشار إلى المنهج الذي نهجه في تفسيره قائلاً : " وقصدت فيه أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً ... " ⁽⁵⁾ فيتضح من مقولته أنه حاول وصف تفسيره لا أكثر ولعلي أكون على حق إذا قلت: إن ابن عطية لم يضع عنواناً لتفسيره 0

(1) ظ: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : 376

(2) ظ: تاريخ الإسلام : 3756 /1

(3) ظ: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 73/2

(4) ظ: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : 174 ، الإحاطة في أخبار غرناطة : 412 /3

تاريخ قضاة الأندلس : 190/1

(5) المحرر الوجيز : 34/1

وقال بذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب فائد ومعه جمع من المؤرخين على أن ابن عطية لم يضع لتفسيره عنواناً والذي انتخب له ذلك العنوان هو ملا كاتب حلبى المتوفى سنة (1067هـ)⁽¹⁾ .
أ - موضوعاته :

افتتح تفسيره بمقدمة احتوت على أحد عشر باباً :

- الباب الأول: (ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الصحابة وعن نبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به)

- الباب الثاني : (باب في فضل تفسير القرآن والكلام على لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه) 0

- الباب الثالث : (باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين) 0

- الباب الرابع : (باب معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه ") .

- الباب الخامس: (باب ما ذكر في جمع القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه) 0

- الباب السادس: (باب في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم فيها تعلق) 0

- الباب السابع : (نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن) 0

- الباب الثامن : (باب في ذكر الألفاظ التي يقتضي الإيجاز إستعمالها في تفسير كتاب الله تعالى)

- الباب التاسع : (باب في تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية) 0

- الباب العاشر : (باب القول في الاستعاذة) 0

-الباب الحادي عشر : (باب القول في تفسير "بسم الله الرحمن الرحيم ") 0

وافتح تفسيره بتفسير سورة الفاتحة واختتمه بتفسير سورة الناس 0

ب- منهجه :-

عمد ابن عطية في تفسيره إلى توظيف أكبر عدد من العلوم لخدمة النص القرآني وبذلك تنبه على قضية غابت عن أذهان مفسرينا وقتاً طويلاً وبعمله هذا جمع في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ما تفرق في كتب التفسير وهذا ما حثه على القول في مقدمته : " إذ كتاب الله تعالى لا يفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه"⁽¹⁾

فكانت غايته في جعل تفسيره جامعا لكل العلوم هي التي دفعته إلى القيام بذلك 0 ورغبته الشديدة في إضافة لمسة من لمساته على تفسيره تميزه عن سبقه من المفسرين ويشهد له من خلالها بالفضل ، لذلك قال الأستاذ الملاح : (لم يكن ابن عطية محيياً لمحاولات بدأت وإنما كان ذا منهج يختلف عن سبقه وعن آتى بعده)⁽²⁾

أما منهجه في تفسير النصوص القرآنية فقد أشار إليه في مقدمته ويتميز بالآتي :

(1) المحرر الوجيز : 35 / 1

(2) المصدر نفسه : تحقيق : أحمد صادق الملاح : (مقدمة المحقق) : 1 / 13

1- أنه لم يكن كثير الاهتمام بالروايات المختلفة الخاصة بأسباب نزول الآيات الكريمة ولم يعرض الكثير منها وخير دليل على ذلك أقواله التي جاءت متناثرة في التفسير ومنها :
الروايات التي نقلها عن كون البيت المعمور هو " أول بيت خلق الله تعالى ومن تحته دحيت الأرض قال ابن عطية : ورويت في هذا أقاصيص من نزول آدم به من الجنة ومن تحديد ما بين خلقه ودحو الأرض ونحو ما قال الزجاج : من أنه البيت المعمور أسانيدها ضعاف فلذلك تركتها" (1) 0

وتكرر معنى قوله هذا في الروايات الواردة في قصة التابوت فقال : " أكثر الرواة في قصص التابوت وصورة حملته بمالم أر لاثباته وجهاً للين إسناده " (2) 0
وقال في رواية الهزيمة في معركة أحد : " هذا مختصر من القصة يتركب عليه تفسير الآية " (3)
2- احتلت القراءات القرآنية مساحة واسعة من (المحرر الوجيز) وعول عليها ابن عطية كثيراً فيذكر للفظ الواحد أكثر من قراءة وكان يعرض للقراءات المشهورة وغير المشهورة منها ، وذلك في وقوفه على تفسير قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ

مَحَارِبٍ وَمَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ

عِبَادِي الشَّاكِرُونَ ﴾ (سبأ: 13) يقول : " وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمز والكسائي

﴿ الْجَوَابِ ﴾ بغير ياء في الوصل و الوقف ، وقرأ أبو عمرو وعيسى بغير ياء في الوقف

وباء في الوصل ، وقرأ ابن كثير بياء فيهما (4) ، ووجه حذف الباء التخفيف والإيجاز (5)

3- ويمثل اهتمامه بالمسائل الصرفية ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ

عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَضْدِيَةً فَنُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (الأنفال : 35)

فسر مفردة (المكاء) الواردة في الآية الكريمة بأقوال الصحابة كابن عباس وغيره أن (المكاء) هو الصفير وبعد ذلك إستند إلى الأشعار التي ذكرت فيها مفردة (المكاء) ودلت

(3) المصدر نفسه : 474 / 1

(4) المصدر نفسه : 333 / 1

(5) المصدر نفسه : 501 / 1

(1) ظ: حجة القراءات : 584 / 1

(2) المحرر الوجيز : 410 / 4 ، 68 / 1 ، 72 ، وينظر : 74 ، 76 ، 78 ، 84 ، 88 ، 89 وغيرها

فيها على الصفير وأخيراً التفت ابن عطية إلى دلالة وزنها الصرفي فقال : " ومن هذا قيل للطائر المكاء لأنه يمكو أي يصفر في تغريده ووزنه (فعّال) بشد العين كخطاف والأصوات في الأكثر تجئ على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والدعاء والجوار والنباح ونحوه ... " (1)

فاستدل على أن (المكاء) هو الصفير من وزن المفردة الذي أستعمل في الأصوات وأورد لذلك أمثلة من كلام العرب لتكون دليلاً على ما ذهب إليه في تفسير المفردة 0
4- أظهر اهتماماً بالجانب الدلالي من خلال التركيب النحوي ويبدو ذلك واضحاً في تفسير

قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا ﴾)

البقرة : 142) قال ابن عطية : " وجعل المستقبل موضع الماضي في قوله : (سيقول) دلالة على أستدامة ذلك ، وأنهم يستمرون على ذلك القول 000 " (2) 0

5- ومما يميز منهج ابن عطية إهتمامه بالمسائل الخلاقية في الدرس النحوي فقد أشار إلى طائفة من المسائل الخلاقية التي وقعت بين مدرستي البصرة والكوفة ومن تلك المسائل التي أشار إليها خلفهم في اشتقاقهم لفظة اسم يقول : " واسم أصله سمو بكسر السين أو سمو بضمها ، وهو عند البصريين مشتق من السمو 0 يقال : سما يسمو فعلى هذا تضم السين في قولك سمو ويقال : سمي يسمى فعلى هذا تكسر ، وحذفت الواو من سمو وكسرت السين من سم ، كما قال الشاعر :

باسمِ الذي في كلِّ سورةٍ سَمِه

وسكنت السين من بسم إعتلالاً على غير قياس وإنما استدل على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير (سُمي) ، وفي الجمع أسماء ، وفي جمع الجمع أسامي 0 وقال الكوفيون : أصل اسم وسم من السمة ، وهي العلامة 0 لأن الاسم علامة لمن وضع له وحذفت فاؤه إعتلالاً على غير قياس 000 " (3)
أما موقفه من ذلك فبين في قوله :

(3) المصدر نفسه : 2 / 524 وينظر : 59 ، 131 ، 195 ، 17 / 3 ، 77 ، 457 ، 460 ، 22 / 4 ، 213 ، 354 / 5

465 ، 432 ، 360

(4) المصدر نفسه : 1 / 218 وينظر : 223 ، 229 ، 284 ، 310 ، 7 / 2 ، 137 ، 221 ، 31 / 3 ، 476 / 4

450 / 5

(1) المحرر الوجيز : 1 / 62

" التصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي 0 وأما المعنى فيه فحجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال في التصغير وسيم ، وفي الجمع أو سام ، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها " (1) 0

وإنَّ لاستدلال البصريين أثرا كبيرا في إقناع ابن عطية واستمالاته إليهم والدليل على ذلك أنَّه استحسّن معنى لفظة (اسم) التي ذكرها الكوفيون إلا أنَّ دليلهم كان أقل قوة من دليل البصريين الذي كان أشد قوة وسلطاناً على غيرهم 0

ومنها أيضا ما ذكر من خلاف في أصل كلمة (اللهم) يقول : " وأختلف النحويون في تركيب لفظة (اللهم) بعد إجماعهم على أنها مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة وأنها منادى ، ودليل ذلك أنها لاتأتي مستعملة في معنى خبر ، فمذهب الخليل وسبويه والبصريين أن الأصل (ياالله) فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو - يا- جعلوا بدل حرف النداء هذه الميم المشددة والضممة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد وذهب حرفان فعوض بحرفين 0

ومذهب الفراء والكوفيين ، أنَّ أصل (اللهم) ياالله أم : أي أم بخير وأنَّ ضمة الهاء هي ضمة الهمزة التي كانت في أم نقلت ، ورد الزجاج على هذا القول وقال : محال أن يترك الضم الذي هو دليل على نداء المفرد وأن تجعل في أسم الله ضمة أم ، هذا إلحاد في أسم الله تعالى 0 قال ابن عطية : وهذا غلو من الزجاج ، وقال أيضاً : إنَّ هذا الهمز الذي يطرح في الكلام فشأنه أن يؤتى به أحيانا كما قالوا : " ويلمه " في ويل أمه والأكثر إثبات الهمزة ، وما سمع قط " ياالله أم " في هذا اللفظ وقال أيضاً : ولا تقول العرب (ياالله) ، وقال الكوفيون : إنه يدخل حرف النداء على " اللهم " وأنشدوا على ذلك :

وما عليك أن تقولي كُلمًا

سبّحت أو هللت ياالله ما

أردد علينا شيخنا مسلما

قالوا : فلوا كانت الميم عوضا من حرف النداء لما اجتمعا ، قال الزجاج : وهذا شاذ لايعرف قائله لا يترك له ما في كتاب الله وفي جميع ديوان العرب ، قال الكوفيون : وإنما تزداد الميم مخففة في

(فم وابنم) ونحوه فأماً ميم مشددة فلا تزداد ، قال البصريون : لما ذهب حرفان عوض بحرفين 000"⁽¹⁾

6- عنايته بالمصطلحات :

ذكر القاضي عبد الحق (رحمه الله) في تفسيره عدداً من المصطلحات فجاء تفسيره متضمناً مجموعة من المصطلحات في كل علم من العلوم التي وظيفها المفسر في تفسيره - ذكر في علم (اللغة والنحو) المصطلحات الآتية :

1- الفعل⁽²⁾0

2- الفاعل⁽³⁾

3- المبتدأ والخبر⁽⁴⁾0

4- المفعول به⁽⁵⁾ والمفعول لأجله⁽⁶⁾

5- الحال⁽¹⁾0

(1) المحرر الوجيز : 1 / 417 ، ظ : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن

يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري : 4 / 31

(1) ظ: المحرر الوجيز : 1 / 72 وينظر : 90 ، 91 ، 99 ، 110 ، 119 ، 133 ، 135 ، 138 ، 172

(2) ظ : المصدر نفسه : 1 / 99 وينظر : 205 ، 235 ، 376 ، 407 ، 460 ، 518 ، 535 ، 540 ، 553

(3) ظ: المصدر نفسه: 1 / 390 وينظر: 520 ، 102 / 2 ،

(4) ظ: المصدر نفسه : 1 / 70 وينظر : 222 ، 335 ، 387 ، 535 ، 257 / 3 ، 166 / 4

(5) ظ : المصدر نفسه : 3 / 309

- 6- المعرب⁽²⁾
 7- النداء⁽³⁾
 8- الشرط⁽⁴⁾
 9- اسم التفضيل⁽⁵⁾
 10- أسماء الإشارة⁽⁶⁾
 11- الاستثناء⁽⁷⁾ وغيرها .

- أمّا المصطلحات التي ذكرها في (علوم القرآن) فهي :

- 1- الناسخ والمنسوخ⁽⁸⁾
 2- المحكم والمتشابه⁽⁹⁾
 3- المكي والمدني⁽¹⁰⁾
 4- العام والخاص⁽¹¹⁾

- أمّا المصطلحات التي ذكرها في (الفقه) فهي :

- 1- الحلال والحرام⁽¹²⁾

- أمّا المصطلحات التي ذكرها في (القراءات) فهي :

- 1- القراءات الشاذة⁽¹⁾

(6) ظ : المصدر نفسه : 77 /1 وينظر 84 ، 101 ، 113 ، 115 ، 127
 (7) ظ : المصدر نفسه : 473 /1 وينظر : 519 ، 4 /144
 (8) ظ : المصدر نفسه : 133 /1 وينظر : 227 ، 417 ، 261 /2 ، 237 /3 ، 357 /4 ، 535 ، 70 /5
 (9) ظ : المصدر نفسه : 171 /1 وينظر : 121 ، 453 ، 517 ، 54 /2 ، 288 ، 297 ، 342 ، 396 ، 519 ، 527 ، 14 /3 ، 81 /4 ، 159
 (10) ظ : المصدر نفسه : 123 /1 وينظر : 203 /4 ، 266 /4 ، 475 ، 17
 (11) ظ : المصدر نفسه : 327 /1 وينظر : 388 ، 427 ، 491 ، 20 /2 ، 110
 (12) ظ : المصدر نفسه : 357 /2 وينظر : 378 ، 428 ، 485 ، 510 ، 119 /3 ، 144 ، 154
 (1) ظ : المحرر الوجيز : 193 /1 وينظر : 248 ، 506 ، 21 /2
 (2) ظ : المصدر نفسه : 400 /1
 (3) ظ : المصدر نفسه : 105 /1 وينظر : 308 /4 ، 113 /5
 (4) ظ : المصدر نفسه : 70 /1 وينظر : 83 ، 339 ، 526 /3
 (5) ظ : المحرر الوجيز : 254 /1 وينظر : 299 ، 399 ، 5 /2 ، 59

- أما المصطلحات التي ذكرها في (علم البلاغة) فهي :

1. التشبيه (2)

2. الكناية (3)

3. المجاز (4)

4. الاستعارة (5)

ويبدو مما تقدم أن المصطلحات النحوية واللغوية والصرفية ومصطلحات علوم القرآن كانت ناضجة وواضحة الدلالة في تفسير ابن عطية (6)

ومن ذلك تبين أنه كان بصري المذهب وأن لمصطلحاته دلالة كبيرة على ذلك ومن ثم يترتب عليّ أن أقف على أكثر المصطلحات أهمية الذي هو محور دراستي وهو مصطلح (الدلالة) (6) فقد اتضح لي أنّ ابن عطية قد أشار إليه بمعناه المعجمي : وهو الهداية إلى الأشياء والتعريف بها (7) ، وعدم نضج المصطلح في موضوع (الدلالة) لا يعني خلو التفسير من موضوع علم

(الدلالة) على كونها علماً وموضوعاً بل العكس تماماً أشار في تفسيره وفي مواطن عديدة إلى دلالة الأصوات والتراكيب والأوزان والصيغ وغيرها (8)

ولكننا بطبيعة الحال اعتدنا ذلك من علماء العرب ومفكرتهم في إحرازهم السبق في التنظير للعلوم وترك مسألة المصطلحات لغيرهم (9)

ومن ذلك نلاحظ جذور (علم الدلالة) بوصفه علماً في كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) وفي حديث الجاحظ (ت 255هـ) (8) ، في مناسبة الكلام لمقتضيات المقام وفي حديث أبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) (9) عن أصل اللغات وفي كتاب (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس (ت 395هـ) (10) وغيرهم من أمثال الشريف الرضي (ت 406هـ) (11) والثعالبي (ت 429هـ) (12) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) (1) وضياء الدين بن الأثير

(6) ظ : المصدر نفسه : 1/ 189 وينظر : 375 ، 279 / 2 ، 326 ، 360

(7) ظ : المصدر نفسه : 1/ 250 وينظر : 280 ، 351 ، 495 ، 519

(8) ظ : المصدر نفسه : 1/ 250 وينظر : 280 ، 351 ، 495 ، 519

(9) ظ : المصدر نفسه : 1/ 128 وينظر : 167 ، 180 ، 200 ، 248

(10) ظ : المصدر نفسه : 89/1 وينظر : 216 ، 258 ، 431 ، 454 ، 522 ، 544

(11) ظ : المصدر نفسه : 1/ 427 وينظر : 447 ، 509

(12) ظ : تهذيب اللغة : لأبي منصور الأزهرى : 7 / 383 (هدى)

(1) ظ : البيان والتبيين : أبو عثمان الجاحظ : 1 / 139

(2) ظ : الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني : 1 / 46-47

(3) ظ : الصاحبى فى فقه اللغة : أحمد بن فارس : 193

(4) ظ : المجازات النبوية : الشريف الرضى : 228

(5) ظ : فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي : 171

(ت 637هـ)⁽²⁾ وغيرهم 0 إلا أنه تطور كمفهوم ومصطلح في دراسات الغربيين على يد اللغوي الفرنسي (ميشال بريال)⁽³⁾ .

7- شواهد ابن عطية في (المحرر الوجيز) :-

كان ابن عطية مثل غيره من العلماء الذين فسروا الآيات القرآنية في مصنفاتهم معتمداً على طائفة من الشواهد لتعزيز ما يذكره من آراء وتأييد للأفكار التي يقول بها في تفسيره الآيات القرآنية وهو لا يختلف عن غيره في استعمال مصادر الاستشهاد على مثل هذه القضايا ومن أهم المصادر التي استعملها في شواهده هي :

أ- القرآن الكريم:

تعد طريقة تفسير القرآن بالقرآن من أجل الطرق وأفضلها في التفسير⁽⁴⁾ لذلك نجد لأبن عطية نزعة شديدة في تفسير القرآن بالقرآن نفسه وذلك لأن القرآن الكريم خير ما يلجأ إليه في تفسير آياته ؛لأن ما أجمل في مكان فُصِّل في مكان آخر وما قُيِّد في مكان أُطْلِقَ في مكان آخر. وإن الأمثلة التي تدور في هذا المضمار كثيرة ومتشعبة استولت على معظم آيات القرآن الكريم ومثال ما أجمل من الآيات القرآنية ما ورد في ذكره تعالى ، ليوم الدين والآيات البيّنات و الليلة

(6) ظ : دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني : 234

(7) ظ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير : 116 / 1

(8) ظ : تطور البحث الدلالي : أ.د.محمد حسين الصغير : 25- 40

(1) ظ : تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : 7/1

المباركة وفي قصاص النفس بالنفس ولولا تفصيله لهذه المجملات في مواطن أخرى من القرآن الكريم لما كان بوسعنا بلوغ كنه حقيقتها وما المراد الإلهي منها⁽¹⁾ 0

ومن الآيات التي فسرها ابن عطية بالقرآن تفسيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام : 82) 0

فسر ابن عطية مفردة (الظلم) الواردة في الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

﴾ (لقمان : 13) قال: " وقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنه من كلام لقمان ، ويحتمل أن

يكون خبراً من الله تعالى منقطعاً من كلام لقمان متصلاً به في تأكيد المعنى ، ويؤيد هذا الحديث

المأثور أنه لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام : 82) أشفق أصحاب رسول الله

صلى الله عليه - وآله- وسلم) وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فسكن إشفاقهم ... " (2) .

ومن ذلك استدلال ابن عطية أن (الظلم) الوارد في سورة الأنعام هو (الشرك) وخير دليل على

ذلك ما ورد في سورة لقمان .

ب- الحديث النبوي:

إعتمد المفسرون على أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفسير الآيات

القرآنية وذلك ؛ لأنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المفسر الأول للقرآن الكريم ثم

الصحابة من بعده ، وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل : 44) ومن ذلك جاء قول الرسول (صلى الله عليه وآله) :

إلا إني أوثبت القرآن ومثله معه (3) 0

(2) ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم : أ.د. محمد حسين الصغير: 92

(1) المحرر الوجيز : 348 /4 ، 77 /1

(2) مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم : 93

لذلك توجه ابن عطية وغيره من المفسرين إلى السنة النبوية في تفسير آيات القرآن الكريم، وفسر ابن عطية مفردة (ألد) الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (البقرة: 204) .

قال ابن عطية: " الألد: الشديد الخصومة الصعب الشكيمة الذي يلوي الحجج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لذيدي الوادي، ومنه لديد الفم، واللدود ويقال منه: لددت بكسر العين. ألد: وهو ذم ومنه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) (1) " (2) فاستشهد ابن عطية على معنى لفظة (الألد) الواردة في الآية الكريمة بالحديث النبوي واستند عليه في إثبات أن مفردة (الألد) من الألفاظ المستعملة في الذم.

ج- أقوال الصحابة والتابعين :

والى جانب النصوص القرآنية والأحاديث النبوية استند ابن عطية في تفسيره إلى ما ورد عن الصحابة والتابعين والمفسرين وكان منهجه استقرائياً نقدياً فعمل على ذكر أقوال الصحابة والتابعين التي بها يسند آراءه وأقواله ومن ثم يدرس متنها وبعد ذلك يذكر رأيه فيها قبولاً أو رفضاً، ولم يخل تفسيره من ذكر أقوال الصحابة وتركها بدون تعليق أو لم يذكر سلسلة إسنادها ويكتفي بذكر اسم الصحابي أو التابعي وسبب ذلك رغبته الشديدة في الاختصار (3).

ومن المواطن التي اكتفى بها ابن عطية بذكر الآراء من غير تعليق عليها ما جاء عنه في

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ﴾

... ﴿ (المتحنة: 10) يقول: " فامتحنوهن معناه: جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن " ثم

(3) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: 3/ 101

(4) المحرر الوجيز: 1/ 279، 304، 5/ 514

(1) ظ: التفسير الفقهي عند ابن عطية: د. عبد السلام محمد أبو سعد: 1/ 267

يقول : " واختلف الناس في هذا الامتحان كيف هو فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة بأن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغض زوجها ولا لجريرة جرت ولا سبب من أعراض الدنيا سوى حب الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلت فلم ترد . فقال فريق منهم عائشة أم المؤمنين : الامتحان هو أن تعرض عليها الشروط التي في الآية بعد هذا من ترك الزنا والسرقه والبهتان والعصيان فإذا أقرت بذلك فهو الامتحان ، وقيل : إن هذه الآية نزلت في أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة وفي كتاب التعلبي أنها نزلت في سبيعة بنت الحارث " (1)

ونلاحظ أنه اكتفى بنقل ماورد عن الصحابة في طبيعة الامتحان المذكور في الآية . ولم يحاول أن يرجح رأياً من هذه الآراء المذكورة . أما المواطن التي كان له فيها رأي خاص به وعمل على مناقشتها وترجيح أصوبها نجدها في وقوفه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: 6) يقول: " واختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على أنها غير عامة لوجود الكفار قد أسلموا بعدها فقال قوم : (وهي فيمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن أراد الله تعالى أن يعلم أن في الناس من هذه حاله دون أن يعين أحداً) .

وقال ابن عباس : (نزلت هذه الآية في حيي بن أخطب ، وأبي ياسر وابن الأشرف ونظرانهم وقال الربيع بن أنس : (نزلت في قادة الأحزاب وهم أهل القليب ببدر) .

قال ابن عطية : هكذا حكي هذا القول ، وهو خطأ ، لأن قادة الأحزاب قد أسلم كثير منهم ، وإنما ترتيب الآية في أصحاب القليب ، والقول الأول مما حكيناه هو المعتمد عليه ، وكل من عين أحداً فإنما مثل بمن كشف الغيب بموته على الكفر أنه في ضمن الآية " (2) .

ونلاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي عُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ

وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران : 40)

يقول : " اختلف المفسرون لم قال زكرياء : ﴿ أُنِّي يَكُونُ لِي عُلَامٌ ﴾ فقال عكرمة والسدي إنه لما نودي بهذه البشارة "جاء الشيطان يكدر عليه نعمة ربه فقال هل تدري من ناداك ؟ قال نادتنى ملائكة ربي قال بل ذلك الشيطان ولو كان هذا من عند ربك لأخفاه لك كما أخفيت نداءك قال

(2) المحرر الوجيز : 297 / 5

(1) المحرر الوجيز : 87 / 1

فخالطت قلبه وسوسة وشك مكانه ، فقال : ﴿ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ وذهب الطبري وغيره إلى

أن زكرياء لما رأى حال نفسه وحال امرأته وأنها ليست بحال نسل سأل عن الوجه الذي به يكون الغلام ، أتبدل المرأة خلقتها أم كيف يكون ؟ فقال ابن عطية : وهذا تأويل حسن يليق بزكرياء ، وقال مكي : وقيل إنما سأل لأنه نسي دعاءه لطول المدة بين الدعاء والبشارة وذلك أربعون سنة . قال ابن عطية : وهذا قول ضعيف المعنى و(أنى) معناها كيف و من أين " (1) .

ففي تفسيره هذه الآية نجده يستحسن ما ذهب إليه الطبري وضعف قول مكي وذكر رأيه بمعنى (أنى) الواردة في الآية الكريمة .

د- كلام العرب شعراً ونثراً :-

يتضح لنا من تفسير ابن عطية أن أشعار العرب وما نقل عن فصحاءهم هو ما أستند إليه ابن عطية في تفسيره فجعل لكل مفردة من مفردات الذكر الحكيم شاهداً من الشعر أو النثر فجاء تفسيره زاخراً بالأبيات الشعرية حتى بدا وكأنه ديوان ضخم انضوت تحته معظم دواوين شعراء العرب فبلغت شواهد من الأشعار ما يقرب من (1500) بيتٍ تتفاوت بين أبيات شعرية كاملة وأنصاف أبيات ورجز ، فضلا عن اهتمامه باللهاجات العربية القديمة . ومن أمثلة ما ورد في تفسيره :-

1- في قوله تعالى : ﴿ وَفُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا

وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : 35) يقول : " الرغد العيش الدار

الهنى الذي لا عناء فيه . ومنه قول امرئ القيس :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشِ رَغَدٍ (1)

"(1)

2- في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ... ﴾ (الأعراف : 169)

يقول : " خلف معناه حدث خلفهم و(بعدهم خلف) بإسكان اللام يستعمل في الأشهر في الذم ...

وقد يستعمل في المدح ومنه قول حسان : (2)

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا لِأَوْلِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ (3)

3- في قوله تعالى : ﴿ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (البقرة : 25) يقول : " أزواج جمع زوج والمرأة زوج

الرجل والرجل زوج المرأة ويقال في المرأة زوجة ومنه قول الفرزدق : (4)

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الثَّرَى يَسْتَبِيلُهَا (5)

(1) المحرر الوجيز : 1 / 127 وينظر : 249 ، 237 ، 145 ، 87 ، 125 ، 121 ، 99 ، 249 ، 233 ، 224 ، 198 ، 86 ، 102 ، 83 ، 114

(2) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : 148

(3) المحرر الوجيز : 2 / 427 وينظر : 96/1 ، 111 ، 187 ، 3 / 413

(1) ديوان الفرزدق : 106 ، وجاء البيت في الديوان :

(فإنَّ أَمْرًا يَسْعَى يَخْبِبُ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الثَّرَى يَسْتَبِيلُهَا)

(2) المحرر الوجيز : 1 / 109 وينظر : 219 ، 188 ، 185 ، 183 ، 283 ، 179 ، 166 ، 146

4- في قوله تعالى : ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ (الجن : 8) يقول : " وقولهم (وأنا لمسنا) قال

معناه التمسنا ويظهر بمقتضى كلام العرب أنها استعارة لتجربتهم أمرها وتعرضهم لها فسمي ذلك لمساً إذا كان اللبس غاية غرضهم ونحو هذا قول المتنبي : (1)

تعدَّ القُرى والْمُسُ بنا الجيشَ لَمْسةً نبادرُ إلى ما تشتهي يدُك اليمنى

فعبّر عن صدم الجيش بالجيش وحرية باللمس ، وهذا كما تقول المس فلاناً في أمر كذا ، أي جرب مذهبه فيه " (2) ما تقدم يمثل الشواهد الشعرية التي إعتدها ابن عطية في تفسيره ، أما الجانب الثاني فتمثل بالشواهد النثرية ونلاحظها في مواطن كثيرة من تفسيره ومنها ماورد في

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ

بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : 171) يقول : ابن عطية : " وقوله تعالى :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية ، المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيتهم والكافرين الموعوظين

بالراعي الذي ينعق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تنفقه ما يقول ، هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسدي وسيبويه .

وقال : فذكر بعض هذه الجملة وترك بعض ، ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز . والنعيق زجر الغنم والصياح بها ، قال الأخطل : (3)

انعق بضائك يا جريراً فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالاً

وقال قوم : إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأن لأنها من أبلد الحيوانات ، فهي تحمق راعيها

وفي المثل أحقق من راعي ضأن ثمانين (4) ... " (5) .

ومن ذلك تفسيره (إذا) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ (البقرة : 11) .

يقول : " و(إذا) ظرف زمان ، وحكي عن المبرد أنها في قولك في المفاجأة خرجت فإذا زيد ظرف مكان لأنها تضمنت جثة ، وهذا مردود لأن المعنى (خرجت فإذا حضور زيد) فإنما

(3) شرح ديوان المتنبي : عبد الرحمن البرقوقي : 381 / 4

(4) المحرر الوجيز : 381 / 5 وينظر : 380 ، 394 / 2

(5) ديوان الأخطل : 198

(1) ظ: جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري : 342 / 1

(2) المحرر الوجيز : 238 / 1 وينظر : 72 ، 151 ، 239 ، 396

تضمنت المصدر ، كما يقتضيه سائر ظروف الزمان ومنه قولهم : (اليوم خمر ، وغداً أمر) (1)
فمعناه وجود خمر ووقوع أمر... (2)

ومن ذلك تفسيره مفردة (عزم) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ ﴾ (آل عمران : 159) يقول : " والعرب تقول : قد أحزم لو أعزم (3) " (4)

ومما تقدم يتضح لنا أن ابن عطية يعول كثيراً على الشواهد النثرية ولم تكن أقل أهمية لديه من الشواهد الشعرية .

8- مصادر ابن عطية في كتابه :

اعتمد ابن عطية في تفسيره على طائفة من المصادر استقى منها مادته العلمية وقد تنوعت هذه المصادر وتعددت مواردها مما جعل كتابه موسوعة علمية تضم طائفة من العلوم المختلفة التي تتصل بالقرآن الكريم ومن أهم المصادر التي أفاد منها .

1- النقل عن العلماء :

-
- (3) جمهرة الأمثال : 2 / 432
(4) المحرر الوجيز : 1 / 93 وينظر : 2 / 308 ، 30 ، 121 ، 286 ، 292 ، 306 ، 381 ، 4 / 497 ، 484 ، 499 ، 508 ،
(5) ظ: المستقصى في أمثال العرب : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري : 2 / 189
(6) المحرر الوجيز : 1 / 551

نقل ابن عطية عن عدد كبير من العلماء في مختلف العلوم وقد تعددت أسماء العلماء الذين نقل عنهم فقد نقل عن علماء التفسير واللغة والنحو والقراءات ومن أشهر الذين نقل عنهم في :
أ- التفسير :

1- الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت 40 هـ) .

ونجد ذلك في تفسيره لمفردة (الصراط) الواردة في قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة : 6) قال ابن عطية : " فقال : علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(الصراط المستقيم) هنا القرآن" (1)

2- عبد الله بن عباس (ت 68 هـ) :

ونقل عنه تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (البقرة : 3) قال ابن عطية : "

قال ابن عباس : ينفقون يؤتون الزكاة إحتساباً لها" (2)

4- سعيد بن جبير (ت 95 هـ) :

ونقل عنه تفسير قوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾

(البقرة : 152) يقول ابن عطية : " قال سعيد بن جبير : معنى الآية اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة" (3)

ب- علماء اللغة والنحو :

1- الخليل : (ت 175 هـ)

ونقل عنه قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُورٌ

يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة

(1) المحرر الوجيز : 1 / 74 وينظر : 79 ، 82 ، 102 ، 124 ، 169 ، 210 ، 244 ، 237 ، 240 ، 245 ، 248 ، 254 ، 258 ، 265 ، 278 ، 289 ، 291

(2) المصدر نفسه : 1 / 85 وينظر : 61 ، 63 ، 65 ، 67 ، 71 ، 75 ، 77 ، 82 ، 83 ، 88 ، 85 ، 87 ، 97 ، 101 ، 109 ، 114 ، 117 ، 119 ، 120 ، 121

(3) المصدر نفسه : 1 / 226 وينظر : 227 ، 294 ، 352 ، 392 ، 39 ، 97 ، 178 ، 240 ، 303 ، 320 ، 471 ، 479 ، 520

: (19) يقول ابن عطية : "والصاعقة : قال الخليل⁽¹⁾ : (هي الواقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحياناً نار ، يقال إنها من المخراق الذي بيد الملك ، وقيل في قطعة النار إنها ماء يخرج من فم الملك عند غضبه)".⁽²⁾

2- سيبويه : (ت 180 هـ)

نقل عنه قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة : 33) قال ابن عطية : " ﴿ أَنْبِئْهُمْ ﴾ معناه أخبرهم ، وهو فعل

يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف جر وقد يحذف حرف الجر أحياناً ، تقول نبئت زيدا .
قال سيبويه⁽³⁾ : معناه نبئت عن زيد "⁽⁴⁾

3- قطرب : (ت 206 هـ)

نقل عنه قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ (البقرة : 83) يقول

" حكي عن قطرب : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ في موضع حال أي أخذنا ميثاقهم موحدين"⁽⁵⁾

4 - أبو إسحاق الزجاج : (ت 311 هـ)

ونقل عنه ابن عطية قوله في تفسيره (إذ) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : 30) يقول : " قال معمر بن المثنى⁽⁶⁾

(1) ظ: العين : 22 / 1 (صعق)

(2) المحرر الوجيز : 102 / 1 وينظر : 96 ، 102 ، 128 ، 133 ، 149 ، 11 / 2

(3) ظ : الكتاب : سيبويه : 366 / 1

(4) المحرر الوجيز : 105 / 1 وينظر : 111 ، 122 ، 132 ، 151 ، 212

(5) المصدر نفسه : 172 / 1 وينظر : 66 ، 349

(1) ظ : مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي : 8 / 1

(إذ زائدة ، والتقدير (وقال ربك) قال أبو إسحاق الزجاج ⁽¹⁾ : (هذا اجترأ من أبي عبدة) ⁽²⁾)

ج-القراء الذين نقل عنهم :

1- ابن كثير (ت 120 هـ) :

نقل عنه قراءة مفردة (هذان) الواردة في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾

(طه : 26) يقول ابن عطية : " وقرأ ابن كثير ⁽³⁾ ﴿ إِنَّ هَذَانِ ﴾ بتخفيف نون ⁽⁴⁾ "

2- ابن محيصة (ت 123 هـ) :

نقل عنه قراءة (هذه) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

(البقرة : 35) يقول : " وقرأ ابن محيصة ⁽⁵⁾ هذي على الأصل " ⁽⁶⁾

3- الأعمش (ت 148 هـ) :

نقل عنه قراءة مفردة (اسطاعوا) الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾

﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (الكهف : 97) يقول ابن عطية : " وقرأ الأعمش ⁽¹⁾ (فما

استطاعوا أن يظهروه) و (ما استطاعوا) بالتاء في الموضعين " ⁽²⁾

(2) ظ: معاني القرآن وإعرابه : الزجاج أبو إسحاق إبراهيم ابن سري : 108

(3) المحرر الوجيز : 1 / 116 وينظر : 257 ، 320 ، 3 / 458 ، 319 ، 454

(4) ظ: الحجة في علل القراءات السبع : الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله : 145

(5) المحرر الوجيز : 4 / 407 وينظر : 1 / 110 ، 139 ، 172 ، 174 ، 176 ، 179

(6) ظ : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد

الغني الدميطي : 176

(7) المحرر الوجيز : 1 / 127 ، 151 ، 169 ، 184 ، 198

4- نافع المدني (ت 169 هـ) :

نقل عنه ابن عطية قراءة مفردة (نغفر) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا

هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ

خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (البقرة : 58) يقول : " وقرأ نافع⁽³⁾ : (يغفر) بالياء من

تحت مضمومة " (4)

2- النقل عن الكتب

نقل ابن عطية عن عدد كبير من الكتب التي عنيت بالدراسات القرآنية واللغوية وقد أشار

إلى أسماء طائفة من الكتب في مختلف العلوم ومن ذلك .

أ- كتب التفسير :-

1- (جامع البيان عن تفسير أي القرآن)

(1) ظ: حجة القراءات : عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة : 435

(2) المحرر الوجيز : 1 / 184، 189، 207، 259، 288، 328، 432، 513

(3) ظ: حجة القراءات : 97

(4) المحرر الوجيز : 341/4 وينظر: 1 / 150، 155، 175، 176

الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت 310هـ)⁽¹⁾ .
نقل عنه ابن عطية في تفسيره للكثير من الآيات القرآنية ومنها في تفسير مفردة (كافة) الواردة
في قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: 36) يقول ابن عطية : " قوله (كافة) معناه جميعاً وهو مصدر في
موضع حال ، قال الطبري⁽²⁾ : كالعاقبة والعافية فهو على هذا كما تقول خاصة وعامة"⁽³⁾
وفي تفسيره لمعنى (البراق) الذي عرج عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السماء
يقول : " وفي كتاب الطبري⁽⁴⁾ : البراق هو دابة إبراهيم " عليه السلام " الذي كان يزور عليه
البيت الحرام"⁽⁵⁾

2- (شفاء الصدور) :

أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد بن هارون الموصلي النقاش (ت 351هـ) نقل
عنه ابن عطية ما جاء عن النضر بن شميل في تفسير لفظه (الخوالف) الواردة في قوله تعالى
﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ ، (التوبة : 87) يقول : " قال النضر بن
شميل في كتاب النقاش: (الخوالف) من لاخير فيه "⁽⁶⁾

3- (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)

أبو العباس أحمد بن عمار المهدي (ت 403هـ)⁽⁷⁾، نقل عنه ابن عطية قوله في
معنى لفظه (الاستحياء) الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا

(1) ظ : طبقات المفسرين : أحمد بن محمد الأندروي : 48 / 1 - 50
(2) ظ : جامع البيان عن تأويل أي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : 128/10
(3) المحرر الوجيز : 31 / 3
(4) ظ: جامع البيان : 250 / 3
(5) المحرر الوجيز : 435 / 3
(6) المصدر نفسه : 120 ، 68 / 3
(1) ظ : طبقات المفسرين : 44

مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ... ﴿ (البقرة : 26) ، يقول : " وحكى المهدوي أن الإستحياء في هذه

الآية راجع إلى الناس " (1)

4- (الهداية إلى بلوغ النهاية)

الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني
(ت 437 هـ) (2) ونقل عنه ابن عطية ماحكاه في قراءة لفظة (مالك) في قوله تعالى

﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الفاتحة : 3) يقول : " قال مكي : (روى الزهري أن رسول الله

صلى الله عليه - وآله - وسلم قرأها كذلك بالألف وكذلك قرأ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ،
وابن مسعود ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ، وطلحة ، والزبير رضي الله عنهم) . " (3)

ب- كتب النحو ومعاني القرآن :

1- الكتاب :

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه مولى بني الحرث بن كعب

(ت 180 هـ) (4) نقل عنه ابن عطية كثيرا ومنها في قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة : 114) يقول : " ﴿ اللَّهُمَّ ﴾ عند سيبويه (5) أصلها يا الله

فجعلت الميمان بدلاً من ياء " (6)

(2) المحرر الوجيز : 1 / 110 ، 123

(3) ظ : تاريخ الإسلام : 1 / 452

(4) المحرر الوجيز : 1 / 68

(5) ظ : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل باشا البغدادي : 1 / 802

(1) ظ : الكتاب : سيبويه : 1 / 51

(2) المحرر الوجيز : 2 / 261

2-معاني القرآن للفراء :

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) ⁽¹⁾، ونقل عنه ابن عطية كثيراً وكان

ممن أخذ عنه إعراب لفظة (أمة) الواردة في قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ (آل عمران : 114) ، يقول : " قال الفراء ⁽²⁾ : أن (أمة)

مرتفعة بسواء على أنها فاعلة كأنه قال لا تستوي أمة كذا وأن في آخر الكلام محذوفاً معادلاً

تقديره وأمة كافرة ، فأغنى القسم الأول عن ذكرها ودل عليه كما قال أبو ذؤيب : ⁽³⁾

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقُتْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أُدْرِي أُرْشِدُ طِلَابِهَا؟

المعنى أم غي ، فاقتصر لدلالة ما ذكره عليه " ⁽⁴⁾

3- مجاز القرآن :

أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري (ت 210 هـ) ، ⁽⁵⁾ إستعان به ابن عطية

كثيراً ونجد ذلك في مواطن كثيرة في تفسيره ومنها ما نقله عنه في معنى (الأنداد) الواردة في

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : 22) يقول : " وقال أبو عبيدة

معمر ⁽⁶⁾ والمفضل الضد الند " ⁽⁷⁾

4-المقتضب :

(3) ظ : نزهة الالباء في طبقات الأدباء: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الانباري : 81

(4) ظ: معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : 230 /1

(5) أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره : نورة شمالان : 151

(6) المحرر الوجيز : 492 /1

(7) ظ : وفيات الأعيان وأنباء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : 235/5

(8) ظ : مجاز القرآن : 7/1

(9) المحرر الوجيز : 105 /1

أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري المبرد (ت 285 هـ) ⁽¹⁾ ، وأخذ ابن عطية عنه ونجد ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (البقرة : 175) يقول : " ومعنى ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ ﴾ في اللغة أمرهم بالصبر ، ومعناه أيضاً جعلهم ذوي صبر ، وكلا المعنيين متجه في الآية على القول بالاستفهام ، وذهب المبرد ⁽²⁾ في باب التعجب من المقتضب إلى أن هذه الآية تقرير واستفهام لا تعجب " ⁽³⁾

5-معاني القرآن للزجاج :

أبو إسحاق الزجاج بن السري بن سهل الزجاج (ت 311 هـ) ⁽⁴⁾ ، نقل عنه ابن عطية عطية قوله في معنى (له) الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (النحل : 40) يقول : " وقال الزجاج ⁽⁵⁾ : ﴿ لَهُ ﴾ بمعنى من أجل " ⁽⁶⁾

ج- مصادر ابن عطية في اللغة :-

-
- (1) ظ : أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم : صديق بن حسن القونجي : 33/3
 - (2) ظ : المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : 245 / 1
 - (3) المحرر الوجيز : 242 / 1
 - (4) ظ : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 412-411 / 1
 - (5) ظ: معاني القرآن وإعرابه : 199 / 3
 - (6) المحرر الوجيز : 394 / 3

1- إصلاح المنطق

أبو يوسف : يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت244هـ) ⁽¹⁾ وأورد ابن عطية مقالته في

معنى لفظة (اليتيم) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (التوبة : 31) يقول " قال ابن

السكيت ⁽²⁾ : اليتيم في البشر من قبل الأب " ⁽³⁾

2- المخصص :

علي بن إسماعيل أبو الحسن المرسي المعروف بأبن سيده (ت458هـ) ⁽⁴⁾ ونقل عنه آبن

عطية معنى لفظة (الهدى) الواردة في قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(البقرة: 6) يقول : " قال آبن سيده ⁽⁵⁾ : (والهدى أسم من أسماء النهار) " ⁽⁶⁾

د- مصادر ابن عطية في الحديث :

(1) ظ: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم : 2 / 31

(2) ظ: إصلاح المنطق : ابن السكيت يوسف بن إسحاق : 263

(3) المحرر الوجيز : 453/3

(4) ظ: الصلة : 417 / 2 ، تاريخ الإسلام : 447- 449

(5) ظ: المخصص : ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل : مج4 / 15 / 177

(6) المحرر الوجيز: 83/1

1- صحيح البخاري المسمى بـ (الجامع الصحيح) :-

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ) ،⁽¹⁾ نقل عنه ابن عطية ما ذكره الطبري في فضل سورة البقرة يقول : " وفي البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال⁽²⁾ : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)⁽³⁾ "

2- المسند الصحيح :

مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)⁽⁴⁾ خرج عنه ابن عطية مجموعة من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن فسح الحج في العمرة على إثر سؤال سراقه بن مالك يقول: " وفي صحيح مسلم حديث سراقه بن مالك قال: قلت يا رسول الله : فسح الحج في العمرة ألنا خاصة أم للأبد ؟ فقال : (بل لأبد أبدياً ، بل لأبد أبدياً)"⁽⁵⁾

3- سنن أبي داود :

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران أبو داود الأزدي السجستاني (ت 275هـ) .⁽⁶⁾ خرج عنه ابن عطية أحاديث نبوية ومنها ما نقله عنه في خصوص خصوص التيمم في تفسيره قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِهِمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (النساء : 43) يقول : " وفي مصنف أبي داود عن الأعمش : أن رسول الله صلى الله عليه وآله - وسلم . مسح إلى نصف ذراعيه⁽⁷⁾ " (8)

4- الجامع الصحيح المسمى بـ (سنن الترمذي)

-
- (1) ظ : صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : 12/1
 - (2) ظ: المصدر نفسه : 104 /6
 - (3) المحرر الوجيز : 86 /1
 - (4) ظ : تذكرة الحفاظ : أبو عبد الله شمس الدين الذهبي : 588 /2
 - (5) المحرر الوجيز : 269 /1
 - (6) ظ : تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : 55/9
 - (7) ظ: سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران أبو داود : 127 /1
 - (8) المحرر الوجيز : 61 /2

محمد عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت279هـ) ⁽¹⁾ نقل عنه ابن عطية

قراءة النبي(صلى الله عليه وسلم وآله) يقول : " وفي الترمذي ⁽²⁾ أن النبي صلى الله عليه وسلم

وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قرؤوا ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بغير ألف ، وفيه أيضاً أنهم

قرؤوا ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بألف " ⁽³⁾

هـ - مصادرہ في علم القراءات

-
- (1) ظ : تهذيب الكمال في اسماء الرجال : جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي : 251 / 26
(2) ظ: الجامع الصحيح (سنن الترمذي) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي : 185 / 5
(3) المحرر الوجيز : 69/1

إن للقراءات القرآنية نصيباً وافراً من تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) فكان يعتني بها عناية خاصة ويحرص على إيراد القراءات المستعملة والشاذة ولا يكتفي بذكرها بل يناقش بعضها وحاول توجيه أكثرها واستند على بعضها في الوصول إلى المراد من النصوص القرآنية لذلك لجأ إلى مجموعة من كتب القراءات القرآنية ومن أبرزها .

1- الحجة في علل القراءات السبع :-

أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفسوي أبو علي البغدادي النحوي توفي سنة (ت 377هـ)⁽¹⁾ فذكر ابن عطية له آراء في قضايا كثيرة ومنها ما حكاه بخصوص لفظة (غشاوة) الواردة في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة : 7)

يقول : " قال أبو علي⁽²⁾ (قراءة الرفع أولى لأن النصب إما أن تحمله على ختم فيعترض في ذلك إنك حلت بين حرف العطف والمعطوف به) "⁽³⁾

2- التيسير :-

عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني (ت 444هـ) ،⁽⁴⁾ ذكر له ابن عطية مجموعة من القراءات في تفسيره ومنها قراءة ﴿ اِدَّارَكَ ﴾ الواردة في قوله تعالى : ﴿ بَلْ اِدَّارَكَ عَلِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ (النمل : 66) يقول : " وقرأ ابن محيصن (بل أدرك) على الاستفهام ونسبها أبو عمرو الداني إلى ابن عباس والحسن⁽⁵⁾ " ⁽⁶⁾

تلك أهم المصادر التي كانت يد العون لأبن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز) وكان ناقلاً من بعضها ومناقشاً وناقداً للبعض الآخر ، أما طريقته في النقل منها فكان يعتمد إلى ذكر أسم

(1) ظ : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : 497/1-498

(2) الحجة للقراء السبعة : أبو علي الفارسي : 1 / 187

(3) المحرر الوجيز : 4 / 267

(4) غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين أبي محمد بن الجزري : 503-505

(5) ظ: التيسير في علم القراءات السبع : أبو عمرو الداني : 1 / 112

(6) المحرر الوجيز : 1 / 122

المؤلف حيناً وإلى ذكر أسم الكتاب حيناً آخر وهو في ذلك كله كان له شخصية لها اثر بارز
ومتميز ففي علم التفسير تجده في أعلى درجات المفسرين وفي علم الحديث والفقاه تجده محدثاً
فقيهاً وفي علم القراءات واللغة والنحو تجده لغوياً قارئاً لامعاً في أفق القراء ، فعجباً لهذه
الشخصية التي جمعت تلك العلوم وهضمتها مع بعضها حتى كان تفسيره عصارة لتلك العلوم ولتلك الشخصية التي كتب لها النبوغ في تلك
المجالات العظيمة .

الفصل الأول

﴿ الأثر الصوتي والصرفي في الدلالة ﴾

المبحث الأول: الدلالة الصوتية

المبحث الثاني: الدلالة الصرفية

المبحث الأول : الدلالة الصوتية

تعد الدراسة الصوتية محل عناية العلماء والدارسين من القدماء والمحدثين ، إذ لانجد كتابا من كتب القدماء يخلو من إشارات وتوجيهات صوتية ، وقد وجدنا إشارات إلى هذه المسألة عند علماء العربية في وقت مبكر من نشوء الدراسات اللغوية فقد نسبت المصادر إلى عدد من العلماء القول بوجود صلة بين الصوت والمعنى وقد عزيت هذه الفكرة إلى (عباد الصيمري) (1) .

وقد اعتنى بهذه المسألة من علماء العربية الخليل وسيبويه إذ وردت إشارات في كتاب الخليل (العين) و كتاب سيبويه (الكتاب) تشير إلى وجود رابط وصلة بين دلالة الصوت والمعنى المعبر عنه يقول الخليل : (الصوقير حكاية صوت طائر يصوقر في صياحه تسمع نحو هذه النغمة في صوته) (2) ويقول سيبويه : (من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك "النزوان والنقران والققران " وإنما هذه أشياء في زعزعة البدن وأهتزازه في ارتفاع) (3) ومن العلماء الذين ألتفتوا إلى هذه المسألة وأولوها عنايتهم ابن جني (ت 392 هـ) فقد درسها في كتابه (الخصائص) وتحدث عنها في غير موضع إذ يقول : (فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، و (القضم) للصلب اليباس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك فاختروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليباس حدوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث) (4) .

ويبدو مما تقدم أنّ الاختلاف الوارد في دلالاتي كل من مفردتي (قضم) و (خضم) ناتج من اختلاف دلالاتي صوتي (القاف والحاء) وبذلك يكون للصوت أثر كبير في تحديد دلالة المفردات يؤدي تغيير الصوت في المفردة إلى تغيير دلالتها ومثال ذلك قولهم في دلالة (نضح ونضح) قال ابن جني : (النضح للماء ونحوه والنضح أقوى من النضح قال الله سبحانه :

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (الرحمن : 66) فجعلوا الحاء لرققتها – للماء الضعيف والحاء –

(1) ظ: المزهر في علوم اللغة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : 47 / 1

(2) العين : الخليل : 60 / 5 (ق،ص، ر)

(3) كتاب سيبويه : 128 / 4

(4) الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني : 152 / 2

لغلظها – لما هو أقوى منه⁽¹⁾ وقريب من ذلك ما أشار إليه ابن جني في دلالة أصوات مفردة (بحث) يقول : (وذلك قولهم بحث – فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض والحاء لصلحها تشبه مخالبا الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض والثاء للنفث والبت للتراب)⁽²⁾

على الرغم من المحاولات الكثيرة التي خلفها العلماء لربط الصوت بالمعنى الدال عليه في اللفظة الواحدة إلا أنها تبقى من المسائل التي لم يصل فيها البحث العلمي إلى نتيجة قاطعة مثلها مثل نظريات نشأة اللغة التي ما زال العلماء فيها بين مثبت ومنكر ، إلا أننا لا يمكننا أن ننكر ما لهذه المسألة من مظاهر تمثلت في ألفاظ القرآن الكريم الذي امتازت ألفاظه بأنها تسير مع دلالتها جنباً إلى جنب في رسم المشاهد القرآنية التي يسهم كل من اللفظ ودلالته في إيصالها إلى المتلقي⁽³⁾ ولعل ذلك كان سراً من الأسرار الكامنة التي تركت أثراً كبيراً في جمالية الألفاظ القرآنية وسحرها فـ (القرآن الكريم كان يختار الكلمة قاصداً لفظها ومعناها في موقعها المحدد أي أن القرآن الكريم كان يأخذ المعنى المعجمي ويعنى بالصورة الصوتية للكلمة وهذا الارتباط بين اللفظ – أي الصوت – والمعنى في الكلمة القرآنية يؤلف وحدة لا سبيل إلى الفكك منها)⁽⁴⁾ وإن هذا الارتباط بين الصوت والمعنى في الألفاظ أدى بها إلى أن أي تغيير يصيب أحد أصواتها ينقلها من دلالة إلى أخرى وإلى ذلك تنبه طائفة من المفسرين وكان في طليعتهم ابن عطية وذكر ذلك في أثناء وقوفه على الظواهر الصوتية التي عرض لها في تفسيره (المحرر الوجيز) ومنها:

أولاً- تخفيف الهمزة وتحقيقها :

وصف القدامى الهمزة بأنها صوت شديد مجهور⁽⁵⁾ حتى أن الخليل ذكر مخرجها من (أقصى الحلق مضغوطة فإذا رفه عنها لانت)⁽⁶⁾ وتبعه سيبويه في ذلك إذ قال : (ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة ، فأفصاها مخرجا الهمزة والهاء والالف)⁽⁷⁾

(1) الخصائص : 158/2

(2) المصدر نفسه : 162-163/2

(3) ظ: القرائن اللغوية في الأصوات المفردة في القرآن الكريم : د. عدويه عبد الجبار : 61 (بحث)

(4) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : عودة خليل أبو عودة : 80

(5) ظ: الكتاب : 4 / 572

(6) العين : 1 / 52

(7) الكتاب : سيبويه : 4 / 572

ولم يبتعد ابن جني عما ذكره الخليل وسيبويه في تحديد مخرج الهمزة بقوله : (واعلم أنّ مخرج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة)⁽¹⁾ ويبدو مما تقدم إجماع القدامى على صفة الهمزة ومخرجها ألا أنّ المحدثين كان لهم مذهب آخر يختلف عما ذهب إليه القدامى ، وهي عندهم صوت (لا بالمجهور ولا بالمهموس) وهذا ما ذهب إليه إبراهيم أنيس وغيره من المحدثين ، وعلل ذلك بقوله : (عند النطق بالهمزة تكون فتحة المزمار مغلقة إغلاقاً تاماً لذلك لا نسمع لهذاذبذبة الوترين الصوتين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار وذلك الانفجار الفجائي هو الذي ينتج الهمزة)⁽²⁾ في حين ذهب بعضهم إلى أنّها صوت (مهموس مرقق) وذلك لأنّ الأوتار الصوتية عند النطق بالهمزة تغلق تماماً وذلك الإغلاق لا يحقق لنا الاهتزاز الذي يعد صفة من صفات الجهر⁽³⁾ ووصف الدكتور رمضان عبد التواب ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس بالغرابة وذلك لأنّ الدكتور إبراهيم أنيس عرف الجهر : على أنّه الصوت الناتج من اهتزاز الوترين الصوتين والهمس : هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران وبذلك تكون الأوتار الصوتية أمّا ساكنة أو متذبذبة ولائالذ لهاتين الإمكانيتين وبذلك تكون الهمزة صوتاً مهموساً لا كما ذهب إليه القدامى بأنّها صوت مجهور⁽⁴⁾ ولأنّ انحباس الهواء في المزمار ثم انفراج المزمار فجأة عند النطق بالهمزة يحتاج إلى جهد عضلي مالت أكثر القبائل العربية إلى تخفيف الهمزة رغبة منها في التخلص من ذلك الجهد عند النطق بها .⁽⁵⁾ وذلك التخفيف نلحظه واضحاً عند القبائل الحضرية التي تقع في شمال الجزيرة و غربها⁽⁶⁾ .

وكانت تخفف الهمزة أمّا بحذفها أو بإبدالها أو جعلها بين بين ولهذه المظاهر أحكام ذكرها علماء العربية في مصنفاتهم ونتج عن تلك المظاهر تغيير في دلالة الألفاظ وفيما يأتي عرض لطائفة من الألفاظ التي ذكرها ابن عطية في تفسيره وأشار إلى تخفيف الهمزة فيها :

(1) سر صناعة الأعراب : أبو الفتح عثمان بن جني : 60 / 1

(2) الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : 72-73

(3) ظ: المدخل إلى علم اللغة العام : د. رمضان عبد التواب : 56

(4) ظ: المصدر نفسه : 57

(5) ظ: الأصوات اللغوية : 72-73

(6) ظ: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : د. عبد الصبور شاهين : 18

1- سورة و سورة :

من المفردات التي اختلفت دلالتها بين الهمز والتخفيف لفظة (سورة) فقد يهزها بعض العرب فيقول (سورة) ولا يهزها الآخرون فيقولون : (سورة) وقد أشار ابن عطية إلى هذا في معرض حديثه عن معنى (السورة) في مقدمة كتابه يقول : " وأما السورة فإن قريشاً كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل ، وسعد بن بكر ، وكنانة ، يقولون : سورة بغير همز وتميم كلها وغيرهم أيضاً يهزمون فيقولون : سؤر وسؤرة .

فأما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر وسؤرة من أسأر إذا أبقى . ومنه " سؤر الشراب " ومنه قول الأعشى – وهو ميمون بن قيس - :⁽¹⁾

فبانت وقد أسارت في الفؤا د صدعاً على نأيها مُستطيرا
أي أبقت فيه .

وأما من لا يهزم فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنها سهلت همزتها . ومنهم من يراها مشبهة بسور البناء أي القطعة منه ، لأن كل بناء فإنما يبني قطعة بعد قطعة ، وكل قطعة منها سورة ، وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو ، وجمع سورة البناء سور بسكونها ...⁽²⁾ وفي حديثه عن دلالة لفظة (سورة) ذكر ما ذهب إليه أبو عبيدة في تفسير لفظة (سورة) قال أبو عبيدة: (وإنَّ ما سُميت سورة لا تُهمز، لأنَّ مجازها من سور البناء أي منزلة ثم منزلة، ومن همزها جعلها قطعة من القرآن، وسميت السورة لأنَّها مقطوعة من الآخرة، فلما قرن بعضها إلى بعض سُمي قرآناً. قال النابغة :⁽³⁾

ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب

أي منزلة، وبعض العرب يهزم سورة، ويذهب إلى (أسارت). نقول: هذه ليست من تلك.⁽⁴⁾ ومحصلة ذلك أن دلالة لفظة (سورة) تختلف بين الهمز والتخفيف فهي حينما تهزم تكون من (أسارت) إذا أبقيت بقية، وحينما تخفف تكون من سورة البناء⁽⁵⁾ وإن الذي ذكره ابن عطية في

(1) ديوان الأعشى : 93 جاء في الديوان (وبانت وقد أورت في الفؤا د صدعاً على نأيها مُستطيرا)

(2) المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي : 1 / 56-57

(3) ديوان النابغة : 18

(4) مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى : 1 / 3-5

(5) ظ: العين: 292 / 7 (سار) ، لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور : 4 / 386 (سور)

تفسير لفظة (سورة) لا يختلف عما ذكره أبو عبيدة في (مجاز القرآن) (1) وفضلا عما تقدم أن ابن عطية لم يقف عند المستوى الصوتي وأثره في بيان الفرق الدلالي بين سورة القرآن والبناء بل أرفده بالمستوى الصرفي وأثره في الدلالة فذكر أن سورة القرآن تجمع على زنة (سور) بضم السين وفتح الواو وسور البناء (سور) بضم السين وسكون الواو ، واختلاف صيغ جمع اللفظتين له أثر في اختلاف دلالتهما ومن ذلك نجد تعاضد الجانبين الصرفي والصوتي في بيان الفرق الدلالي بين اللفظتين .

ويبدو أن ابن عطية وقف عند الإشارة إلى الفرق الدلالي بين اللفظتين ولم يرجح أيًا منهما الأصل في سورة القرآن ، ولعل الراجح من ذلك أن الأصل في سورة القرآن لفظة (سورة) غير المهموزة و ليست من (أسارت) بمعنى أبقيت فيه بقية وإن قرأت بالهمزة فهو خروج عن الأصل و(سورة) بغير الهمز تبدو أكثر انسجاما مع سياق الآية التي استعملت فيه المفردة في القرآن الكريم (2).

2- نبي و نبيء:

من المفردات التي اختلفت دلالتها بين الهمز والتخفيف لفظة (نبي) فقد يهمز بعض العرب فيقول: (نبيء) ولا يهمزها الآخرون – وقد ظهر أثر ذلك في القراءات القرآنية إذ قرئ قوله تعالى : ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة : 61) و في هذه الآية تحدث ابن عطية عن دلالة لفظة(نبي) التي اختلفت

دلالتها بالهمز والتخفيف يقول : " وقرأ نافع : بهمز ﴿النَّبِيِّنَّ﴾ (3)

(1) ظ: مجاز القرآن : 1 / 3-5

(2) ظ: الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز : عبد القادر سيللا : 756 – 758 (رسالة ماجستير)

(3) ظ : الحجة للقراء السبعة : أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار علي الفارسي : 1 / 305

وكذلك حيث وقع في القرآن ، إلا في موضعين : ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ

﴿(الأحزاب : 50) بلا مد ولا همز ، ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا

﴿(الأحزاب : 53) ، وإنما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد وترك

الهمز في جميع ذلك الباقي ، فأما من همز فهو عنده من " أنبا " إذا أخبر ، اسم فاعله منبئ فقيل
نبيء ، بمعنى منبئ ، كما قيل : سميع بمعنى مسمع ، واستدلوا بما جاء من جمعه على نبياء . قال
الشاعر : (1)

يا خاتم النبأ إنك مُرسَلٌ بالحق كلُّ هدى إله هداكا

فهذا كما يجمع فعيل في الصحيح " كظريف " وظرفاء وشبهه. قال أبو علي (2) : " زعم
سيبويه(3) أنهم يقولون في تحقير النبوة : كان مسيلمه نبوته نبئية سوء ، وكلهم يقولون تنبأ مسيلمه
فاتفاقهم على ذلك دليل على أن اللام همزة " واختلف القائلون بترك الهمز في نبيء ، فمنهم من
أشتق لفظة (نبي) من همز ثم سهل الهمز ومنهم من يقول : " هو مشتق من نبا ينبو إذا ظهر ،
فالنبي الطريق الظاهر ، وكان النبي من عند الله طريق الهدى والنجاة ، وقال الشاعر : (4)

**لما وردن نبياً واستتب بنا مُسَخَّنْفَرٌ كخطوط السيح
منسحلٌ**

واستدلوا بأن الأغلب في جمعه أنبياء كفعيل في المعتل ، نحو ولي وأولياء وصفي وأصفياء حكى
الزهرابي أنه يقال نبوء إذا ظهر فهو نبيء ، والطريق الظاهر نبيء بالهمز وروي أن رجلاً قال
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : السلام عليك يا نبيء الله ، وهمز ، فقال له النبي عليه السلام :
لست بنبيء الله وهمز ولكني نبي الله ولم يهمز .

قال أبو علي (5) : (ضعف سند هذا الحديث ، ومما يقوي ضعفه أنه صلى الله عليه وآله - وآله -
وسلم ، قد أنشده المادح ياخاتم النبء ولم يؤثر في ذلك إنكار ، والجمع كالواحد) (6)

(1) ديوان العباس بن مرداس : 95 جاء في الديوان (هدى السبيل هداكا)

(2) ظ: الحجة للقراء السبعة : 305/1

(3) ظ: الكتاب : 510 - 509 / 3

(4) ظ: جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي : 289

(5) ظ: الحجة للقراء السبعة : 306 / 1

(6) المحرر الوجيز : 155/1

ولعل الفكرة التي ينطوي عليها النص قد نوه بها الطوسي في (التبيان) يقول : (قرأ أهل المدينة النبيئين - بالهمز- والباقون بغير همزة وترك الهمزة هو الاختيار وأختلفوا في أشنقائه فقال بعضهم : من انبائك الأمر : كأنه انبأ عن الله وأخبر عنه فترك الهمز لكثرة الاستعمال وقال الكسائي : النبي : الطريق يراد به أنه علم وطريق الى الحق وأصله من النبوة والنجوة : المكان المرتفع)⁽¹⁾

وفي ضوء ما تقدم أن الهمز والتخفيف قد ترك أثرا في دلالة المفردة فهي بدون همز تعني النبو والارتفاع⁽²⁾، أمّا إذا همزت فإن دلالتها تكون من الإنباء وهو الأخبار⁽³⁾ .

ويتضح مما تقدم إدراك ابن عطية للقيمة الدلالية للهمزة وما لها من أثر في تغيير دلالة اللفظة في حال تخفيفها وتحقيقتها ، وأنّ الراجح لديه أنّ أصل مفردة (نبي) مشتقة من مادة (نبأ) المهموزة ، ويتضح من ذلك أنه كان تابعا لما ذهب إليه أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) في أنّ أصل مفردة (نبي) من (نبأ) المهموزة ودليل ذلك أنه اكتفى بما نقل عنه من تضعيف رأي من قال بتخفيف لفظة (نبي)

وفي ضوء ما تقدم أنّ أبا علي الفارسي وابن عطية رفضا أن تكون لفظة (نبي) مشتقة من النبوة التي تدل على النبو والارتفاع ، و الراجح في مفردة (نبي) أنّها مشتقة من (نبي) المهموزة والتي تدل على الأخبار لا من (نبي) التي تدل على النبو والارتفاع وذلك لاتفاق أصل القراءتين أحسن من اختلافهما وقد حدث في الهمزة تخفيف فأصبحت (نبي) .

3 - سأل - سال :-

من المفردات التي أشار ابن عطية إلى اختلاف دلالتها بين الهمز والتخفيف ما ورد في قوله تعالى : ﴿ سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج : 1) فقد قرىء الفعل (سأل) بالهمز

وبدون الهمز (سال) وهي قراءة نافع وابن عامر⁽⁴⁾ .

ولا شك أنّ هناك اختلافا كبيرا بين المفردتين إذ إنّ تغيير هذا الصوت بين الهمز والتخفيف ترك أثرا في دلالة المفردة يقول ابن عطية : فمن حقق بقراءته مفردة (سأل) أراد بها : " سؤال

(1) التبيان : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : 272 / 1

(2) ظ: لسان العرب : 302 / 15 (نبأ)

(3) ظ: العين : 282 / 8 (نبأ) ، لسان العرب : 302 / 15 (نبأ)

(4) ظ: الحجة للقراء السبعة : 61 / 4

الكفار عن العذاب " (1) أمّا من خفف فأراد بها : " هو من سال يسيل : إذا جرى وليست من معنى السؤال،... وقال زيد بن ثابت : في جهنم واد يسمى سايلاً ، والاخبار هاهنا عنه قال ابن عطية ويحتمل إن لم يصح أمر الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له لفظ السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه "(2) وقد أشار الطبري (ت 310 هـ) إلى هذا المعنى يقول : (اختلف القراء في قراءة قوله : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ فقرأته عامة القراء في الكوفة والبصرة ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ بهمز سأل سائل بمعنى سأل سائل من الكفار عن عذاب الله ، بمن هو

واقع وقرأ ذلك بعض قراء المدينة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ فلم يهزم سأل ووجهه إلى أنه فعل من السيل (3) وأضاف الزمخشري (ت 538 هـ) على ما ذكره الطبري بقوله : (وقرى " سال سائل " وهو على وجهين أمّا أن يكون من السؤال وهي لغة قريش ، يقولون سلت تسأل ، وهما يتسايلان ؛ وأن يكون من السيلان . يؤيده قراءة ابن عباس (سال سيل) والسيل مصدر في معنى السائل ، كالغور بمعنى الغائر . والمعنى : اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم (4) ويتضح مما تقدم أنّ الزمخشري ذكر دالتين للفعل (سال) على معنى السؤال في لغة قريش ودلالته على السيل والجريان لوادي العذاب الذي أرسله الله تعالى على الكفار ، ولابن عطية رأي آخر في أمر الوادي الذي ذكره معظم المفسرين يقول : " يحتمل أن لم يصح أمر الوادي أن يكون الأخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له لفظ السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه "(5)

وفي ضوء ما تقدم تكون دلالة الفعل (سأل) بالهمز مختلفة عن دلالة الفعل (سال) بدون همز إذ يؤدي كل منهما وظيفة لا يؤديها الآخر لأنّ دلالة الأول مأخوذة من السؤال عن العذاب (6) أمّا الثاني فدلالته في شمول هذا العذاب الذي نزل بهؤلاء القوم فهو مثل السيل (7) الذي يأتي على الكافرين فيكون فيه إهلاكهم ، ولعل الراجح في ذلك قراءة من قرأ (سأل) بالهمز وذلك لأنّها أكثر انسجاماً مع سياق الآية وسبب نزولها الذي ذكره ابن عطية من أنّ الآية نزلت على أثر سؤال الكفار عن العذاب ، كما أنّ قراءة الهمز موافقة لرسم المصحف.

(1) المحرر الوجيز : 364 / 5

(2) المصدر نفسه : 365 / 5

(3) جامع البيان : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : 69 / 29

(4) الكشاف : 611 / 1

(5) المحرر الوجيز : 364 / 5

(6) ظ: لسان العرب : 319 / 11 (سأل)

(7) ظ : المصدر نفسه .

4- هيت – هنت :-

من المفردات التي أشار ابن عطية إلى اختلاف دلالتها بين الهمز والتخفيف ما ورد في قوله

تعالى : ﴿وَرَاوَدْتُهُ أَيُّ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ

اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: 23) يقول : (قرأ نافع وابن

ذكوان (هيت لك) بكسر الهاء من غير همز وفتح التاء وهشام كذلك إلا أنه يهمز وقد روي عنه

ضم التاء وابن كثير بفتح الهاء وضم التاء والباقون بفتحهما (1) وعلى الرغم من اختلاف

القراءتين في حرف واحد فقد أعطى ذلك الاختلاف بعدا دلاليا واسعا للمفردة إذ يقول ابن عطية

: "وقرأ ﴿ هَيْت ﴾ ومعناه الدعاء أي تعال وأقبل على هذا الأمر، قال الحسن : معناها هلم ... وقرأ

هشام ﴿ هَيْت ﴾ بكسر الهاء والهمز ، ضم التاء ... وهذا يحتمل أن يكون من هاء الرجل يهيه

أذا أحسن هيئته – على مثال جاء يجيء – ويحتمل أن يكون بمعنى تهيأت ، كما يقال : فنت

وتفياآت بمعنى واحد (2) و يمكننا أن نشير إلى موقف مشابه لموقف ابن عطية تبناه الزمخشري

يقول : (﴿ هَيْت ﴾ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء ، و بناؤها كبناء أين وعيط . وهيت كجبر

وهيت كحيث . وهنت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيه كجاء يجيء : إذا تهيأ ... (3)

ويتضح مما تقدم أنّ (هيت) التي بالياء بمعنى هلم أي تعال (4) ، أمّا تلك التي قرئت بالهمز (هنت)

(هنت) فهي من تهيأت والهيء : أي الحسن الهيئة من كل شيء (5) ، وهنا نصل إلى ابن عطية

لنبيين موقفه مما تقدم فيتضح أنه قد أدرك الفرق الدلالي بين لفظة (هيت) التي بالتخفيف وبين

(هنت) التي بالتحقيق ، والراجح أنّ كلا المعنيين في القرآن الكريم والقراءة القرآنية مطلوب

وكليهما مقصود في إبراز الواقعة من جهة وذلك لأنّ الوقت الذي استعدت فيه وتهيأت له دعت

إلى نفسها ومن جهة أخرى مثل اختلاف القراءة في الآية الكريمة الإعجاز اللغوي القرآني في

الأحاطة بالمعنى واللهجة (6).

ثانيا : التخفيف والتشديد :-

(1) التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو عثمان الداني: 104

(2) المحرر الوجيز : 232 /3 – 233

(3) الكشف : 463 /2

(4) ظ: العين : 4 /80 -81 (هيت)

(5) ظ: المصدر نفسه : 4 /103 (هنت)

(6) ظ: الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر : أ. رانية محفوظ : 111

تنبه علماءنا الأوائل إلى ظاهرتي التشديد والتخفيف وأثرهما في الدلالة ويبدو هذا واضحا في مؤلفاتهم من خلال الحديث عما تتركه هاتان الظاهرتان من أثر في دلالة المفردة .

فقد أشار ابن جني إلى الأثر الدلالي الذي توحى به ظاهرة التشديد قائلا : (أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا كَسَرَ وَقَطَعَ)⁽¹⁾ فالتضعيف الحاصل في عين الفعل دل على الإستمرار والمداومة والتكرار للفعل .

وتدخل ظاهرة التشديد في ميدان الأفعال والأسماء وتترك أثرا دلاليا في تلك المفردات ، وقد أشار ابن عطية إلى ما تؤديه هذه الظاهرة من دلالات في عدد من الآيات القرآنية موضحا أختلاف القراء في قراءة هذه المفردات ذكرا دلالتها في القراءات المختلفة ومن المعاني التي أشار إليها .

أ- المبالغة :-

أشار ابن عطية إلى طائفة من الألفاظ التي قرئت بالتشديد وذكر أنَّ القصد من هذا التضعيف في بنية المفردة هو المبالغة ومن ذلك :

1- يُنْسِيَنَّكَ :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذُّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿الأنعام : 68﴾ إختلفوا في قراءة ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ (كلهم قرأ ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ ساكنة النون

الأولى وبتشديد الثانية غير ابن عامر فإنه قرأ ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ بفتح النون الأولى وتشديد

السين مع النون الثانية)⁽²⁾ وذكر ابن عطية دلالة تشديد السين

في قراءة ابن عامر يقول : " وقرأ ابن عامر وحده ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾⁽³⁾ بتشديد السين وفتح النون

(1) الخصائص : 2 / 153

(2) السبعة في القراءات : لابن مجاهد : 1 / 260

(1) جاءت قراءة مفردة (ينسيتك) في كتب القراءات عن ابن عامر بالشكل الذي ذكرته أعلاه وجاءت في (المحرر الوجيز) بهذا الشكل (ينسنتك) بإسقاط الياء وأظنه خطأ في الطبع

والمعنى واحد ، إلا أنَّ التشديد أكثر مبالغة" (1)

ويتضح مما تقدم أنَّ التشديد قد ترك أثرا في دلالة المفردة وإن كانت المفردة بالتشديد والتخفيف تؤدي معنى واحدا كما ذكر ابن عطية إلا أنَّ قراءة التخفيف لا تخلو من الدلالة على أنَّ مجالسة الذين يخوضون في آيات الله هي من فعل الشيطان ووسوسته في نفس الإنسان لينسيه الشيطان ذكر الله ، أمَّا قراءة التشديد فدللت على تأثير الشيطان عليه حتى يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله وإن و سوس الشيطان في نفسه وأغواه بمكره يتوجب عليه أن يذكر ما أمر الله به من الأبتعاد عن مجالستهم ومنادمتهم . (2)

ويتبين مما تقدم أنَّ ابن عطية قد أدرك أثر التشديد في دلالة الألفاظ وإن لم يكن يحدث ذلك التشديد تغييرا جذريا في دلالة المفردة إلا أنه أكسب المفردة دلالة مضافة إلى دلالتها الأصلية .

2- يُنَزَّلُ :

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (النور: 43) قرئت ﴿

يُنَزَّلُ ﴾ بتشديد الزاي وتخفيفها ، فقرأ بالتشديد عاصم والأعرج ، وقرأ بالتخفيف ابن كثير وأبو

عمرو ويعقوب (3) . وقد التفت ابن عطية إلى دلالة (ينزل) في قراءة من قرأ بالتشديد يقول : "

وقرأ عاصم والأعرج ﴿ يُنَزَّلُ ﴾ على المبالغة والجمهور على التخفيف" (4) ويتضح من

النص المتقدم أنَّ التشديد قد ترك أثرا في دلالة مفردة (ينزل) فهي مع التشديد تعني المبالغة في نزول البرد من السماء ، أي طبيعة نزوله تتعدى حدود ذلك النزول الطبيعي المعتاد الذي اعتاده البشر لذلك دل التشديد على المبالغة مثلما ذكر ابن عطية ، والسياق الذي وردت فيه مفردة (ينزل) في أشد الحاجة إلى ذلك التشديد الذي دل على المبالغة تناسبا مع

(2) المحرر الوجيز : 304 / 2

(3) ظ: الكشاف : 34 / 2 ، البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي : 157 / 4 ، الميزان : السيد محمد حسين الطباطبائي : 145 / 7 ، الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر : 165

(4) ظ : إتحاف فضلاء البشر : شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني الدماطي : 412 / 2

(5) المحرر الوجيز : 190 / 4

مفرداته التي تدل على الكثرة والمبالغة ومن هذه الألفاظ (الجبال) فلم يذكر سبحانه جبلا واحدا من ذلك البرد المتجمد بل ذكر سلسلة من الجبال المغطاة بالبرد فضلا عن شدة توهج نور البرق المرافق للبرد فكان ذلك دليلا على كثرة البرد النازل من السماء لذلك كان السياق الذي وردت فيه لفظة (ينزل) بالتشديد في حاجة كبيرة إلى التشديد الذي دلّ على المبالغة في النزول .

3- حُشِرَتْ: -

ومن المفردات التي قرئت بالتشديد والتخفيف لفظة (حشرت) الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (التكوير : 5) ورد الفعل في القرآن الكريم (حشرت) بالتخفيف وقرئ بالتشديد ولاشك أنّ هناك اختلافا كبيرا بين المفردتين إذ إنّ تضعيف الحرف في المفردة يؤدي إلى تغيير دلالتها وهذا ما ذكره ابن عطية يقول : " قرئت ﴿ حُشِرَتْ ﴾ بشد الشين على المبالغة (1) "

ويبدو مما تقدم أنّ التشديد كان له أثر في دلالة المفردة فهي من دونه تعني جمع الوحوش وبه تدل على المبالغة في الجمع هذا ما يراه ابن عطية في وقوفه على تفسير لفظة (حشرت) . وفي ضوء ما تقدم أنّ قراءة التخفيف أرجح من التشديد على الرغم من أنّ السياقات الأخرى المجاورة للآية كثرت فيها الألفاظ التي دلت على المبالغة بتشيدها إلا أنّ عزوف معظم المفسرين (2) . عن ذكر قراءة التشديد وإنفراد ابن عطية بالأشارة إلى هذه القراءة ودلالتها جعلنا نميل إلى اختيار قراءة التخفيف وكان الى جانب المفسرين القراء ومنهم ابن خالويه الذي قال (حشرت أن حشر الوحوش إنّما هو موتها وفناؤها أو حشرها لتقتص بعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا والتشديد إنّما هو للمداومة وتكرير الفعل ولاوجه لذلك في حشر الوحوش) (3) فضلا عن ذلك أنّ رسم المصحف يؤيد قراءة التخفيف ولعل نص ابن خالويه ورسم المصحف يؤكدان ما ذهبنا إليه من ترجيح قراءة التخفيف لمفردة (حشرت) بدلا من التشديد ، ووجدت مثل ذلك في لفظة (قَتَلَتْ) (4) و(فَفَتَحْنَا) (5) و(صرّفنا) (6) وغيرها .

ب- التّكثير : -

(1) المحرر الوجيز : 441 / 5
(2) ظ: التبيان : 281 / 10 ، مجمع البيان : الطبرسي : 673 / 10 ، الميزان : 322 / 20
(3) الحجة في القراءات السبع : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه : 239
(4) ظ: المحرر الوجيز : 442 / 5
(5) ظ: المصدر نفسه : 214 / 5
(6) ظ: المصدر نفسه : 458 / 3

من بين المعاني التي ينصرف إليها اللفظ عند دخول التشديد في بنيته التكثر لأن التضعيف في عين الفعل يدل على تكثير الفعل وتكراره مثل (قطع وقطع) وقد جاءت طائفة من الألفاظ في القرآن الكريم اختلف القراء في قراءتها فمنهم من قرأ بالتخفيف ومنهم من قرأ بالتشديد لبيان معنى التكثر وقد وقف ابن عطية عند طائفة من الألفاظ ذاكرا ما ورد فيها من قراءات مختلفة بين التخفيف والتشديد موضحا الدلالات الناتجة عن كل قراءة ومن الألفاظ التي أشار إليها لفظه (قطعن) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (يوسف : 31)

ولاشك أن هناك معنى زائدا في لفظه (قَطَّعْنَ) التي وردت بالتشديد في الآية الكريمة إذ إن تضعيف الحرف في اللفظة يؤدي إلى اختلاف دلالتها وهذا ما ذكره ابن عطية بقوله : " وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أي أكثرن الحز فيها بالسكاكين ، وقال عكرمة : (الأيدي) هنا الأكمام وقال مجاهد هي الجوارح ، وقطعنها حتى ألقينها .

يقول ابن عطية : فظاهر هذا أنه بانء الأيدي ، وذلك ضعيف من معناه ، وذلك أن قطع العظم لا يكون إلا بشدة ، ومحال أن يسهو أحد عنها ، والقطع على المفصل لا يتهيا إلا بتلطف لا بد أن يقصد ، والذي يشبه أنهم حملن على أيديهن الحمل الذي كن يحملنه قبل المتك فكان ذلك حزاً وهذا قول الجماعة. وضوعفت الطاء في ﴿ وَقَطَّعْنَ ﴾ لكثرتهم وكثرة الحز فربما كان مراراً⁽¹⁾

وقال الطبري (ت310هـ) : (وقوله : ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك

فقال بعضهم معناه : أنهم حزرن بالسكين في يديهن وهن يحسبن أنهم يقطعن الأترج⁽²⁾ وفي ضوء ما تقدم يتضح أن التشديد يدل في الآية الكريمة على كثرة الحز فربما كان مرارا وهذا الذي ذكره ابن عطية في وقوفه على لفظه (قطعن) في الآية الكريمة . ونجد مثل ذلك في مواضع أخرى⁽³⁾ أمّا التخفيف فهو ما يقابل التشديد وله أثر دلالي في الألفاظ وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ اختلفت في قراءتها بين التخفيف والتشديد

وقد أشار ابن عطية إلى عدد من الألفاظ التي قرئت بالتخفيف والتشديد موضحا الدلالة التي تنصرف إليها اللفظة في كل حال كما تقدم ذكره ومن ذلك أيضا لفظه (ميّت وميّت) وهي من الألفاظ التي أشار إليها ابن عطية وذكر اختلف دلالتها بين التخفيف والتشديد وذلك في قوله

(1) المحرر الوجيز : 239 / 3

(2) جامع البيان : 206 / 12

(3) ظ : المحرر الوجيز : 1 / 463 ، 3 / 492 ، 2 / 126

تعالى : ﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (آل عمران : 27) وردت

لفظة ﴿ الْمَيِّتِ ﴾ بالتشديد وهي قراءة حفص عن عاصم ، وقرئت بالتخفيف وهي قراءة ابن كثير

وعاصم ⁽¹⁾ ولا شك أنّ هناك اختلافا كبيرا بين القراءتين فدلالة التي بالتشديد غير دلالة (مَيِّت)

التي بالتخفيف وقد أشار إلى ذلك ابن عطية يقول : " ﴿ الْمَيِّتِ ﴾ بالتخفيف إنّما يستعمل في ما

قد مات وأما ﴿ الْمَيِّتِ ﴾ بالتشديد فيستعمل في ما قد مات وفيما لم يميت بعد " ⁽²⁾ ووقف الطوسي

(ت 460هـ) عند هذه المسألة يقول : (والفرق بين تخفيف الياء وتشديدها أنّ الميت بالتخفيف

الذي قد مات وبالتثقل الذي لم يميت قال المبرد: ولا خلاف بين علماء البصريين أنهما سواء

وأشدد لأبن الرعلاء الغساني : ⁽³⁾

ليس من مات فاستراح بمَيِّت

إنّما المَيِّت مَيِّت الأحياء

إنّما الميت من يعيش كئيباً

كاسفا باله قليل الرجاء

فجمع بين اللغتين وإنما كرر في عدة مواضع في القرآن لما فيه من عظم المنفعة

وجزيل الفائدة. ⁽⁴⁾

ويبدو مما تقدم أنّ ما ورد عن ابن عطية في بيان دلالة اللفظة أخذه من استعمال العرب لها وهو

يرى أنّ لفظة (مَيِّت) بالتشديد أعم من لفظة (مَيِّت) بالتخفيف لأنّ الثانية تدل على من فارقت

الروح فهو (مَيِّت) أمّا لفظة (مَيِّت) فإنّها تصلح لمن فارقت الروح ولمن لم يميت بعد فهي أعم

من (مَيِّت) .

ولعل الراجح مما جاء في القرآن الكريم هي قراءة من قرأ (مَيِّت) بالتخفيف وذلك لأنّ سياق

الآية قد أشار إلى (المَيِّت) الذي قد مات وقراءة ميت بالتخفيف هي الأكثر إنسجاما مع السياق

العام للآية الكريمة .

ثالثا: الإبدال

(1) ظ: السبعة في القراءات : ابن مجاهد : 203

(2) المحرر الوجيز : 418 / 1

(3) ظ: الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : 308 / 10

(4) التبيين في تفسير القرآن : 432/2

الإبدال ظاهرة لغوية مشتركة بين الصوت والتصريف منها ما هو قياسي يخضع لظوابط محددة مثلما يحصل في صيغة (افعل) ومنها ما يتصل باللهجات العربية مثل قول العرب (جدث وجدف) ويقصد به إحلال حرف مكان حرف آخر في بنية المفردة يكون مقاربا له في الصفة أو المخرج أو كليهما⁽¹⁾ . مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة ويؤدي هذا الإبدال إلى أحداث أثر في دلالة المفردة نتيجة لما يحمله هذا الحرف من قيمة تعبيرية ويدخل الإبدال بنية الكلمة في جميع حروفها فقد يكون الإبدال في الفاء أو العين أو اللام ، وقد ورد في تفسير ابن عطية ما يمثل هذه الظاهرة مع الإشارة إلى الأثر الدلالي الذي يحدث نتيجة هذا الإبدال وفيما يأتي عرض لما ذكره ابن عطية :

أولا : - الإبدال بين الصوامت : -

1-الإبدال في فاء الكلمة :

يحدث بين الأصوات التي بينها تقارب في المخرج والصفة وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في حديثه عن هذا الإبدال في طائفة من المفردات منها :

أ- بكة ومكة :-

يحدث الإبدال بين الباء والميم لأنهما متقاربان في المخرج فهما من الأصوات الشفوية⁽²⁾ ، وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران : 96) فقد ذكر حين فسر هذه الآية أنَّ هذا من الإبدال بين الميم

والباء موضحا الأثر الدلالي الذي نتج عنه يقول : " وأختلف الناس في ﴿ بَكَّةَ ﴾ فقال الضحاك

وجماعة من العلماء : (بكة هي مكة ، فكأن هذا من إبدال الباء بالميم على لغة مازن وغيرهم ،

وقال ابن جبير وابن شهاب وجماعة كثيرة من العلماء مكة الحرم كله و ﴿ بَكَّةَ ﴾ مزدحم الناس

حيث يتباكون ، وهو المسجد وما حول البيت ، وقال مالك في سماع ابن القاسم من العتبية : ﴿

بَكَّةَ ﴾ موضع البيت ، ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم : يريد القرية قال الطبري : ما

(1) ظ: الإبدال : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : 9

(2) ظ: سر صناعة الأعراب : 131 / 1 ، 89 / 2

خرج عن موضع الطواف فهو مكة لا بكة ، وقال قوم : ﴿ بَكَّة ﴾ ما بين الجبلين ومكة الحرم كله

(1)»

ويبدو من النص المتقدم اضطراب الأقوال في هاتين المفردتين وهل هما موضعان أو حدث فيهما إبدال بين الباء والميم ؟ وحين نجعل هذا من باب الإبدال كما أشار بعضهم إلى ذلك لتقارب المخرجين بين الميم والباء أو لأنهما من الأصوات الشفوية مما يسوغ الإبدال بينهما نجد أن لكل منهما دلالة مختلفة مفردة (بكة) بالباء تعني المكان الذي يزدحم فيه الناس⁽²⁾ وهو المسجد وذلك ؛ لأن المسجد هو الذي يكون فيه الازدحام للطواف لا غيره من المواضع ولعلمهم عدلوا في ذلك من حرف الميم إلى الباء في مفردة (بكة) وذلك لما عرفت به الباء من الغلظة والشدّة⁽³⁾ ، لذلك كانت (الباء) أكثر مناسبة لدلالة لفظة (بكة) وهي تراحم الناس فيما بينهم ، أمّا (مكة) بالميم فهي تعني الحرم كله وما حوله من المواضع الأخرى ومنهم من قال هي اسم للقريّة كلها ولذلك أقاموا (الميم) في (مكة) بدلا من حرف (الباء) وذلك لما دل عليه حرف الميم من الجمع⁽⁴⁾ لذلك ناسبت الدلالة التي دلت عليها مفردة (مكة) والتي تعني مك الماء واستخراجه والجد في جمعه وذلك لقلّة ماء مكة⁽⁵⁾ .

ويتضح مما تقدم أنّ الإبدال الحاصل في لفظة (مكة) أدى إلى تغيير دلالة المفردة وهذا ما تنبه عليه ابن عطية ومعه جمع من المفسرين ومنهم الطبري⁽⁶⁾ والبيهقي⁽⁷⁾ ويمثل هذا الإبدال بين (الباء والميم) ظاهرة لهجوية شاعت في استعمال القبائل البدوية ومنها قبيلة أسد⁽⁸⁾ ، وحين نحتكم إلى سياق الآية الكريمة نجد أنّ حديث هؤلاء المفسرين ومنهم ابن عطية لا مسوغ له في هذا الباب ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى حينما وضع لفظة (بكة) في هذا الموضع لم يكن المقصود إبدالها من مكة وإنما جيء بلفظة (بكة) للتعبير عن الدلالة التي تحملها وهي بك الناس بعضهم بعضا في الزحام ومن ذلك فإنّ الذهن ينصرف إلى المكان الذي يزدحم فيه الناس وهو المكان المتعارف عليه في مكة (المسجد الحرام) فالمقصود من بكة الموضع الذي يكثر فيه الزحام ويبيك الناس بعضهم بعضا .

(1) المحرر الوجيز : 48 / 1

(2) ظ: العين: 425/1 (بك) ، لسان العرب : 402/10 (بك)

(3) ظ: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن : د. محمد فريد عبد الله : 17

(4) ظ: المصدر نفسه .

(5) ظ: المخصص : 16 / 1 ، لسان العرب : 490 / 10 (مك)

(6) ظ: جامع البيان : 7/3

(7) ظ: معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البهقي : 70-71

(8) ظ: لهجة قبيلة أسد : د. علي ناصر غالب : 88

ب- عزم وحزم :-

يحدث الإبدال بين العين والحاء لأنهما متقاربان في المخرج فهما من الأصوات الحلقية⁽¹⁾ ، وقد

أشار ابن عطية إلى ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(آل عمران : 186) يقول : " العزم : هو أمضاء الأمر المروي المنقح وليس ركوب الأمر دون

روية عزمًا و (الحزم) : هو جودة النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه " ⁽²⁾ وقد وقف

وقف الزمخشري على لفظة (عزم) يقول : (﴿ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾) من معزومات الأمور ، أي

مما يجب العزم عليه من الأمور ...) ⁽³⁾ وبهذا تمكن ابن عطية من الرد على (النقاش) الذي

ساوى بينهما في الدلالة يقول : (وهذا خطأ ، والحزم النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ

فيه و "العزم " قصد الإمضاء والله تعالى يقول : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ ﴾

(آل عمران : 159) فالمشاورة وما كان في معناها هو الحزم والعرب تقول : ⁽⁴⁾ قد أحزم لو

أعزم " ⁽⁵⁾

وفي ضوء ما تقدم أنّ هناك اختلافًا في دلالاتي كل من (عزم وحزم) نتيجة الإبدال الذي حصل

في الأول منهما وهذا ما أشار إليه ابن عطية في تفسيره ورد ما ذكره النقاش من كون المفردتين

بدلالة واحدة ، وهذا يدل على أنّ ابن عطية كان ينظر إلى الفروق اللغوية الدقيقة بين المفردات

وإن تقاربت معانيها ، ولعلمهم أبدلوا حرف (الحاء) بالعين في لفظة (العزم) لما عليها هذه

المفردة من المضي في الأمور ، فدلالة اللفظة تبدو أكثر تناسبا مع ما امتازت به (العين) من

(1) ظ: سر صناعة الأعراب : 1 / 214 ، 191

(2) المحرر الوجيز : 1 / 155

(3) الكشاف : 1 / 478

(4) ظ: المستقصى في أمثال العرب : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري : 189/2

(5) المحرر الوجيز : 1 / 551

النصاعة والطلاقة والفخامة إذ كانت لدى الخليل من أضخم الحروف جرساً⁽¹⁾ . وأبدلوا حرف الحاء بالعين في لفظة (الحزم) لدلالاتها على التأنى والتروي في اتخاذ القرارات المناسبة وذلك لما تميز به حرف (الحاء) من الرقة⁽²⁾ ، التي جعلته مناسبة لدلالة تلك المفردة التي تدل على الحلم والصبر . وإنَّ ما في لفظة (العزم) من دلالة جعلتها هي الأكثر مناسبة للسياق الذي وردت فيه اللفظة .

2- الإبدال في عين الكلمة :-

مثلما جرى الإبدال في فاء الكلمة يجري في عين الكلمة ويشترك هذا الإبدال في إحداث تغيير في دلالة المفردة ومما ذكره ابن عطية لفظة (شَعَفَهَا) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ قَدْ شَعَفَهَا

حُبًّا ﴾ (يوسف : 30) أشار إلى أنَّ في الآية قراءتين أحدهما ﴿ شَعَفَهَا ﴾ بالعين وهي الموافقة

لرسم المصحف والأخرى (شَعَفَهَا) بالعين وقد جرى الإبدال بين حرفي (الغين والعين) في هذه اللفظة لأنَّهما حرفان متقاربان في الصفة ولأنَّهما صوتان مجهوران مما يجعل الإبدال بينهما سائغاً وقد ترك هذا الإبدال أثراً في دلالة اللفظة ذكره ابن عطية حين فسر هذه الآية بقوله : " و ﴿ شَعَفَهَا ﴾ معناه : بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف ، وهو على أكثر القول

غلاف من أغشية القلب "⁽³⁾ ثم ذكر في الشغاف قولين : أحدهما : (الشغاف) : سويداء القلب ، والآخر الشغاف : داء يصل إلى القلب .⁽⁴⁾

ثم روى قراءتها بالعين يقول : (قرأ أبو رجاء والأعرج وعلي بن أبي طالب والحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف وثابت وعوف ومجاهد وغيرهم : (قد شَعَفَهَا) بالعين غير منقوطة⁽⁵⁾ ، ولذلك وجهان : أحدهما أنَّه علا بها كل مرقة من الحب ، وذهب بها كل مذهب فهو مأخوذ - على هذا - من شَعَفَ الجبال وهي رؤوسها وأعاليتها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه

(1) ظ: العين : 53/1

(2) ظ: الخصائص : 185/2

(3) المحرر الوجيز : 238 /3

(4) ظ: المصدر نفسه .

(5) المحتسب: أبو الفتح عثمان بن جني : 9/2

– وآله - وسلم : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)⁽¹⁾ . والوجه الآخر أن يكون الشعف لذة بحرقه يوجد من الجراحات والجرب ونحوها ومنه قول امرئ القيس :⁽²⁾

أَيَقْتَلْنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجْلُ
الطَّالِي

والمشعوف في اللغة الذي أحرق الحب قلبه ، ومنه قول الأعشى :⁽³⁾

تَعْصِي الْوَشَاةَ وَكَانَ الْحَبِّ مِمَّا يُزَيْنُ لِلْمَشْعُوفِ مَا صَنَعَا⁽⁴⁾
مُؤَانَةً⁽⁴⁾

وقد ذكر ذلك المعنى غير واحد من المفسرين ، وقد اختلفوا في توجيه دلالة لفظة (شعف) التي بالغين (وشعف) التي بالعين ، فذكرت طائفة منهم أنّ دلالة لفظة (شعف) التي بالغين تدل على أنّ حب النبي يوسف (عليه السلام) قد خرق حجاب قلبها⁽⁵⁾ وقال آخرون : إنّ حبه قد بلغ سويداء سويداء قلبها⁽⁶⁾ ومنهم إلى أنّ حبه (عليه السلام) قد دخل تحت شغاف قلبها وغلب عليه⁽⁷⁾ وأما دلالة لفظة (شعف) التي بالعين فهي أنّ حب النبي يوسف (عليه السلام) قد أحرق قلب زليخة والأصل في ذلك مأخوذ من طلي البعير بالقطران إذا أصيب بمرض ما أو أنّها تدل على أنّ الحب قد ذهب بها كل مذهب وأصل ذلك مأخوذ من رؤوس الجبال وأعاليتها⁽⁸⁾ وعلى الرغم من هذه الاختلافات فإنّ لفظة (شعف) تدل على أنّ الحب قد وصل إلى شغاف قلبها ، و(الشغاف) لغة : هو غلاف يحيط بالقلب فهو دونه كالحجاب⁽⁹⁾ ، وقد أوحى بذلك صوت (الغين) الرخو المجهور⁽¹⁰⁾ الذي يدل على الغموض والخفاء وفي دلالاته هذه يكون أكثر مناسبة لدلالة (شعف) وأما من قرأ (شعف) بالعين فأراد بها أنّ الحب قد ذهب بها كل مذهب فحبه قد ترك لوعة وحرقة في قلبها وقد أوحى بذلك صوت العين المجهور⁽¹¹⁾ الذي يعد من أنصع

(1) صحيح البخاري : 3 / 1318 ، بحار الأنوار : العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي : 64 / 117

(2) ديوان امرئ القيس : 142 ، وجاءت لفظة (شعفت) و (شعف) بالعين المنقوطة أي (الغين) .

(3) ديوان الأعشى : 120 ، وجاءت لفظة (للمشعوف) بالعين المنقوطة أي (الغين)

(4) محرر الوجيز : 3 / 238 ،

(5) ظ: معاني القرآن : 2 / 42 ، المحتسب : 1 / 339 ، الكشاف : 2 / 462

(6) إعراب القرآن : 3 / 105

(7) فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني : 3 / 25

(8) التبيين : 6 / 129 ، الكشاف : 2 / 436 ، الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد

القرطبي : 5 / 176 – 177 البحر المحيط : 5 / 300 ، نظم الدرر : برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي

: 4 / 34 ، ر و ح المعاني : أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي : 6 / 226 ، فتح القدير : 4 / 24

(9) ظ : والصاحح : الجوهري : 4 / 1382 ، ومقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس : 3 / 195

(10) ظ: الكتاب : 4 / 573 - 574

(11) المصدر نفسه.

الحروف وأفخمها جرساً⁽¹⁾ والذي يدل على الظهور والعلانية ، وفي دلالاته هذه يكون أكثر مناسبة مع دلالة (شعف) . وأمّا الراجح من بين القرأتين فهي قراءة من قرأ (شغف) بالغين وذلك لدلالاتها التي تعد أكثر انسجاماً مع السياق الذي وردت فيه اللفظة ورسم المصحف .

3- الإبدال في لام الكلمة :-

تتأثر المفردات حين يحدث الإبدال في لامها مثلما تأثرت المفردات التي حدث الإبدال في فائها وعينها ، وأشار ابن عطية إلى هذا الإبدال حين تحدث عن قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ

عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾ (طه : 18) يقول: "

﴿ أَهْشُ ﴾ ومعناه : أخطب بها الشجر حتى ينتثر بها الورق للغنم و(أهس) معناه أزجر بها

الغنم وأخوّف⁽²⁾ ويحصل الإبدال بين الشين والسين لأنهما من الأصوات المتقاربة في صفة الهمس⁽³⁾ ، وقد قرئ الفعل (أهش) بالشين وهي قراءة إبراهيم (وأهس) بالسين وهي قراءة عكرمة⁽⁴⁾ . وأشار ابن عطية إلى اختلاف دلالة لفظة (أهش) بالسين المعجمة عن (أهسّ) بالسين المهملة وقد ذكر الزمخشري ذلك المعنى يقول : (﴿ وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ هسّ الورق خبطه أي : أخطبه على رؤس غنمي تأكله ... وعن عكرمة (أهس) بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها . والهس : زجر الغنم)⁽⁵⁾ .

ويبدو مما تقدم أنّ هذا الإبدال نتج عنه تغيير في دلالة لفظة (أهش) عندما قرئت بالسين وذلك أنّ دلالة (أهش) بالسين هي ضرب أغصان الشجر ليتهاثر ورقها على رؤس الغنم

(1) ظ: العين : 53 / 1

(2) المحرر الوجيز : 41/4

(3) ظ: سر صناعة الأعراب : 217-211 / 1

(4) المحتسب : 94 / 2

(5) الكشاف : 59 / 3

فتأكله⁽¹⁾ ، و (أهس) بالسين تعني زجر الغنم⁽²⁾ ، وأبدلوا السين بالشين في لفظة (أهش) لدلالة (السين) على التفشي وعدم الانتظام⁽³⁾ ، لذلك ناسبت (أهش) التي دلت على ضرب أغصان الشجر بالعصا ليتساقط ورقه على رؤوس الأغنام فكانت طبيعة تساقط الورق تساقطا متفشيا وغير منتظم .

وأبدلوا الشين بالسين في لفظة (أهس) لأنَّ صوت السين من أصوات الصفيير⁽⁴⁾ ، والصفيير يمنح الأصوات شيئا من القوة لذلك ناسبت لفظة (أهس) التي تدل على الزجر والأمر وخاصة أنَّ السين من الأصوات التي تتأثر بالسياق لذلك دلت على الشدة والعنف على الرغم من أنَّها صوت رخو مهموس مرقق⁽⁵⁾ .

أمَّا القراءة الأراجح من هاتين القراءتين فهي قراءة من قرأ (أهش) بالشين لكونها أكثر مناسبة للسياق الذي وردت فيه من قراءة (أهس) بالسين وذلك لعلتين :

إحدهما : -

إنَّ قراءة من قرأ (أهس) بالسين هي من القراءات الشاذة التي انفرد ابن جني بذكرها في (المحتسب)⁽⁶⁾ وقد أكد ذلك الطبرسي ووصفها من الشواذ⁽⁷⁾ .

ثانيهما : -

أنَّ النبي موسى (عليه السلام) لو كان في جوابه لفظة (أهس) كان عليه أن يقول : (أهس بها غنمي) لكنه قال : ﴿عَلَى غَنَمِي﴾ فضلا عن أن قوله : ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ فيه دلالة كبيرة على رقة قلب النبي موسى (عليه لسلام) وعاطفته التي بعثته إلى الرحمة بأغنامه ليجعل من العصا أداة لطعامها بدلا من ضربها وزجرها وفي ذلك دلالة على الخلق الكريم الذي تمثل في شخصية النبي موسى (عليه السلام) ، وفي قوله : ﴿عَلَى غَنَمِي﴾ دلالة حرف الجر على الفوقية الذي جعلت التعبير القرآني على لسان موسى يقول : ﴿عَلَى غَنَمِي﴾ بدلا من (بها

(1) ظ: العين : 344 / 3 (هش) ، لسان العرب : 364 / 6 (هشش) ، القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي 293 / 2 (هشش) ، وأشار المفسرون إلى هذا المعنى منهم : الطبري في : (جامع البيان) 155 / 16 الزمخشري في (الكشاف) 59 / 3 ، السيوطي في (الدر المنثور) : 526 / 4

(2) ظ: تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى : 231 / 5 (هس) ، جمهرة اللغة : ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي 96 / 1 (هس) ، لسان العرب : 249 / 6 (هسس) ، القاموس المحيط : 259 / 2 (هس) ، ذكر ذلك طائفة من المفسرين ومنهم البغوي في (معالم التنزيل) : 286 / 5 و الزمخشري في (الكشاف) : 751 / 1 .

(3) ظ: الخصائص : 161 / 2 ، الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن : 17

(4) ظ: القاموس المحيط : 338 / 3

(5) ظ: المدخل إلى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب : 61

(6) ظ : المحتسب : 94 / 2

(7) ظ: مجمع البيان : 12 / 7

غنمي) فدلالة الفوقية المتمثلة بحرف الجر(على) توحى بأنه (عليه السلام) كان يضرب أغصان الشجر لطعامها .

وفي ضوء ما تقدم تكون (أهش) بالشين هي القراءة الأولى والأرجح وخاصة أنّ رسم المصحف جاء موافقا لقراءة من قرأ (أهش) بالشين .

ثانيا : - الإبدال بين الصوائت :-

ذكر ابن عطية الإبدال الحاصل بين الصوائت القصيرة - الحركات - موضحا أثر هذا الإبدال في دلالة اللفظة لأنّ كل حركة لها دلالة محددة تعبر عنها في التركيب لذلك كانت العرب تفرق بين دلالة لفظة وأخرى باختلاف حركة حرف من حروفها في بنية الكلمة ويختارون (صوت الحركة الأقوى للمعنى الأقوى والصوت الأضعف للمعنى الأضعف)⁽¹⁾ ، وقد يحدث هذا الإبدال تغييرا جذريا لدلالة اللفظة ومثال ذلك قولهم : (التلّة ، والتلّة ، والتلّة) التلة بالفتح : الصوت وبالكسر : الهلكة وبالضم : الجماعة من الناس⁽²⁾ . وقد ورد في تفسير ابن عطية ما يمثل هذه الظاهرة مع الإشارة إلى الأثر الدلالي الناتج من تناوب الحركات فيما بينها في اللفظة الواحدة وفيما يأتي عرض لما ذكره ابن عطية في (المحرر الوجيز) :

1- الإبدال بين الكسر والفتح :-

يكثر الإبدال بين الفتح والكسر بسبب التأثيرات اللهجية ودخول المستويات اللهجية في المستوى الموحد الفصيح⁽³⁾ وقد وردت في تفسير ابن عطية اشارات إلى هذه الظاهرة في عدد من الألفاظ منها :-

(1) ابن جني عالم العربية : د. حسام النعيمي : 93
(2) ظ: في الأصوات اللغوية : د. غالب فاضل المطليبي : 297- 298
(3) ظ: المصدر نفسه .

أ- عوج وعوج :-

في قوله تعالى : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر : 28) أشار ابن عطية

إلى اختلاف المفسرين في لفظة (عوج) بفتح العين وكسرها ، ولاشك أن هذا الاختلاف في حركة الحرف الأول يؤدي إلى اختلاف في دلالة اللفظة يقول : " نفى عنه العوج لأنه لا إختلاف فيه ولا تناقض ولا مغمز بوجه ، واختلفت عبارة المفسرين ، فقال عثمان بن عفان : المعنى غير متضاد قال ابن عباس : غير مختلف ، وقرأ مجاهد ، غير ذي لبس ، وقال السدي : غير مخلوف ، وقال بكر المزني : غير ذي لحن ، والعوج بكسر العين في الأمر والمعنى وبفتحها في الأشخاص" (1)

و مما تقدم أن دلالة لفظة (العوج) في حال فتح الفاء هو العوج الذي يكون في الأشخاص والأعيان ودلالاتها في حالة كسر الفاء هو العوج الذي يكون في الأقوال والآراء أي في الأمور المعنوية (2) وهذا ما ذكره ابن عطية في تفسيره .

والظاهر أن الراجح هو استعمال اللفظة بكسر العين لأنه الأكثر ملائمة للسياق وذلك لأن الله سبحانه نفى العوج عن القرآن الكريم وخاصة أن القرآن ما هو إلا أقوال وأحكام أنزلها الله سبحانه على نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك كانت لفظة (العوج) التي بالكسر أرجح من لفظة (العوج) التي بالفتح .

2- بين الفتح والضم :-

مثمًا حصل الإبدال بين الفتح والكسر وترك أثرا دلاليا ملموسا في دلالة الألفاظ كذلك يحصل الإبدال بين الضم والفتح وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا

سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ (الأعراف : 146) يقول : " الرشد بضم الراء الصلاح في

النظر و ﴿الرُّشْدِ﴾ بفتحها في الدين" (3)

(1) المحرر الوجيز : 4 / 529

(2) ظ: لسان العرب : 2 / 332 (عوج) ، التبيان في تفسير القرآن : 9 / 23 ، الكشاف : 4 / 28 ، الجامع لأحكام

القرآن : 8 / 252

(3) المحرر الوجيز : 2 / 454

يبدو من النص المتقدم أنّ هناك اختلافاً في دلالة لفظة ﴿الرُّشْدِ﴾ تبعاً لاختلاف حركة الحرف الأول منها فإذا كانت مضمومة الراء دلت على الصلاح في النظر ومما يدل على ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَابْتَئُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (النساء : 6) أي : صلاحاً⁽¹⁾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء : 51) أي : توفيقه وصلاحه⁽²⁾ ، أمّا

﴿الرُّشْدِ﴾ بفتح الراء تدل على الصلاح في الدين⁽³⁾ ؛ ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِذْ

أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

(الكهف : 10) وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ

يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (الكهف : 24) وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا

الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرُّوا رَشَدًا ﴾ (الجن : 14)

ولعل دلالة ﴿الرُّشْدِ﴾ بالضم نابعة من ثقل حركة الضم لأنّ الثقل يناسب صعوبة مهمة إصلاح الأمور الدنيوية وبالعكس تكون دلالة الفتحة وهي الحركة الخفيفة . والمفردة بضم الراء وفتحها كل منهما مناسبة في سياقه وإنّ الرسالة التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) هي للإصلاح في الأمور الدينية والدنيوية لأنّ الهدف منها بناء مجتمع إسلامي يقوم على ما ورد في القرآن الكريم وفي القرآن نجد إصلاح الجانب الديني والدنيوي للمسلمين . ومثال ذلك نجده في حديثه عن لفظة (طولاً)⁽⁴⁾ و (الضر)⁽⁵⁾ و (الهيام)⁽⁶⁾ فأشار فيها إلى اختلاف دلالتها باختلاف حركاتها

(1) ظ: جامع البيان : 16 / 9

(2) ظ: المحرر الوجيز : 86 / 4

(3) ظ: العين : 242 / 6 ، الحجة في القراءات السبع : 90 ، معالم التنزيل : البغوي : 282 / 3 ، الجامع لأحكام القرآن : 283 / 4

(4) ظ: المحرر الوجيز : 37 / 2

(5) ظ: المصدر نفسه : 274 / 2

(6) ظ: المصدر نفسه : 247 / 5

3- بين الضم والكسر :-

الضم والكسر من الحركات الثقيلة وقد يحدث الإبدال بينهما في بعض الألفاظ فتختلف دلالتها تبعاً لذلك ، وأشار ابن عطية إلى ذلك الاختلاف بين الضم والكسر في لفظة (هدنا) وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف : 156) وذكر اختلاف قراءتها فقرئت ﴿ هُدْنَا ﴾ بضم الهاء وكسرهما وهي قراءة أبي وجزة السعدي⁽¹⁾ . وعلى ذلك أشار إلى إختلاف دلالتها يقول : " ﴿ هُدْنَا ﴾ بضم الهاء معناه تبنا و ﴿ هُدْنَا ﴾ بكسر الهاء ومعناه حركنا أنفسنا وجذبناها لطاعتك ... " ⁽²⁾ وإلى جانب ابن عطية أشار المفسرون إلى أنَّ المقصود من لفظة ﴿ هُدْنَا ﴾ بضم الهاء التوبة ، وبالكسر الميل لطاعة الله سبحانه⁽³⁾ .

ونخلص مما تقدم أنَّ إختلاف حركة الحرف الأول من لفظة ﴿ هُدْنَا ﴾ أدى إلى إختلاف دلالتها فهي بالضم تدل على التوبة إلى الله ، وبالكسر تدل على الميل لطاعة الله سبحانه⁽⁴⁾ . والظاهر أنَّ إشارة ابن عطية إلى دلالة لفظة (هدنا) بضم الهاء التي تدل على التوبة نابع من ثقل الحركة وهي الضم لأنَّ الثقل يناسب صعوبة مهمة التوبة وبالعكس ذلك تكون دلالة الكسر . ولعل قراءة من قرأ ﴿ هُدْنَا ﴾ بضم الهاء هي الراجحة لدينا وأكثر ملائمة مع سياق الآية من غيرها و موافقة في ذلك خط المصحف الذي وردت فيه لفظة ﴿ هُدْنَا ﴾ بضم الهاء .

استنادا إلى ما تقدم يتضح أنَّ ابن عطية كان مدركا لأثر الصوت وفاعليته في تحديد دلالة الألفاظ ويبدو ذلك واضحا مما عرضنا له آنفا إذ كانت وققاته الدلالية في تفسير الآيات القرآنية الكريمة خير شاهدٍ على قدرته في تحديد دلالات الألفاظ ، إذ إنَّه كان يمتلك القدرة على التمييز بين دلالة لفظة وأخرى وإن اختلفت عنها بتغير صامت واحد أو صائت وإن كان في ذلك دليل فإنَّه يدل على خزينه اللغوي الوافر وثقافته المتنوعة .

(1) ظ: المحتسب : 372 / 1

(2) المحرر الوجيز : 460 / 2

(3) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي 362 / 1 ، الدر المنثور : السيوطي : 571 / 3

(4) ظ: لسان العرب : 439 / 3 (هود) ، تاج العروس : الزبيدي : 339 / 5 (هود) .

المبحث الثاني : الدلالة الصرفية

إنَّ لبنية الكلمة أثراً في تحديد دلالتها ، فالفعل (أعطى) تختلف دلالاته عن دلالة الفعل (إستعطى) والفعل (طعم) تختلف دلالاته عن دلالة الفعل (إستطعم) والفعل (نزل) تختلف دلالاته عن دلالة الفعل (نزل) الذي بالتشديد ، وقد فطن علماء العربية لذلك ومنهم ابن جني (ت 392هـ) يقول : (أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل قالوا : كسّر وقطع وغلّق وذلك أنّهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً على المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل)⁽¹⁾ فضلاً عن ذلك لا بد من أن نقف عند صيغ المبالغة فلأوزانها أثر كبير في تحديد دلالات الألفاظ ومن ذلك قولهم (جزوع) يدل على معنى أكثر من (جازع) وكذلك (علام) في قوله تعالى : ﴿ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة : 109) يدل على أنه عالم وعلمه لا حدود له .

وفيما تقدم دلالة على أنّ الزيادة التي تصيب المباني لا بد من أن تحدث أثراً دلالياً في المعاني لذلك يقول ابن جني : (إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به)⁽²⁾ وتابعه في ذلك ابن الأثير (ت637هـ) إذ يقول : (أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ، لأن الألفاظ أدلة على المعنى وأمثلة للإبانة عنه ...)⁽³⁾

ولم يغفل القدماء عن مسألة العدول في الصيغ لما لها من أثر كبير في تحديد دلالة المفردات وإلى ذلك أشار ابن جني(ت392هـ) بقوله : (وهو باب منقاد ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله ، وذلك فعال في معنى فعيل نحو "طوال" فهو أبلغ معنى من "طويل" و"عراض" فأنه أبلغ معنى من "عريض" ، وكذلك "خفاف" من "خفيف" ...)⁽⁴⁾

(1) الخصائص : 1 / 153

(2) المصدر نفسه : 3 / 268

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : 2 / 41

(4) الخصائص : 2 / 261

ومن ذلك يتضح عناية علماء العربية بمباحث علم الصرف والتفاتهم إلى دلالة الصيغ وأثر ما تتعرض له من زيادات في تغيير المعنى وكان في مقدمتهم الخليل (ت 175 هـ) وسيبويه (ت 180 هـ) ، ثم توسع الآخرون في العناية بالدلالة الصرفية من أمثال : ابن قتيبة (ت 276 هـ) والمبرد (ت 285 هـ) وابن السراج (ت 316 هـ) وابن جني (ت 392 هـ) والزمخشري (ت 538 هـ) وغيرهم .

وقد عني ابن عطية بالصرف وقوانينه وأجاد في توظيفه في التفسير كما عني بالدلالة الصرفية إذ نجد لديه إشارات إلى الأفادة من الدلالة الصرفية في بلوغ دلالات المفردات .
والدلالة الصرفية في تفسير ابن عطية على قسمين :

1- الدلالة الصرفية في الأسماء .

2- الدلالة الصرفية في الأفعال .

أولاً : الدلالة الصرفية في الأسماء :

ويمكن دراسة ما ورد من إشارات دلالية تتصل بأبنية الأسماء على النحو الآتي:

1- المشتقات :

وهي طائفة من الصيغ الاسمية تؤدي في سياق الكلام دلالات مختلفة يريد المنشئ من خلالها بيان المعاني التي يريد التعبير عنها وقد ورد منها في تفسير ابن عطية ما يأتي :

أ- اسم الفاعل :

وهو من أهم أبنية المشتقات ومن أكثرها استعمالاً في سياقات الكلام وقد ذهب العلماء إلى أنه يدل على الحدث والحدوث والفاعل،⁽¹⁾ وقد ذكرت كتب التصريف طريقة بنائه من الأفعال فهو يؤخذ من الفعل الثلاثي على وزن فاعل ومن غير الثلاثي على زنة الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر⁽²⁾ ، وهو عند العلماء يدل على الانتقال والتجدد⁽³⁾ ومن هنا فهو يخالف الصفة المشبهة التي تدل على الثبات والدوام⁽⁴⁾ وقد عرض ابن عطية إلى عدد من المفردات التي وردت بزنة اسم الفاعل في أثناء تفسير الآيات القرآنية موضحاً ما تنصرف إليه هذه الصيغ من دلالات من خلال استعمالها في السياق القرآني ومما

(1) ظ : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري : 248 /2

(2) ظ : شرح ابن عقيل : 137-134 /3

(3) ظ : الكتاب : 1 / 218 ، معاني الأبنية : د.فاضل صالح السامرائي : 46-47

(4) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : 267/2

عرض له لفظة (ضائق) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ

وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ (هود : 12) يقول : " وعبر بـ ﴿ ضَائِقٌ ﴾ دون ضيق للمناسبة في اللفظ

مع ﴿ تَارِكٌ ﴾ ، وإن كان ضيق أكثر استعمالاً لأنه وصف لازم ، و﴿ ضَائِقٌ ﴾ وصف عارض فهو

الذي يصلح هنا " (1) ونفهم من نص ابن عطية أنه يفرق بين دلالة الصفة المشبهة المتمثلة بمفردة

(ضيق) الذي عبر عنها بأنها وصف لازم وبين دلالة اسم الفاعل المتمثلة بمفردة (ضائق) التي

كانت تدل على الحدوث والتجدد وعدم ثبات الصفة (2).

ويتضح مما تقدم أن ظاهرة العدول في الصيغ الصرفية قد لفتت نظر ابن عطية

وأنظار مفسرين آخرين من أمثال الزمخشري (ت: 538) هـ يقول : (في قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ

تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ فإن قلت لم عدل عن (ضيق) إلى ()

ضائق) ؟ قلت : ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه

- وآله - وسلم كان أفسح الناس صدرا (3) وبذلك يكون الاختلاف في دلالة المفردتين ناتجاً من

الصيغة الصرفية التي جاء على بنيتها الفعل (ضاق يضيق) إذ كان للصيغة أثر في إختلاف

دلالة كل من مفردتي (ضائق وضيق) فدللت الأولى على الحدوث والتجدد لذلك وصفها العلماء

على أنها وصف عارض على حين دلت الثانية على الثبوت لذلك وصفت على أنها وصف لازم ،

إما الدلالة المعجمية لمفردة (ضائق) فلم يعترها شيء من التغيير لذلك قيل أن (ضيق

وضائق) بمعنى واحد إلا أن (ضائق) أكثر انسجاماً مع سياق الآية الكريمة فضلاً عن أن

العدول من لفظة (ضيق) إلى لفظة (ضائق) له ما يسوغه في هذا السياق ذلك أن الآية الكريمة

لا يراد منها وصف صدر النبي بصفة الضيق الثابتة الملازمة لصاحبها إنما أراد التعبير عن

حالة عارضة مر بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبب ما يفعله هؤلاء القوم فهو أذاً ضيق

عابر غير دائم

(1) المحرر الوجيز : 154 / 3

(2) ظ : معاني الأبنية : 48

(3) الكشف : 363 / 3

ومن هنا يمكن القول : إنَّ لفظة (ضائق) هي الأكثر انسجاما مع السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة ولذا نجد الاسلوب القرآني قد عدل إلى استعمال هذه المفردة بدلا من لفظة (ضيق) التي لاتلائم السياق في هذه الآية لأنَّ فيها دلالة الملازمة والثبوت وهو مالا يقصده الله في هذه الآية الكريمة .⁽¹⁾ وقد يرد اسم الفاعل دالا على الثبوت والدوام مثل الصفة المشبهة في بعض السياقات وبهذا فهو يقترب في دلالاته من دلالة الصفة المشبهة وقد وجدت اشارات عند ابن عطية إلى هذه الحالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ

فَتَبَيَّنُوا ﴾ (الحجرات : 6) يقول : " ﴿ فَاسِقٌ ﴾ ثم هي باقية فيمن اتصف بهذه الصفة غابر الدهر، والفسق : الخروج عن نهج الحق وهو مراتب متباينة كلها مظنة للكذب وموضع تثبت وتبين ... " ⁽²⁾ .

والظاهر من خلال النص المتقدم أنَّ اسم الفاعل (فاسق) الذي ورد في سياق الآية الكريمة انصرف عن دلالاته على التجدد والحدوث إلى الدلالة على الثبوت والملازمة فالفسق صفة ملازمة لمن يتخلق بها ولا تزول عنه ويمكن القول أنَّ وزن فاعل الذي ورد في هذه الآية الكريمة هو صفة مشبهة لأنَّ فيه دلالة على الثبوت واللزوم لصاحبه .

ومما يتصل بهذا الموضوع ما ورد في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ

رَاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة : 21) تحدث عن لفظة راضية مشيرا إلى أنَّها وردت بصيغة اسم الفاعل إلا أنَّها ذات رضى وهي بمعنى اسم المفعول أي مرضية يقول : "معناه : ذات رضى فهو بمعنى مرضية وليست بناء اسم الفاعل " ⁽³⁾

ويتضح أنَّ هذه المسألة لفتت أنظار ابن عطية وغيره من المفسرين ومنهم الخليل إذ يقول :

(ومنه قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ أي مرضية ومنه قول النابغة : ⁽⁴⁾

كَلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ
الكواكب

(1) ظ : التبيان : 456 / 5 ، شرح المفصل للزمخشري : موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي : 4 / 109 ، العدول الصرفي في القرآن الكريم : د. علي هلال محمود : 72 (أطروحة دكتوراة)

(2) المحرر الوجيز : 5 / 147

(3) المصدر نفسه : 5 / 360

(4) ديوان النابغة : 9

أي : منصب) (1) وقد تابع طائفة من العلماء الخليل ونقل اللاحق عن السابق هذه الدلالة وقالوا إنَّ الله سبحانه وتعالى قد استعمل صيغة اسم الفاعل وهو يريد اسم المفعول وذكروا مثل ذلك في عدد من المفردات التي استعملها القرآن بهذه الصيغة .

ويتضح أنَّ القرآن وضع فيه كل لفظ للتعبير عن دلالة محددة وهو حين يستعمل (راضية) لم يكن يريد غيرها ، ولا يقصد بها مرضية – وقد ذهب إلى ذلك طائفة من الدارسين ومنهم عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي انطلاقاً من مبدأ أنَّ الكلمة في القرآن لا تقوم مقامها كلمة أخرى . (2)

ونجد مثل ذلك عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾

(هود : 43) فقد ذكر أنَّ لفظة (عاصم) قد وردت في هذا السياق ويراد منها اسم المفعول أي لا معصوم فهي من باب استعمال فاعل وإرادة اسم المفعول ذكر ذلك ابن عطية يقول : " (عاصم) معناه ذو اعتصام فـ (عاصم) على هذا في معنى معصوم " (3) وقد أشار غيره إلى ذلك المعنى ، ومن العلماء الذين أشاروا إلى ذلك ابن قتيبة (ت 276هـ) يقول : (كقوله سبحانه

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (هود : 43) أي لا معصوم من أمره) (4)

والذي ذكره ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ بمعنى لا معصوم عضده ما

ذهب إليه ابن جني (ت 392 هـ) يقول : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي لا ذا عصمة

وذو العصمة يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً فمن هنا قيل أنَّ معناه لا معصوم (5)

وإنَّ التبادل بين الصيغ المفعولية والفاعلية وارد في كلام العرب وخاصة عند أهل الحجاز . (6)

(1) العين : 137 / 1 ، الكتاب : 421 / 3 ، المقتضب : 169 / 1 .

(2) ظ: الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق : د. عائشة بنت الشاطي : 193

(3) المحرر الوجيز : 175 / 3

(4) تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة : 180

(5) الخصائص : 152 / 1

(6) ظ : معاني القرآن : الفراء : 225 / 3

بيد أنّ الشيخ الطوسي اتخذ مساراً إبتعد فيه عن ذهب إليه من سبقه من العلماء الذين قالوا بنبياية اسم الفاعل عن اسم المفعول بقوله ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ يقول: (حكاية لما قال نوح لولده حيث قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء بأنّه لا مانع من أمر الله ، وأستثنى من رحم)⁽¹⁾ أي أنّ (لا عاصم) أراد بها الشيخ الطوسي ومن تبعه في ذلك (لا مانع) يعني أنّ قوله (عاصم) جاء به على صيغة اسم الفاعل ولم يرد به غيرها وذلك لأنّه (لا يمكننا تجاوز الحقيقة إلى المجاز بدون قرينة مانعة من إيرادها فضلا عن أنّ السياق في الآية الكريمة وهو من – أقوى القرائن لا يعين دلالتها على معصوم)⁽²⁾

وفي ضوء ما تقدم أنّ دلالة قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ لا مانع من أمر الله تعالى غيره وهي على بابها ف (عاصم) صيغة اسم فاعل ولم تنب عن صيغة أخرى غيرها وهذا ما ذهب إليه الطوسي (رحمه الله) فخالف فيه من سبقه من المفسرين الذين سار على خطاهم ابن عطية في دلالة قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ ولعل ابن عطية في ذلك لم يلتفت إلى مذهب الطوسي في تفسير قوله تعالى ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ لذلك ذهب إلى أنّ قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ بمعنى (لا معصوم) .

والراجح أنّ قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ جاءت على صيغة اسم الفاعل ولم تنب عن صيغة اسم المفعول (معصوم) وذلك لأنّ السياق الذي وردت فيه المفردة لا تتناسب معه صيغة اسم المفعول (معصوم) وفي صيغة اسم الفاعل (عاصم) دلالة على أنّ الأمر بيد الله سبحانه ولا مانع عن أمره .

ب – صيغ المبالغة :

(1) التبيان : 491 / 5
(2) الظواهر اللغوية في كتب أعجاز القرآن : د. عادل عباس : 117 (رسالة ماجستير) .

وهي أبنية لها أوزان محددة ذكرها علماء التصريف الغرض منها الدلالة على المبالغة والتكثير في اسم الفاعل وكذلك يسميها بعضهم مبالغة اسم الفاعل (1) وقد ذكر العلماء أنّ لها خمسة أوزان مشهورة هي:

1- (فَعَّالٌ) بفتح العين وتشديدها كضراب .

2- (فَعُولٌ) بفتح الفاء كضروب .

3- (مِفعال) بكسر الميم كمضراب بكثرة .

4- (فَعِيلٌ) بفتح الفاء وكسر العين كضريب .

5- (فَعَّعِلٌ) بفتح الفاء وكسر العين كضرب .

وقد وقف ابن عطية عند طائفة من هذه الأوزان في تفسيره الآيات القرآنية موضحا الدلالات التي تؤديها هذه الصيغ من خلال استعمالها في سياق الكلام ومن الأوزان التي تحدث عنها :

1- فَعَّالٌ :

يمثل وزن (فَعَّالٌ) بتشديد العين مبالغة في وزن فاعل وحين نريد المبالغة في هذا الوزن نستعمل هذه الصيغة فنقول مثلا في حامل (حَمَّالٌ) وفي ناحر (نَحَّارٌ) وفي لابس (لَبَّاسٌ) وهكذا حتى يصير الفعل مهنة ملازمة لصاحبها ولذا يوصف بها إذا أريد المبالغة في أمرها .(2)

وقد تحدث ابن عطية عن لفظة (تَوَّابٌ) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿البقرة : 37﴾ فذكر دلالتها يقول : " وبنية (التَّوَّابُ) للمبالغة والتكثير " (3) ووجدت موقفا

مماثلا لما ذهب إليه ابن عطية في تفسير لفظة (تَوَّابٌ) عند الطوسي يقول : ﴿

﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر : 3) معناه أنه يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى ،

(1) ظ : شرح شذور الذهب : ابن هشام الأنصاري : 1 / 392 ، همع الهوامع : السيوطي : 2 / 97 ، صيغ المشتقات بين الوضع والأستعمال : (بحث أنترنيت) : أ: محمود حسن : 3

(2) ظ: المقتضب: 411/2، ديوان الأدب: الفارابي: 1 / 325، درة الغواص في أوهام الخواص : الحريري : 89 شرح شافية ابن الحاجب: الاستر اباذي: 1 / 148، المزهر في علوم اللغة: 772، ومعاني الأبنية في العربية : 110

(3) المحرر الوجيز : 1 / 131

والتواب في صفة الله الكثير القبول للتوبة ، وفي صفة العبد الكثير الفعل للتوبة (1) وذهب إلى ذلك المعنى الزمخشري (ت538 هـ) إذ يقول : (أن الله تواب على من تاب لو عاد في اليوم مائة مرة) (2) ويشعر كلامه أن لفظة (تَوَّاب) تدل على تكرار الفعل وتكثيره ومن المتأخرين الذين أشاروا إلى دلالة (تَوَّاب) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إذ يقول : (وكلمة (تَوَّاب) صيغة مبالغة تبعث الأمل في نفوس المذنبين وتمزق أستار اليأس ، عن سماء أرواحهم) (3)

والظاهر من آراء المفسرين ومنهم ابن عطية أن لفظة (تَوَّاب) في هذه الآية جاءت على وزن (فَعَّال) لتؤدي الدلالة التي قصد الله بها بيان باب من أبواب رحمته سبحانه وتعالى وأنه كثير التوبة على عباده فهو سبحانه يقبل التوبة من عباده مهما كثرت ذنوبهم وجاءت لفظة (تَوَّاب) في طائفة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة : 37) وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ

عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة : 160) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات : 12) وغيرها (4) ، فجاءت في تلك السياقات القرآنية تدل على أن الله سبحانه كثير التوبة على عباده وباب رحمته واسعة في قبول التوبة من عباده .

ومثال ذلك نجده في حديثه عن لفظة (سماعون) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ

هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ... ﴾ (المائدة : 41) ذكر ابن عطية دلالة لفظة (

سَمَاعُونَ) يقول : " وأما المعنى في قوله ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ فيحتمل أن يكون صفة للمنافقين ولبنی إسرائيل لأن جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه ، ولذلك جاءت عبارة سماعهم في صيغة المبالغة ، إذ المراد أنهم يقبلون ويستزيدون من ذلك المسموع " (5) وذهب مذهباً آخر في تحديد دلالتها يقول : "يحتمل أن يريد (سماعون منك أقوالك) من أجل أن

(1) التبيان : 10 / 406

(2) الكشف : 2 / 304

(3) الأمل : الشيرازي : 1 / 402

(4) البقرة : 54 ، 128 ، التوبة : 104 ، 118 ، النور : 10 ، النساء : 16 ، 64 ، النصر : 3

(5) المحرر الوجيز : 2 / 193

يكونوا عليك وينقلوا حديثك مع الكلمة أضعافها كذبا " (1) ووجدت مثل ذلك المعنى عند الطوسي يقول : (وقيل في معنى ذلك قولان : أحدهما - " سماعون " كلامك للكذب عليك سماعون كلامك ﴿لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ ليكذبوا عليك إذا رجعوا إليهم أي هم عيون عليك وقيل إنهم كانوا رسل أهل خيبر لم يحضروا. فلهذا جالسوك ، هذا قول الحسن والزجاج وأبو علي .

الثاني - قال أهل التفسير ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قابلون له كما يقال لاتسمع من فلان أي لا تقبل منه ، ومنه سمع الله لمن حمده ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ﴾ أرسلوا بهم في قضية زان محسن. فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد صلى الله عليه وآله بالجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه ، لأنهم قد كانوا حرفوا حكم الجلد الذي في التوراة إلى جلد أربعين، وتسويد الوجه والاشهار على حمار. هذا قول ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وابن زيد. (2)

ونقل عنهم ذلك المعنى الطباطبائي يقول : (فهؤلاء المذكورون من اليهود هم سماعون للكذب أي يكثر من سماع الكذب مع العلم بأنه كذب ، و إلا لم يكن صفة ذم ، و هم كثيرو السمع لقوم آخرين لم يأتوك ، يقبلون منهم كل ما ألقوه إليهم و يطيعونهم في كل ما أرادوه منهم ، و اختلاف معنى السمع هو الذي أوجب تكرار قوله: ﴿سَمَاعُونَ﴾ فإنَّ الأول يفيد معنى الإصغاء و الثانية معنى القبول(3) .

وتبين مما تقدم أنَّ السياق الذي وردت فيه لفظة (سَمَاعُونَ) بزنة (فَعَال) يدل على المبالغة والتكثير في سماع هؤلاء الذين يمثلون اليهود فهم كثيرو السماع للكذب وكثيرو السماع من أقوام آخرين يريدون الإساءة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه من المسلمين وقد استعمل السياق القرآني وزن (فَعَال) ليعبر به عن المبالغة في سماع هؤلاء اليهود لما يسيء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع السعي للإقبال على سمع الكلام الكذب الباطل .

(1) المحرر الوجيز : 193 / 2

(2) التبيان : 523-522 / 3 ، مجمع البيان : 300 / 3

(3) الميزان : 376 / 5

ومن الألفاظ التي وقف عندها لفظة (كُبَّاراً) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾

﴿(نوح : 22) قائلاً : " وقرأ جمهور الناس : ﴿كُبَّارًا﴾ بشد الباء وهو بناء مبالغة نحو

حسان . قال عيسى : وهي لغة يمانية وعليها قول الشاعر [أبو صدقة الدبيري] :

**والممرء يلحقه بفتيانٍ ٍ خلقُ الكريم ٍ وليس
الندى بالوضاء**

بضم الواو ، وقرأ⁽¹⁾ ابن محيصة وعيسى ابن عمر ﴿كُبَّارًا﴾ بتخفيف الباء وهو بناء مبالغة

إلا أنه دون الأول"⁽²⁾ وقد أشار الطبرسي إلى ذلك المعنى يقول : (والكُبَّار الكبير جدا يقال كبير ثم كُبَّار ثم كُبَّار ومثله عجيب وعُجَاب وعُجَّاب وحسن وحُسان وحُسَّان وروي أنَّ أعرابيا سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ ومكروا مكرا كبيرا فقال ما أفصح ربك يامحمد وهذا من جفاء الأعراب لأنَّ الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة)⁽³⁾

ويعضد ذلك ما جاء عن العلامة الطباطبائي في (الميزان) يقول : (وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا

كُبَّارًا﴾ الكُبَّار اسم مبالغة من الكبر)⁽⁴⁾ .

ويتضح من خلال السياق الذي وردت فيه لفظة (كُبَّاراً) بهذا البناء أنَّ القرآن أراد التعبير بدقة عن قوة مكر هؤلاء القوم وشدته وفيها دلالة على أنَّها أقصى درجات المكر الإنساني وفضلا عما تقدم أنَّ استعمال المبالغة كان ملائماً جداً لوصف هذه الحالة من المكر الذي تزول منه الجبال وقد ذكرت الروايات أنَّ أعرابيا في العصر الجاهلي حين سمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ هذه الآية قال ما أفصح ربك يامحمد – لقد أدرك هذا الأعرابي بفطرته وسليقته القوة الإعجازية لاستعمال هذه المفردة دون غيرها من المفردات الأخرى مثل : كبير وعظيم وغيرها .

(1) ظ : إتحاف فضلاء البشر : 1 / 752

(2) المحرر الوجيز : 5 / 376

(3) مجمع البيان : 9 / 545

(4) الميزان : 20 / 106 ، الأمثل : 19 / 62

2- فَعُول :

يستعمل وزن (فَعُول) للدلالة على المبالغة والتحمل⁽¹⁾ في بعض السياقات وفيها دلالة على المبالغة في قدرة التحمل والأكثر في الفعل ومن أمثلة ذلك قولهم صبور وشكور بمعنى دائم الصبر والتحمل في المواقف المختلفة وكذلك شكور بمعنى دائم الشكر وقد أشار ابن عطية إلى استعمال هذا الوزن للدلالة على المبالغة وهو يفسر الآيات القرآنية ومن الألفاظ التي توقف عندها وأشار إلى دلالتها على المبالغة مفردة (طَهُور) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي

أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (الفرقان: 48) وفي هذه

الآية نظر ابن عطية في توجيه دلالة لفظة (طَهُورًا) يقول : " (طَهُور) بناء مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضته في ماء السماء وفي كل ما هو منه وبسبيله أن يكون طاهرا مطهرا وفيما كثرت فيه التبايير كماء الورد وعصير العنب أن يكون طاهرا لا مطهرا"⁽²⁾ ووقف الطوسي (ت 460 هـ) موقفا مماثلا لما ذهب إليه ابن عطية يقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾

أي طاهرا مطهرا مزيلا للأحداث والنجاسات مع طهارته في نفسه⁽³⁾ وتابعهم في ذلك المعنى الطباطبائي في (الميزان) يقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ أي من جهة العلو وهي جو الأرض ماء طهور أي بالغا في طهارته فهو طاهر في نفسه مطهر لغيره يزيل الأوساخ ويذهب بالأرجاس والأحداث فالطهور على ما قيل صيغة مبالغة⁽⁴⁾ .

و في ضوء ما تقدم من آراء العلماء في هذه المفردة أنّ وزن (فَعُول) في سياق هذه الآية استعملت للدلالة على المبالغة في طهارة الماء الذي ينزله الله من السماء لأنه منزل بأرادة الله سبحانه وتعالى وهو صالح لتطهير الأرض من كل دنس فيها ولإحيائها وهذا السياق يستلزم استعمال هذه الصيغة للتعبير عن قوة طهارة الماء الذي انزله الله وكثرتها .

ويتضح مما أشار إليه المفسرون أنّ هذا الماء المنزل هو طاهر مطهر في ذاته كما أنّه يدل على كمال فعل التطهير وشموله لكل شيء غير أنّه قادر على إزالة الأحداث والنجاسات⁽⁵⁾ .

(1) ظ: ديوان الأدب : 387/1 ، درة الغواص : 89 ، همع الهوامع : 97/2 ، الكليات : أبو البقاء الحسيني

الكفوي : 364 ، معاني الأنبياء : 114

(2) المحرر الوجيز : 213/4

(3) التبيان : 496/7 ، مجمع البيان : 427/3

(4) الميزان : 247/19 ، الأمتل : 244/11

(1) ظ: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : د. محمد ياس خضر الدوري : 250

3- مَفْعَالٌ :

وهذا الوزن من أوزان المبالغة الذي يستعمل للدلالة على الإكثار من الشيء والمداومة عليه حتى يصبح صفة ملازمة لصاحبها وكثيرة التكرار منه ، ونحن حين نريد أن نصف شخصاً بكثرة الكلام نقول عنه مهذار وكذلك نقول لمن يكثر الزواج مزواج ولمن يستعمل العطور بكثرة معطار⁽¹⁾ وقد عرض ابن عطية الى هذا الوزن في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ

عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ (الأنعام : 6) ذكر ابن عطية دلالة لفظة (مدراراً) يقول : " ﴿ مِدْرَارًا ﴾ بناء

تكثر كمذكار ومثالث ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة لأن الآية إنما سياقها تعدد النعم وإلا فظاهرها يحتمل النعمة ويحتمل الإهلاك وتحتمل الآية أن تراد السماء المعروفه على تقدير وأرسلنا مطر السماء لأن مدراراً لا يوصف به إلا المطر " (2) وقد أشار إلى ذلك المعنى الطوسي (ت460 هـ) إذ يقول: (وقوله: ﴿مِدْرَارًا﴾ غزيراً دائماً كثيراً ، ... و(مفعال) من ألفاظ المبالغة

يقال : ديمة مدراراً إذا كان مطرها غزيراً حاداً ، كقولهم امرأة مذكار : إذا كانت كثيرة الأولاد للذكور ومثالث في إناث (3) وتابعه في ذلك الطبرسي (ت548 هـ) (4) والطباطبائي (5) والشيخ والشيخ ناصر مكارم الشيرازي يقول : (﴿ مِدْرَارًا ﴾ في الأصل من " در" اللبن ، ثم انتقل إلى

مايشبهه في النزول كالمطر والكلمة صيغة مبالغة وجملة ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ ﴾ للزيادة في المبالغة

(6)

(2) ظ: ديوان الأدب : 308 /1 – 312 ، أدب الكاتب : ابن قتيبة : 255 فقه اللغة : الثعالبي : 555 ، الفروق

اللغوية : أبو هلال العسكري: 12 – 13 ، المخصص : 135 /5 درة الغواص في أوهام الخواص : 89

(3) المحرر الوجيز : 269 /2

(4) التبيان : 81 /4

(5) ظ : مجمع البيان : 427 /4

(6) ظ : الميزان : 8 /7

(7) الأمثل : 204 /4

ويتضح من آراء العلماء التي تقدم ذكرها أن لفظة (مدراراً) في سياق هذه الآية يراد منها المبالغة في كثرة نزول المطر ودوامه ويمكن أن نلمح من هذا دلالتها على دوام إنعام الله على البشر وكثرتها لأن كثرة نزول المطر دليل على كثرة نعم الله ولأن ماء المطر هو مصدر الخير وانسجاماً مع سياق القرآن الكريم جاء في الآية الكريمة ذكر (السماء) بقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ (الإنعام : 6) ولم يذكر المطر أو الغيث واقتصر على ذكر السماء وذلك لأمرين أحدهما : إن السماء هي مصدر للكثير من النعم وليس الماء فقط لذلك كان ذكر (السماء) فيه دلالة على تعدد النعم الألهية التي يرسلها الله من السماء إلى الأرض وأن كثرة النعم تتناسب معها لفظة (مدراراً) التي تدل على الكثرة والمبالغة والاستمرارية في در النعم السماوية.

أما الآخر : فجاء ذكر السماء من باب المراعاة للغة العرب الذين كانوا يطلقون على المطر (سما) من باب الاتساع والتجوز ودليل ذلك قول معاوية بن مالك : (1)

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
أي : إذا نزل المطر .

ومن هنا تتضح لنا طبيعة الإعجاز القرآني في استعمال الألفاظ وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا

السَّمَاءَ ﴾ فيه مبالغة كبيرة وكان السماء تحولت إلى مصدر نعمة للبشر .

4 - فَعِيل :

وزن فعيل مشترك بين الصفة المشبهة وصيغ المبالغة ويدل على من كثر الفعل منه وصار طبيعة له ويستعمل هذا الوزن للمبالغة في الوصف لما فيه من دلالة على معاناة الأمر وتكراره حتى يصبح ملازماً لصاحبه وكأنه جزء من طبيعته مثل قولنا رجل حليم وعليم نريد المبالغة في حلمه وعلمه (1) وكان العرب تفتخر بهذه الصيغة ويبالغون في الاعتزاز بها ، وقد عرض ابن عطية إلى هذا الوزن في حديثه عن تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿ (البقرة : 32)

نظر ابن عطية في تحديد دلالة لفظة (عليم) يقول : " ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ معناه : العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير من المعلومات في حق الله عز وجل " (2) وأشار إلى دلالة لفظة (الحكيم) يقول " ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ معناه الحاكم ، وبينهما مزية المبالغة ... " (3) ووقف الطوسي موقفاً مماثلاً لما ذهب إليه ابن عطية في لفظتي (العليم والحكيم) يقول : (وقوله ﴿ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ معنى عليم أنه عالم وفيه مبالغة ومن صفات ذاته وإذا كانت كذلك أفادت أنه عالم

بجميع المعلومات ولا يوصف به في مالم يزل ، لأن ذلك واجب في العالم نفسه (4) . وفي ضوء ما تقدم أن لفظتي (عليم وحكيم) في هذا السياق المقصود منهما دلالة المبالغة في علم الله سبحانه بكل شيء وحكمته فهو العالم الذي أدرك علمه كل شيء وأحاط بكل شيء والحكيم الذي حوت حكمته كل شيء لذا نجد التعبير القرآني قد عدل عن استعمال لفظة (عالم وحاكم) لأنهما منسوبان إلى علمه وحكمته بالأشياء إلى صيغتي (العليم والحكيم) المقصود منهما كمال العلم والحكم واتصافه سبحانه بهما . (5) الذي فاق علمه وحكمته كل موجود عند خلقه من علم وحكمة لذا صلح في هذا السياق استعمال هاتين المفردتين .

(1) ظ: ديوان الأدب : 398 / 1 ، همع الهوامع : 97 / 2 ومعاني الأبنية : 117

(2) المحرر الوجيز : 122 / 1

(3) المصدر نفسه .

(4) : 142 / 1

(5) ظ: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : 245

2 - دلالة المصدر

المصدر هو ما دلَّ على حدث غير مقترن بزمن⁽¹⁾ وهو أصل الاشتقاق عند البصريين ومنه أخذ الفعل وسائر المشتقات وخالفهم الكوفيون فذهبوا إلى أصالة الفعل⁽²⁾. وهي مسائل خلافية لاجدوى من الخوض فيها بعد أن اثبتت الدرس الحديث عدم صحتها . ومن خلال استقراء ماورد من مصادر في اللغة وجد العلماء أنَّ هذه المصادر منها ما هو سماعي لا يخضع لقاعدة محدودة وأكثر ما يكون ذلك في مصادر الفعل الثلاثي وبعضها قياسي وهناك ما يسمى بالمصدر الصناعي⁽³⁾ وقد عرض ابن عطية في تفسيره إلى عدد من المصادر التي وقف عندها وأشار إلى ما تؤديه من دلالات في السياق الذي ترد فيه ومن هذه المصادر ما هو سماعي ومنها ما هو قياسي ومن أمثلة ماورد عنده :

أ- ما ورد من المصادر على صيغة (فُعال) :-

صيغة (فُعال) من مصادر الفعل الثلاثي الذي يأتي مضارعه بضم العين وكسرها إلا ما ندر من الأفعال لأنَّ القاعدة غير مطردة ، و أشار ابن عطية في وقوفه على تفسير الآيات القرآنية إلى طائفة من الدلالات التي يؤديها ما جاء من المصادر على هذا الميزان فذكر أن صيغة (فُعال) من المصادر التي تدل على الصوت إذا كان بضم الفاء مثل (صُراخ ونُباح وعُواء وبُغام) وهذه مسألة معروفة عند القدامى ، فقد وردت في كتاب سيبويه⁽⁴⁾ إشارات إلى هذه الدلالة وتابعه في ذلك طائفة من العلماء وقد أشار ابن عطية إلى دلالة هذه الصيغة ويبدو ذلك واضحا في حديثه عن لفظة (مُكَاء) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ

إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيحَةً فُذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (الأنفال : 35) يقول :

و ﴿مُكَاءً﴾ على الفعال الصفير قال ابن عباس والجمهور فقد يكون بالفم وقد يكون بالأصابع والكف في الفم ، قال مجاهد وأبو سلمة عبد الرحمن وقد يشارك الأنف يقال مكا يمكن إذا صفر ومنه قول عنتره :⁽⁵⁾

وخليل غانية تركتُ مجذلاً تمكو فريسته كشدقٍ ٍ

(1) ظ: أبينية الصرف : 208

(2) ظ: الأنصاف في مسائل الخلاف : الانباري : 1 / 235

(3) ظ: معاني الأبنية : 18-19

(4) ظ: الكتاب : 4 / 129

(5) ديوان عنتره بن شداد : تحقيق: فوزي عطوي : 15 ، وردت لفظة (خليل) في الديوان (خليل)

الأعلم

ومنه قول الطرماح : (1)

فَنَحَا لِأَوَّلِهَا بِطَعْنَةٍ مُخَفِّظٍ تَمَكُّو جَوَانِبُهَا مِنْ الْأَنْهَارِ

و مكثت أسدت الدابة إذا صفرت يقال ولا تمكو إلا است مكشوفة ومن هذا قيل للاست مكوة قال أبو علي : فالهمزة في (مكاء) منقلبة عن واو . ومن هذا قيل للطائر المكاء لأنه يمكو أي يصفر في تغريده ووزنه (فعّال) بشد العين كخطّاف والأصوات الأكثر تجيء على (فعّال) بتخفيف العين كالبيكاء والصراخ والدعاء والجوار والنباح ونحوه وروي عن قتادة أنّ المكاء صوت الأيدي وذلك ضعيف " (2) وقد ورد هذا المعنى عند الطوسي يقول : (﴿مُكَاءٌ﴾ صفير كصفير

المكاء وهو طائر يكون بالحجاز وله صفير قال الشاعر :

ومكأ بها فكأتما يمكؤ بأعصم ٍ عاقل

وأصل المكاء جمع الريح للصفير ويقال مكا يمكو مكاء إذا صفر بفيه ومنه يمكو است الدابة إذا انتفخت بالريح والاست : الكوة ، والمكو أن يجمع الرجل يديه يدخلها في فيه ثم يصيح .
ومنه قول عنتره : (3)

وخليل غانية تركت مجذلاً تمكوفريصته كشدق الأعلم

أي يصفر بالريح لما طعنه (4)

وفي ضوء ما تقدم من آراء العلماء أنّ لفظة (المكاء) بضم الميم وهي مصدر الفعل (مكا يمكو) وردت على وزن (فعّال) بضم الفاء وهذا الوزن يدل على الصوت وهو ما أراد السياق القرآني التعبير عنه في هذه الآية ، بذلك أنّه صوّر ما يقوم به هؤلاء القوم في تأديتهم مناسكهم عند البيت الحرام فوصفها بأنّها عبارة عن إصدار أصوات من أفواههم وأيديهم تعبيراً عن هذه المناسك ويمكن أن نلمح من خلال السياق طبيعة السخرية التي يحملها هذا النص مما يمارسه هؤلاء من اعمال نتيجة جهلهم بأمور الدين .

(1) ديوان الطرماح : تحقيق : عزة حسن : 226

(2) المحرر الوجيز : 523 / 2 - 524

(3) ديوان عنتره بن شداد : تحقيق : فوزي عطوي : 15 ، جاءت لفظة (خليل) في الديوان (خليل)

(4) التبيين : 116/9 وينظر : مجمع البيان : 831-830/4 ، الميزان : 39 / 9 ، الأمل : 383 / 5

ومثل ذلك ماورد في حديثه عن لفظة (جوار) المأخوذ من الفعل (جار يجار) وقد جاءت في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْأُرُونَ ﴾ (النحل : 35) يقول : " ﴿ يَجْأُرُونَ ﴾ معناه ترفعون أصواتكم إستغاثة وتضرعا وأصله في جوار الثور والبقرة وصياحها ، وهو عند جهد يلحقها أوفي أثر دم يكون من بقر تذبح ، فذلك الصراخ يشبه به إنتحاب الداعي المستغيث بالله إذ رفع صوته ، ومنه قول الأعشى : (1)

يرأوخ من صلوات الملى ك طوراً سُجوداً وطوراً جواراً

والأصوات تأتي غالباً على فعال أو فعيل " (2) وأشار الطوسي إلى ذلك المعنى يقول : (وقوله ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْأُرُونَ ﴾ معناه متى لحقكم بلاء وألم وسوء حال تضرعون إليه بالدعاء وهو قول مجاهد وأصل ذلك من جوار الثور يقال جار الثور يجار جواراً إذا رفع صوته جوع أو غيره...) (3)

وأكد ذلك المعنى الطباطبائي إذ يقول : (والجوار بضم الميم صوت الوحوش استعير لرفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة تشبيها له به) (4) ونجد مثل ذلك المعنى عند الشيرازي (5).
و الظاهر مما تقدم من آراء العلماء أنّ لفظة (جوار) بضم الميم وهي مصدر الفعل (جار يجار) وردت على وزن (فعّال) بضم الفاء وهذا الوزن في الأصل يدل على الصوت- كما ذكر علماء العربية – وبذلك لاشك أنّ انتقاء التعبير القرآني لهذه اللفظة لم يكن عبثاً وحاشاه أن ينتقي لفظة غير مؤهلة للتعبير عن الدلالة المقصودة ، لذلك كان الانتقاء مقصوداً من عند الباري عز وجل لكي يصور لنا بالألفاظ الدقيقة ما يقوم به هؤلاء القوم عندما تصيبهم البلوى أو العذاب لذلك جاء بلفظة (جوارا) دون غيرها لأنّها من الألفاظ التي أصابها تطور دلالي في مسيرتها فهي في الأصل تدل على صوت الحيوان الذي يجار من ألم أو شيء يصيبه ويمثل هذا دلالة حسية لهذه اللفظة ثم أصاب دلالتها نوع من التطور والانتقال فاستعيرت للتعبير عن صوت الإنسان

(1) ديوان الأعشى : 116

(2) المحرر الوجيز : 441/4

(3) التبيان : 391 /6 ، مجمع البيان : 563 /5

(4) الميزان : 288 /8

(5) ظ: الأمثل : 195 /8

الذي يتضرع لخالفه من أجل كشف ضره وما يصيبه من ويلات⁽¹⁾ ووجه المشابهة بين الداليتين هو النداء والتضرع وقت الحاجة فقط وارتفاع الصوت في كل منهما .

ب- ما ورد من المصادر على صيغة (فَعْلان) :-

ما ورد على وزن فعْلان من المصادر يدل في سياقاته المختلفة على الحركة والاضطراب وقد ذكر هذه الدلالة علماء العرب القدامى وفي مقدمتهم سيبويه (ت 180 هـ) إذ يقول : (من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النَّزوان والنَّقْزان وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازة في إرتفاع ومثله العسلان والرتكان)⁽²⁾ وقد أشار ابن عطية الى ما ورد من هذا الوزن في آيات القرآن الكريم في وقفاته التفسيرية ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

الطُّوفَانَ ﴾ (الأعراف : 133) يقول : " والطوفان : مصدر من قولك طاف ، يطوف فهو عام في كل شيء يطوف إلا أن استعمال العرب له كثر في الماء والمطر الشديد ..."⁽³⁾ ويتضح أن دلالة هذا الوزن قد لفتت نظر ابن عطية وغيره من المفسرين من أمثال الطوسي (ت 460 هـ) يقول : (أخبر الله تعالى أنه لما قال فرعون وقومه ما قالوا – من أنهم لا يؤمنون ، وإن أتى بجميع الآيات ، فإنهم لا يصدقونه على نبوته – أنه أرسل عليهم الطوفان وهو السيل الذي يعم بتغريقه الأرض ، وهو مأخوذ من الطوف فيها ، وقيل : هو مصدر كالرجحان والنقصان . وقال الأخفش : واحدة طوفانه⁽⁴⁾ ، وأما المفسرون فإنهم اختلفوا في معناه فقال ابن عباس في بعض الروايات عنه : إنه الغرق . وقال مجاهد : هو الموت⁽⁵⁾ . وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه كان أمراً من الله تعالى طاف بهم وقال تعالى في قصة نوح ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ

﴾ (العنكبوت 14) ... وقال أبو عبيدة⁽⁶⁾ : الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع⁽⁷⁾ وتابعه في ذلك الطبرسي (ت 548 هـ)⁽⁸⁾ والطباطبائي يقول : (الطوفان – على ما قاله

(1) ظ : لسان العرب : 4 / 112 (جأر)

(2) الكتاب : 4 / 337 ، الأصول في النحو : آبن السراج : 3 / 92 المزهر في علوم اللغة : 1 / 73 ، معاني الأبنية : 30 ، أبنية الصرف : 212

(3) المحرر الوجيز : 2 / 443

(4) ظ : معاني القرآن : الأخفش : 197

(5) ظ : تفسير مجاهد : مجاهد : 86

(6) ظ : مجاز القرآن : 1 / 226

(7) : 4 / 520-521

(8) ظ : مجمع البيان : 3 / 719

الراغب (1) – كل حادثة تحيط بالإنسان وصار متعارفا في الماء المتناهي في الكثرة وفي المجمع : أنه السيل الذي يعم بتغريقه الأرض وهو مأخوذ من الطوف فيها(2)
والظاهر مما تقدم أن ابن عطية كان دقيقا حين أشار إلى أن هذه المفردة قد تخصصت في الدلالة على الماء بعد أن كانت عامة تدل على كل ما يطيف بالإنسان من موت أو هلاك أو حركة ويمكننا القول : إن كلمة طوفان تدل بصورة عامة على كل ما فيه حركة واضطراب فهي مثل الدوران والقفزان والنزوان . لكنها تخصصت في الدلالة على ما يحدث من حركة في الماء .

ونجد مثل ذلك في حديثه عن كلمة (حيوان) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت):

(64) يقول : " ﴿ الْحَيَوَانُ ﴾ و (الحياة) بمعنى واحد ، وهو عند الخليل (ت 175

هـ) وسبويه (ت 180 هـ) (3) مصدر كالهيمان ونحوه ، والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو وهو حسن ... " (4)

ويتضح من نص ابن عطية أنه يستحسن ما ذهب إليه مجاهد في دلالة مفردة (حيوان) التي تدل على استمرار الحياة في الآخرة ونجد موقفا مشابها عند الطوسي (ت 460 هـ) لما ذهب إليه ابن عطية في تفسير لفظة (الحيوان) يقول : (﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أي الحياة

على الحقيقة لكونها دائمة باقية ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ صحة ما أخبرناك به . وقال أبو عبيدة (5)

الحيوان والحياة واحد (6) ويتبين من ذلك أن الذي نقله الطوسي عن أبي عبيدة في أن الحيوان والحياة بمعنى واحد قد رده ما جاء عن الطبرسي في تفسيره لفظة (الحيوان) يقول :

(﴿ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أي الحياة على الحقيقة لأنها الدائمة الباقية التي لازوال لها ولا موت فيها

وتقديره وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان أو ذات الحيوان لأن الحيوان مصدر كالنزوان والغليان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمعنى أن حياة الدار الآخرة هي الحياة التي

(1) ظ: مفردات ألفاظ القرآن : الأصفهاني : 532

(2) الميزان : 238 / 8 ، الأمثل : 162 / 5

(3) ظ : الكتاب : 89 / 4

(4) المحرر الوجيز : 325 / 4

(5) ظ : مجاز القرآن : 117 / 2

(6) التبيين : 225 / 8

لاتنغيص فيها ولا تكدير ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الفرق بين الحياة الفانية والحياة الباقية الدائمة أي لو علموا لرغبوا في الباقي وزهدوا في الفاني ولكنهم لا يعلمون (1) وتابعه في ذلك الطباطبائي (ت 1984هـ) (2) والشيرازي (3) .

ومما تقدم يتضح أنّ مفردة ﴿الْحَيَوَانُ﴾ الواردة في الآية الكريمة هي مصدر على زنة (فعلان) ذلك البناء الذي لا يكاد يخلو من الحركة كالنزوان وعدل السياق القرآني عن لفظ (حياة) في الآية الكريمة الى لفظة ﴿الْحَيَوَانُ﴾ وذلك لدلالة لفظة ﴿الْحَيَوَانُ﴾ على المبالغة في ديمومة الحياة في دار الآخرة التي لا يغنى فيها الإنسان أبداً وأكد ذلك المعنى الإمام ناصر الدين (ت 683هـ) وصاحب (الانتصاف) يقول : (والذي يخص هذا البناء به إفادة مالا يخلو من الحركة النزوان والجولان والحيوان من ذلك) (4)

وإنّ استعمال مفردة ﴿الْحَيَوَانُ﴾ للدلالة على الحياة في الآخرة له مغزى دلالي واضح قصده الله سبحانه وتعالى وهو الديمومة والاستمرار وكأنّ هذه الحياة دائمة متجددة وهي في حركة دائمة لاسكون فيها لذا عدل عن لفظة (الحياة) التي يعقبا سكون الموت إلى لفظة ﴿الْحَيَوَانُ﴾ التي تدل على الحركة الأبدية الدائمة .

(1) مجمع البيان : 458 / 8

(2) ظ : الميزان : 157 / 16

(3) ظ : الأمتل : 409 / 12

(4) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال : في هامش تفسير الكشاف : احمد بن منير

الأسكنندري : 467 468

ج- الوصف بالمصدر :

الوصف بالمصدر خلاف الأصل لأنَّ الأصل في الوصف أن يكون المشتق ولكن العرب في كلامهم عدلوا إلى الوصف بالمصدر للحصول على دلالة تختلف عن الوصف بالمشتق لأنَّ المصدر يمثل تجسيدا للحدث بصورة تامة وكأنَّه الموصوف به قد أصبح الحدث نفسه وهو نوع من المبالغة في الوصف يعمد إليها العربي إذا إحتاج إليها وقد ورد الوصف بالمصدر لتحقيق هذه الدلالة في طائفة من الآيات القرآنية التي أراد الله سبحانه وتعالى بها تأكيد الحدث والمبالغة فيه ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ

﴿يوسف : 18﴾ وقد توقف ابن عطية حين فسر هذه الآية عند قوله (كذب) يقول "ووصف الدم بـ (الكذب) أما على معنى بدم ذي كذب وأما بمعنى مكذوب عليه ، كما جاء المعقول بدل العقل في قول الشاعر الراعي القطامي : (1)

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَتْرَكُوا الْعِظَامَ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا

فكذلك يجيء التكذيب مكان المكذوب (2) " (3)

ويعلق ابن عطية على ما نقله عن الطبري (ت 310هـ) يقول : " هذا كلام الطبري ، ولا شاهد له فيه عندي لأن نفي المعقول يقتضي نفي العقل ، ولا يحتاج إلى بدل ، وإنما (الدم الكذب) عندي وصف بالمصدر على جهة المبالغة ... " (4) .

وآختلف المفسرون في تفسير لفظة (كذب) وفي مقدمتهم الطوسي (ت 460 هـ) يقول : (ومعنى (كذب) مكذوب فيه ، كما قيل الليلة الهلال فيرفع ، وكما قال ﴿ فَمَا رِبِحْتُمْ

﴿بِقَارْتِهِمْ﴾ (البقرة : 15) أي ما ربحوا في تجارتهم إلا أنَّه وصف في المصدر وتقديره بدم ذي

كذب لكن إذا بولغ في الصفة اجري على هذه الصفة ، وقال الفراء يجوز أن يكون المصدر

(1) ديوان الراعي النميري : 61

(2) ظ: جامع البيان : 7 / 12

(3) المحرر الوجيز: 227 / 3

(4) المصدر نفسه .

وقع موقع مفعول كما يقع مفعول موقع المصدر في مثل قول الراعي القطامي : (1)

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا

ولا يجيزه سيبويه ، ويقول مفعول لا يكون مصدراً ، ويتأول قولهم : خذ ميسوره ، ودع معسوره أي خذ ما يسر ودع ما عسر عليه ، وكذلك : ليس لفؤاده معقولا أي ما يعقل به (2) وذهب الطبرسي (ت 548هـ) إلى أنّ (كذب) بمعنى مكذوب يقول : (ومعنى قوله (بدم كذب) مكذوب عليه أوفيه كما يقال ماء سكب أي مسكوب وشراب صب أي مصبوب قال الشاعر : (3)

تظنُّ جيادهم نوحاً عليهم مقلدةً أعتها صفوئاً

أراد نائحة عليهم (4)

وتابع العلامة الطباطبائي (ت 1984هـ) ابن عطية في تفسير لفظة (كذب) يقول : (قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ الكذب بالفتح فالكسر مصدر أريد به الفاعل للمبالغة أي بدم كاذب بين الكذب (5) .

ويبدو مما تقدم أنّ ابن عطية كان دقيقاً حين ذكر أنّ لفظة (كذب) من باب الوصف بالمصدر وذلك لما يؤديه إقامة المصدر مقام الصفة من دلالة على المبالغة في الحدث فيكون قوله (كذب) كأنه نفس الكذب وعينه (6) وبذلك رد ابن عطية ماجاء به المفسرون ممن سبقه في تفسير قوله تعالى ﴿ كَذِبٍ ﴾ فجعله بعضهم مؤولاً بمشتق أي (بدم مكذوب) (7) وحمله بعضهم على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي (بدم ذي كذب) (8) وذلك كله مردود عند ابن عطية وذكر أنّه من باب الوصف بالمصدر كما ذكرنا سابقاً .

(1) ديوان الراعي النميري : تحقيق : د. واضح الصمد : 61

(2) التبيين : 111 / 6

(3) ديوان عمرو بن كلثوم : 69 ، جاء البيت في الديوان (تَرَكَتُّ الخَيْلَ عاكفة عليه مقلدة أعتها صفوئاً)

(4) مجمع البيان : 333 / 5

(5) الميزان : 110 / 11

(6) ظ: الكشف: 425 / 2 ، الجملة العربية والمعنى : د. فاضل صالح السامرائي : 181

(7) ظ : معاني القرآن : الفراء : 188 / 2

(8) ظ: أعراب القرآن : أبو إسحاق الزجاج : 18/1

ومن ذلك أيضاً ماورد في قوله تعالى ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾

(الملك : 30) ذكر ابن عطية دلالة لفظة (غوراً) يقول : " (الغور) : مصدر يوصف به على معنى المبالغة ومنه قول الأعرابي : وغادرت الشراب موراً والماء غوراً" (1) ونجد مثل ذلك المعنى عند أبي عبيدة (ت210هـ) يقول : (أي غائراً ، والعرب تصف الفاعل بمصدر وكذلك الاثنين والجميع على لفظ المصدر ، قال عمرو بن كلثوم : (2)

تَظَنَّ جِيَادَهُ نَوْحاً عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْنَتْهَا صَفُونًا

أي : نائحات (3) وتابعة على ذلك الطوسي (ت460هـ) قال : (أي : غائراً وصف الغائر بالغور الذي هو المصدر مبالغة يقال ماء غور ، وماءان غور ، ومياه غور كما يقال : هؤلاء زور فلان وضيغه لأنه مصدر في قول الفراء وغيره (4) وهذا ما جرت عليه العرب في تأويل الوصف بالمصدر لأن وقوع المصدر وصفا مخالفا للأصل وقد إلتمس علماء اللغة لمفردة غورا الواردة في قوله الآية المتقدمة الذكر تأويلا أجمع فيه معظمهم على أن مفردة (غورا) هي من باب العدول عن (غائر) التي على زنة اسم الفاعل إلى صيغة (غورا) لملح دلالي أرادته السياق وهو المبالغة في وصف نقص الماء وشدته لأن الوصف بالمصدر أبلغ من الوصف بالمشترك لذا يعدل إليه حين يراد المبالغة في الأمر (5) وكأن الماء صارت حقيقته غورا (لأن في المصدر حركة ممتدة على الأزمنة جميعها وهذا الأمتداد هو الذي يجعل الموصوف بالمصدر كأنه مخلوق من ذلك الفعل ...) (6)

ثانيا: الدلالة الصرفية في الأفعال .

- (1) المحرر الوجيز: 257 /3
- (2) ديوان عمرو بن كلثوم : 69 ، جاء البيت في الديوان (تركز الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا)
- (3) مجاز القرآن : 1: 403-404
- (4) التبيان : 72 /1 ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل : 588 /4
- (5) ظ: المقتضب : 538 /4 ، المخصص : 156 /4 ، الخصائص : 189 /3 ، شرح المفصل للزمخشري 3
- (6) 49 / ، شرح شافية ابن الحاجب : 138 /3 ، العدول الصرفي في القرآن الكريم : د. هلال محمود الجحيشي 70
- (6) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : أ.د. هادي نهر : 72

أبنية الأفعال :

الأفعال لها أبنية كثيرة منها ما هو مجرد ومنها ما هو مزيد وفي ضوء القاعدة المعروفة زيادة المبنى لها أثر في المعنى فإنَّ الأفعال المزيدة لها دلالات تؤديها من خلال السياق الذي ترد فيه وقد أفاض العلماء وأكثروا الحديث عن معاني صيغ الزيادة قديماً وحديثاً وذكروا فيها كثيراً من المسائل التي لاتحتاج إلى تكرار ويمكن الرجوع إليها في مظانها⁽¹⁾ وسوف نقف عند الصيغ المزيدة التي وردت في تفسير ابن عطية من خلال استعمال السياق القرآني لها وما ذكره المفسرون من دلالات تؤديها هذه الصيغ في الآيات الكريمة :

الأفعال المزيدة :-

أبنية الأفعال المزيدة منها ما يزداد فيه حرف واحد ومنها ما يزداد فيه حرفان ومنها ما يزداد فيه ثلاثة أحرف وهذه الزيادة في المبنى تمنح الأفعال المزيدة دلالات جديدة لم تكن تؤديها قبل هذه الزيادة وسوف نعرض لأبنية الأفعال المزيدة التي وردت في تفسير ابن عطية وأشار إلى دلالتها في تفسير الآيات القرآنية ، وهي تضم أنواع المزيد التي تقدم ذكرها .

1- الأفعال المزيدة بحرف واحد :

أ- فَعَلَ وَأَفْعَلَ :-

ومن المسائل التي وقف عندها ابن عطية في هذا الباب تلك المسألة التي شغلت العلماء قبله وبعده وهي مسألة (فعل وأفعل) وما فيها من خلاف حول دلالة الصيغتين وهل بالإمكان أن يكونا بمعنى واحد أو بمعنيين مختلفين وقد اختلف العلماء في هذه المسألة بين مؤيد وناف في حديث طويل لانرى مسوغاً للخوض فيه ولكننا سنشير إلى ما تحدثت به صاحبنا في هذا الميدان وما ذكره من أفاظ -

قسط وأقسط :-

ذكر ابن عطية دلالة الفعل (قسط) الثلاثي ودلالة (أقسط) المزيد في حديثه عن تفسير

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ (النساء : 3) يقول : " يقال أقسط

(1) ظ : الكتاب : 4 / 183 ، أدب الكاتب : 1 / 355 ، الصاحبي : ابن فارس : 222 - 223 ، شرح شافية ابن الحاجب : 1 / 92

الرجل إذا عدل وقسط إذا جار" (1) ذكر ذلك المعنى الطوسي (ت 460 هـ) في قوله : (ومعنى ﴿أَلَا تُقْسِطُوا﴾ أي لا تعدلوا ولا تنصفوا ، فالإقسط هو العدل والإنصاف والقسط هو الجور ومنه قوله : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن : 15) (2) وتابعه على ذلك الطبرسي (ت 548 هـ) (3) ونقل عنهم ذلك الطباطبائي (ت 1984 هـ) يقول : (... قيل : قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل قال : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن : 15) وقال : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة : 42) (4) وتابعه في ذلك الشيرازي (5) .

ويتضح مما تقدم أنّ للفعلين ضربين من الاستعمال وقد جاء ذلك في الكتاب العزيز فالضرب الأول أنّ (قسط) تأتي للجور ، والضرب الثاني أن الفعل (أقسط) يدل على العدل وقد لفتت هذه المسألة نظر ابن عطية مثلما لفتت أنظار غيره من المفسرين كما أشرنا سابقا ، فهو يفرق بينهما ويرى أنّ المزيد يدل على العدل وقد جاء بهذه الدلالة في طائفة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة : 42) وفي قوله

تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ (آل

عمران : 18) وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ﴾ (النساء : 127) (6) وغيرها أما الفعل (قسط) ومنه لفظة قاسط فإنها تدل على الجور والظلم وقد وردت في السياق القرآني بهذه الدلالة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن :

. (15-14) .

(1) المحرر الوجيز : 6 / 2

(2) التبيان : 104 / 3

(3) ظ : مجمع البيان : 8 / 3

(4) الميزان : 38 / 8

(5) ظ : الأمثل : 90 / 19

(6) النساء : 135 ، الأنعام : 152 ، الأعراف : 29 ، يونس : 4 ، 47 ، هود : 85

ومن هنا فهو يفرق بين الدالتين لـ (قسط وأقسط) و هو منهج كثير من العلماء القدامى فقد ذهبوا إلى التفريق بين الصيغتين في حين ذهب بعضهم إلى أنهما بمعنى واحد وفسروا ذلك بتداخل اللهجات (1) وما ذهب إليه ابن عطية ومن سبقه في هذا المنهج هو الصواب كما نرى . وبمثل ذلك تحدث عن لفظتي (مطر وأمطر) فقد ذكر ابن عطية إختلاف دلالة صيغتي (فعل) و(أفعل) وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ

أليم ﴾ (الأنفال : 32) يقول : " وأمطر أنما أستعمل في المكروه ومطر في الرحمة كذا قال أبو

عبيدة ويعارض هذه قوله ﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾ (الأحقاف : 24) لأنهم ظنوها سحابة

رحمة" (2) وقد ذكر ذلك المعنى أبو عبيدة يقول : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾

مجازه كل شيء من العذاب فهو أمطرت بالألف إن كان من الرحمة فهو مطرت (3) ونقل عنه

ذلك المعنى الطبرسي يقول : (قال أبو عبيدة يقال مطر في الرحمة وأمطر في العذاب) (4)

ويتضح مما تقدم أن (أمطر) المزيد بالهمزة تختلف دلالاته عن (مطر) عند ابن عطية فهو يفرق بينهما ويرى أن المزيد يدل على الشر والعذاب وقد ورد بهذه الدلالة في طائفة من الآيات

القرآنية منها قوله تعالى : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (الأنفال : 32)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴾ (هود : 82)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾ (النمل : 58) (5)

أما الفعل (مَطَرَنَ) الثلاثي فلم يرد في القرآن الكريم مطلقا لا في موضع خير ولا شر بل وردت لفظة (مطرا) إما مفعول به أو مفعول مطلق ، ومن هنا يتضح أن ابن عطية كان تابعا لأبي عبيدة ومن تبعه على دلالة (مطر وأمطر) إلا أن ما ذهبوا إليه ليس صائبا وأثبت ذلك من جاء بعدهم من المفسرين بالحجج القاطعة ومنهم الألووسي في (روح المعاني) (6) وتابعه في

(1) ظ : فعلت وأفعلت : أبو حاتم السجستاني : (المقدمة) : 62

(2) المحرر الوجيز : 521 / 2

(3) مجاز القرآن : أبو عبيدة : 44 / 1

(4) مجمع البيان : 281 / 5

(5) الفرقان:40، الشعراء:173، الأعراف:84، الحجر:74

(1) روح المعاني : الألووسي : 172 / 8

ذلك طائفة من المحدثين⁽¹⁾ الذين أنكروا بشدة ، الفرق بين الصيغتين مستندين في ذلك على السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة (أمطر) والتي مر ذكرها سابقا .

ب- فعل وفعل

إنّ تضعيف عين الفعل له دلالة على التكرير والتكرار وهي مسألة أشار إليها القدامى من العلماء فقد ورد ذلك عند سيبويه (ت180هـ)⁽²⁾ وابن جني(ت392هـ)⁽³⁾ وجرى الآخرون على هذا ومنهم ابن عطية الذي أشار إلى ذلك في تفسير طائفة من الألفاظ منها الفعل (ذبح) الوارد في قوله تعالى : ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (البقرة: 49) والغاية من تضعيف العين في هذا الفعل هي الدلالة على تكرار الفعل والمبالغة فيه وهذا المعنى هو الذي أشار إليه ابن عطية يقول " وقرأ الجمهور ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بشد الباء المكسورة على المبالغة ، وقرأ ابن محيصن⁽⁴⁾ (يذبحون) بالتخفيف والأول أرجح إذ الذبح متكرر " ⁽⁵⁾ وتابعه في ذلك أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) يقول : ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ : قراءة الجمهور بالتشديد ، وهي أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته...) ⁽⁶⁾ ويؤكد ذلك المعنى ما ذهب إليه البقاعي (ت885هـ) يقول ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ من التذبيح وهو تكرار الذبح ...) ⁽⁷⁾ .

وفي ضوء ما تقدم من إشارات وترجيحات للفعل (يذبحون) بالتضعيف ، أنّ السياق القرآني أراد منه المبالغة في هذا الفعل والأكثر منه عند هؤلاء القوم ليرسم أمام المخاطبين صورة بشعة مرعبة لهذه الممارسة التي تجري ضدهم من قتل أبنائهم وذبحهم في كل حين مما يدل على قسوة الأعداء وجبروتهم وظلمهم ولذا استعمل السياق صيغة المضارع للدلالة على حدث وقع في الماضي من أجل استحضار هذه الصورة أمام الأنظار وكأنها تحدث في هذا الوقت .

(2) ظ : من وحي القرآن : د. إبراهيم السامرائي : 127 ، والتعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي : 15 وقضايا لغوية وقرآنية : د. عبد الأمير زاهد : 193 .
(3) ظ: الكتاب : 180 /4
(4) ظ: الخصائص : 153 /1 ، شرح شافية ابن الحاجب : 192 /1 ، أوزان الفعل ومعانيها : 74- 83
(5) ظ: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : 253 /1
(6) المحرر الوجيز : 140 /1
(7) البحر المحيط : 351 /1
(8) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : 130 /1

ومثل ذلك نجده في حديثه عن الأفعال (قتل وصلب وقطع) الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ هُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ (المائدة : 33) ذكر ابن عطية دلالة (قتل وصلب وقطع) يقول: "وقرأ

الجمهور (يُقَتَّلُوا ، ُ يُصَلَّبُوا ، تُقَطَّعُ) بالثقل في هذه الأفعال للمبالغة والتكثير. والتكثير هنا

إنما هو من جهة عدد الذين يوقع بهم كالتنبيح في بني إسرائيل في قراءة من ثقل ﴿يُدَّبِّحُونَ﴾...

"⁽¹⁾ ونقل عنه هذا المعنى أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) يقول: (والتشديد في ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعُ ﴾ قراءة الجمهور ، وهو للتكثير بالنسبة إلى الذين يوقع بهم الفعل ...) ⁽²⁾

و الظاهر من خلال ما تقدم أنّ الأفعال (قتل وصلب وقطع) بالتضعيف أنّ السياق

القرآني أراد منها المبالغة في هذا الفعل والأكثر منه في عدد الذين يوقع عليهم الفعل وهذه عادة

الخطاب الإلهي لبني إسرائيل إذ يستعمل معهم التشديد في الأفعال ليبدل على توجيه التهديد

والوعيد إليهم وأسهمت صيغة (فعّل) في رسم مشهد التهويل والتخويف لمن يجرؤ على محاربة

الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) ويسعى فسادا في الأرض فيكون بذلك جزاؤه القتل

أو الصلب أو القطع لأطرافه وإن لصوت (القاف والباء والطاء) أثرا في زيادة الرعب والخوف

في نفوس بني إسرائيل وذلك لأنها من الأصوات الشديدة المجهورة وبهذا نلاحظ تعاضد الجانب

الصوتي والصرفي في الآية الكريمة لبلوغ المراد الإلهي منها .

2 - المزيد بحرفين :

أ- فعل و تفعل :-

(1) المحرر الوجيز : 185 /2

(2) البحر المحيط : 485 /4

ما زيد فيه حرفان من أبنية الأفعال يمثل طائفة من الصيغ التي تستعمل في سياقات مختلفة وتمنحها هذه الزيادة في المبنى مجموعة من الدلالات يحددها السياق والأستعمال وقد ورد في القرآن طائفة من الأفعال المزيدة بحرفين واستعملت للإفادة منها في أداء دلالات مختلفة في السياق القرآني ومن هذه الصيغ صيغة (تفعل) بزيادة التاء وتضعيف العين . وهذه الصيغة ذكر لها الصرفيون مجموعة من الدلالات منها التكلف⁽¹⁾ والاتخاذ⁽²⁾ والاجتناب⁽³⁾ وقد أشار ابن عطية إلى ورود هذه الصيغة في طائفة من الآيات القرآنية موضحة دلالاتها وما تؤديه من معنى ومما جاء على مثال تلك الصيغ الفعل (تفكّهون) الذي ورد في قوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ

حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (الواقعة: 65) يقول : " و ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد

وقتادة معناه : تعجبون ، وقال عكرمة : تلاومون . وقيل معناه : تندمون وقيل معناه تنفجعون ، وهذا كله تفسير لا يخص اللفظة ، والذي يخص اللفظ هو : تطرحون الفكاكة عن أنفسكم وهي المسرة والجدل ، والرجل فكه إذا كان منبسط النفس غير مكترث بالشيء ، وتفكه من أخوات تخرج وتحوب⁽⁴⁾ ويعلق ابن عطية على ما نقله عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يقول : ".... وهذا كله تفسير لا يخص اللفظة ، والذي يخص اللفظ ، هو : تطرحون الفكاكة عن أنفسكم وهي المسرة والجدل ، ورجل فكه إذا كان منبسط النفس غير مكترث بالشيء ، وتفكه من أخوات تخرج وتحوب ."⁽⁵⁾

ويتضح مما تقدم أنّ ابن عطية لم يوافق ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد وقتادة وإنّما حمل مفردة (تفكّهون) على أنّها من باب اجتناب الفعل وتركه ولا يختلف هذا عما ذهب إليه الطوسي (ت460هـ) في (التبيان) يقول : (وقوله ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ معناه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة – وفي رواية عنه – تعجبون . وقال الحسن وقتادة- في رواية – فظلمت تندمون أي لو جعلناه حطاما فظلمت تندمون والمعنى أن كنتم تروحون إلى التندم ، كما تروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم وأصله التفكه تناول ضروب الفكاكة للأكل⁽⁶⁾ .

وفي ضوء ماتقدم نفهم أنّ زيادة (التاء) في صيغة (فعل) أفادت معنى الاجتناب أي ترك الفكاكة لما يحل بهم من العذاب ويرى ذلك المعنى أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) يقول

(1) ظ : شرح شافية ابن الحاجب : 1/ 104 ، وأوزان الفعل ومعانيها : د. هاشم طه شلاش : 94
(2) ظ : المصدر نفسه : 1/ 105
(3) ظ : المصدر نفسه .
(4) المحرر الوجيز : 5/ 249
(5) المصدر نفسه .
(1) التبيان : 9/ 505

(... ومعنى تفكهون : تطرحون الفاكهة عن أنفسكم وهي المسرة ، ورجل فكه : منبسط النفس غير مكترث بشيء ، وتفكه من أخوات وتخرج وتحوب)⁽¹⁾.

وفي ضوء ما تقدم أنّ أبا حيان الأندلسي قد تبنى ما ذهب إليه ابن عطية في دلالة (تفكهون) الواردة في الآية المتقدمة الذكر ومن ذلك تكون دلالة مفردة (تفكهون) الواردة في الآية الكريمة السابقة دلت على نبذ الفكاهاة والابتعاد عنها لهول ما يقع بهم من العذاب والذي دلّ على ذلك هو زيادة (التاء) في صيغة (تفعل) والتي كانت من دلالاتها الاجتناب أي تجنب الفعل وتركه لذلك ذكر ابن عطية أنّ (تفكهون) من أخوات (تخرج وتحوب) أي تجنب الحرج والحوب⁽²⁾

ومن ذلك أيضا حديثه عن الفعل (تهجد) على وزن (تفعل) وقد ورد في قوله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾

﴿الليل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:79) يقول : " ﴿

فَتَهَجَّدْ﴾ معناه : فاطرح الهجود عنك ، والهجود النوم ، يقال هجد يهجد بضم الجيم هجودا إذا

نام ... ومنه قول الحطيئة : (3)

فَحَيَّاكَ وَدُمْنَ هَوَاكَ لِقَيْتَهُ وَخَوْضٌ بِأَعْلَى ذِي طُؤَالَةٍ
هُجْدِ

وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتائم وتحنت ، ومثله ﴿فَطَلُّتُمْ تَفَكُّهُونَ﴾ (الواقعة : 65)

معناه تندمون ، أي تطرحون الفكاهاة عن أنفسكم وهي انبساط النفس وسرورها يقال رجل فكه إذا كان كثير السرور والضحك ، فالمعنى وقتنا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة ...⁽⁴⁾

ونجد مثل ذلك المعنى عند الطوسي (ت460هـ) يقول : (هذا خطاب للنبي (صلى الله عليه

وآله وسلم) يقول الله تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ والتهجد التيقظ بما ينفي النوم ، والهجود

النوم ، وهو الأصل هجد يهجد هجودا ، فهو هاجد إذا نام ...⁽⁵⁾

(2) البحر المحيط : 211 / 8

(3) ظ : شرح شافية ابن الحاجب : 105 / 1 ، أوزان الفعل ومعانيها : 95

(4) ديوان الحطيئة : 148

(5) المحرر الوجيز : 478 / 3

(6) التبيين : 511 / 6

وتابعه في ذلك المعنى الطبرسي (ت 548هـ)⁽¹⁾ ونقل عنهما ذلك المعنى الطباطبائي (ت1984هـ) يقول : (التهجد من الهجود وهو النوم في الأصل ومعنى التهجد التيقظ والسهر بعد النوم على ما ذكره غير واحد منهم)⁽²⁾

ويتضح مما تقدم أنّ صيغة (تفعل) في هذا السياق تدل على الاجتناب وكأنّها توحى بخلاف دلالة الفعل (هجد) الذي يعني الخلود إلى النوم والسكينة فالتهجد يعني تجنب النوم والابتعاد عنه وهذه واحدة من دلالات صيغة (تفعل) التي ذكرها العلماء وقد وردت في هذا السياق للتعبير عن توجيه الله سبحانه وتعالى للعبد فعليه أن يجتهد في عبادة ربه ويتعد عن النوم الذي فيه سبب تقصير الإنسان في أداء ما يقربه الله سبحانه أكثر .

ويتضح هذا واضحا من معنى كلمة (تهجد) الواردة في معجمات اللغة ومنها معجم (العين) للخليل إذ يقول : (هجد القوم هجود أي ناموا ، وتهجدوا ، أي استيقظوا لصلاة أو لأمر وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ (الإسراء : 79))⁽³⁾ .

والظاهر أنّ استعمال صيغة (تفعل) المزيدة في هذا السياق يعبر تعبيرا صادقا عن إرادة الله سبحانه وتعالى في عباده في هذا السياق فهو لم يخلقهم للنوم فقط إنّما خلقهم وشرع لهم حدود منها الواجبة والمستحبة وكان منها التوجه إليه في أوقات مخصوصة من الليل .

(1) ظ : مجمع البيان: 251 / 6

(2) الميزان : 93 / 13

(3) العين : 385 / 3 (هجر)

ب- فعل و افتعل :

صيغة (افتعل) من الصيغ المزيدة بحرفين هما الهمزة والتاء وهذا البناء ذكر له الصرفيون طائفة من المعاني التي يؤديها من خلال السياقات التي يستعمل فيها⁽¹⁾.

وقد وردت هذه الصيغة في طائفة من الآيات القرآنية وهي تحمل طائفة من الدلالات مما أشار إليه الصرفيون ، ويمنح السياق الذي تستعمل فيه المفردة دلالات مضافة إلى دلالتها المحددة وقد توقف ابن عطية وهو يفسر آيات القرآن عند بعض الصيغ التي وردت على هذا الوزن المزيد موضحا ما تدل عليه في بعض السياقات القرآنية ومن الألفاظ التي تحدث عنها في تفسيره لفظة (اكتسب) التي وردت في قوله تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

(البقرة : 286) يقول : " وقوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يريد من الحسنات ﴿وَعَلَيْهَا مَا

اكْتَسَبَتْ﴾ يريد من السيئات قاله السدي وجماعة من المفسرين ، لا خلاف في ذلك ، والخواطر

ونحوها ليس من كسب الإنسان وجاءت العبارة في الحسنات بـ (لها) من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف إلى ملكه وجاءت في السيئات بـ (عليها) من حيث هي أوزار وأثقال ومتحلمات صعبة ، وهذا كما تقول لي مال وعلي دين وكما يقول المتصدق باللقطة : اللهم عن فلان فإن أبي فلي وعليّ ، وكرر فعل الكسب مخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام ، كما قال ﴿فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنهْلَهُمْ زُؤِيدًا﴾ (الطارق : 17) هذا وجه ، والذي يظهر لي في هذا أن

الحسنات هي مما كسب الإنسان دون تكلف ، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه والسيئات تكتسب بناء مبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى (ويتخطاه إليها ، فيحسن في الآية مجيء التصريفيين إحرزا لهذا المعنى ..."⁽²⁾ والظاهر أن ابن عطية قد أخذ عن سيبويه دلالة كل من مفردتي (كسب) و (اكتسب) والدليل على ذلك قول سيبويه (ت 180هـ) في (الكتاب) يقول: (وأما كسب فإنه يقول أصاب ، وأما أكتسب فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب)⁽³⁾ وقوله : (للتصرف) يعني به الاجتهاد والعمل في

طلب الشيء كما أشار إلى هذا الزمخشري (ت 538هـ) يقول : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

(1) ظ : أدب الكاتب : 361 ، شرح المفصل للزمخشري : 4 / 441

(2) المحرر الوجيز : 1 / 393

(1) الكتاب : 4 / 186 ، شرح شافية ابن الحاجب : 1 / 108

اُكْتَسَبَتْ ﴿﴾ ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر ، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها . فإن قلت : لم خص الخير بالكسب ، والشر بالاكتساب ؟ قلت : في الاكتساب ائتمال فلما كان الشر مما تشتهي النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به ، كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على (الائتمال) (1) وتابعه في ذلك المعنى الطبرسي (ت 548هـ) (2) والشيرازي يقول : (وتجدد الإشارة إلى أَنَّ الآية تطلق على الأعمال الصالحة اسم "الكسب" وعلى الأعمال السيئة اسم "الاكتساب" ولعل السبب هو أن "الكسب" يستعمل بالنسبة إلى الأمور التي يحققها المرء برغبة داخلية وبلا تكليف وهي تناسب فطرته ، بينما "الاكتساب" هو النقطة المقابلة للكسب ، أي الأعمال التي تنافي الفطرة وطبيعة الإنسان ، بينما أعمال الشر تخالف الفطرة والطبيعة) (3)

ويبدو مما تقدم أن ابن عطية قد أشار إلى دلالة (اكتسب) التي جاءت على صيغة (افتعل) التي تدل على التصرف والاجتهاد في طلب الشيء والحصول عليه لذلك نجد أن ابن عطية تنبه إلى الفرق الدلالي بين صيغتي (فعل وافتعل) التي وردت على زنتهما لفظتي (كسب واكتسب) فدللت الأولى على كسب الأعمال التي ليست فيها تكلف واجتهاد لذلك أجمع المفسرون على أنها تدل على كسب (الحسنات) التي يكون كسبها فيه رغبة نابعة من نفس الإنسان والتي تكسبه الراحة والطمأنينة وهذا الذي أشار المفسرون إليه يقع ضمن الآية السابقة الذكر ، أما إذا تعرضنا لاستعمال التعبير القرآني لهذه اللفظة فنجد أنه لفظة (الكسب) كثيرا ما تأتي في كسب السيئات لا الحسنات وذلك في قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: 18) وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا

فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : 111) وقوله تعالى : ﴿ وَبَدَا

هُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الزمر: 48)

(2) الكشاف : 1 / 359

(3) ظ : مجمع البيان : 2 / 960

(4) الأمل : 2 / 265

ووردت في بعض الآيات القرآنية بدلالة كسب الأعمال الصالحة كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: 267) وقوله تعالى : ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا

إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام : 158) وجاءت في

سياقات أخرى تدل على عموم الكسب من خير وشر وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي

السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام : 3) وقوله

تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم : 51) .

وفي ضوء ما تقدم نفهم أنّ لفظة (الكسب) عامة في الاستعمال القرآني لا خصوصية فيها إذ إنّها تحتل الدلالة على الأعمال الصالحة والسيئة⁽¹⁾ .

أما الثانية لفظة (اكتسب) فجاءت للدلالة على كسب الأعمال التي تتطلب تصرفا واجتهادا لذلك أجمع المفسرون على أنّها تدل على اكتساب (السيئات) التي يكون كسبها فيه خرق لحجب نهى الله تعالى لأنّها أعمال نهى الله عنها في محكم كتابه العزيز وحذر من التعدي على حدوده وهذا التعدي والخرق لا تناسبه صيغة الفعل (فعل) بل تتناسب مع ذلك السياق صيغة (افتعل) وتبدو أكثر انسجاما معه وما يعضد ذلك ما جاء في استعمال التعبير القرآني للفظ (اكتسب) في

اكتساب الأعمال السيئة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا

اكتسَبُوا فَقَدْ اِخْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب : 58) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا

بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ

الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: 11) وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا

فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ

(1) ظ: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : 216- 217

نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾)

النساء : 32) (فاللاكتساب) لا يقع إلا في اكتساب الذنوب والخطايا ، لما تحمله صيغته من زيادة على الصيغة الأصلية ، في حين يدل (الكسب) على العموم في الخير والشر⁽¹⁾ .

3-المزيد بثلاثة أحرف :

أ- استفعل :

مثلما تزداد الصيغ الفعلية بحرفين تزداد بثلاثة أحرف ومن أكثر صيغ الزيادة استعمالا صيغة (أستفعل) المزيدة بالهمزة والتاء والسين وقد ذكر علماء التصريف لهذه الصيغة طائفة من الدلالات التي ذكروها في مصنفاتهم ومنها دلالاته على السؤال كقولك : استعطيتني أي سألتني العطية والتحول أو الصيرورة كقولك : استحجر الطين أي صار حجرا والوجود كقولك استجدته أي أصبته جيدا والقوة كقولك استهتر واستكبر وغيرها⁽²⁾ ، وقد استعمل القرآن الكريم هذه الصيغة في طائفة من آياته للتعبير عن المعاني التي تلائم السياقات التي ترد فيها هذه الصيغ وقد لفتت هذه الظاهرة نظر علماء التفسير فتحدثوا عن دلالات هذه الصيغة في عدد من الآيات التي وردت فيها ومنهم ابن عطية إذ وقف عند عدد من الأفعال المزيدة بثلاثة أحرف موضحا الدلالات التي انصرفت إليها في سياقات النص القرآني ومن هذه الأفعال الفعل (استسقى) الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ (البقرة : 60) يقول "

و ﴿ اسْتَسْقَى ﴾ معناه طلب السقيا وعرف استفعل طلب الشيء ، وقد جاء في غير ذلك كقوله

تعالى : ﴿ وَاسْتَعْنَى اللَّهُ ﴾ (التباين : 6) بمعنى غني ، وقولهم استعجب بمعنى عجب ، ومثل

بعض الناس في هذا بقولهم استنسر البغاث واستنوق الجمل ، إذ هي بمعنى التنقل من حال إلى حال⁽³⁾ .

ونجد فيما سبق إشارة ابن عطية إلى دلالة صيغة (استفعل) وهي دلالتها على الطلب المتمثلة

في قوله تعالى : ﴿ اسْتَسْقَى ﴾ أي طلب السقيا والظاهر من ذلك أنه كان تابعا لسيبويه في دلالة

(1) ظ: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : 216- 217

(2) ظ : الكتاب : 4 / 350 ، أدب الكتاب : 360 – 361 ، شرح المفصل للزمخشري : 4 / 441 ، شرح شافية

ابن الحاجب : 1 / 111 ، شذا العرف في فن الصرف : أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي : 54 وأوزان الفعل

ومعانيها : 110

(1) المحرر الوجيز : 151/1

(استفعل) على الطلب وذلك كقولك : (استعطيت أي طلبت العطية واستعنته أي طلبت إليه العتب ...) (1) وتابعه في ذلك ابن جني (ت 392 هـ) هـ قال : (استفعل في أكثر الأمر للطلب نحو استسقى واستعطى ...) (2) وقد ذكر ذلك المعنى الطوسي (ت 460 هـ) قال : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ : أي سأله أن يسقي قومه ماء ... (3) وتابعه في هذا الطبرسي (ت 548 هـ) (4) والشيرازي (5) .

والظاهر مما تقدم أن صيغة (استفعل) التي جاء على زنتها الفعل (استسقى) دلت على الطلب والسؤال للماء وخير دليل على ذلك حرف (السين) الزائد في الفعل (استسقى) الذي يدل على السؤال كقولك استعلم واستخير أي سأل عن العلم والخبر (6) ودل الفعل (استسقى) على الخضوع والتضرع من العبد لله سبحانه وذلك لأنَّ (الاستسقاء) يكون عندما يحبس القطر عن العباد فحينئذ يتضرعون ويخضعون لله سبحانه وتعالى في (الاستسقاء) وخاصة إذا كان السؤال موجهاً لله عز وجل .

ويتضح مما تقدم أنَّ ابن عطية لم يلتفت إلى طائفة من دلالات الظواهر الصرفية التي كان البحث يود الوقوف عليها في تتبعه لمواضع الدلالة في (المحرر الوجيز) ومنها دلالة المفرد والمثنى والجمع التي تنبه عليها غير واحد من المفسرين ممن سبقوه ولحقوه من أمثال الزمخشري والطبرسي والرازي وغيره ، ومما لا شك فيه أنَّ عدم وقوفه على مثل هذه الدلالات الصرفية لعله ما ستكون مثلاً لاستيفاء الحديث عنها في تلك التفاسير فيكون سبباً كافياً لعدم وقوفه عندها والإشارة إليها في تفسيره ، إلا أنني لا أنكر إشارته إلى دلالة لفظة (الريح) التي وردت بالجمع وذكر دلالتها في حالتي الإفراد والجمع يقول : " (الرياح) جمع ريح ، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب ، إلا في يونس في قوله تعالى : ﴿وَجَزَيْنَ بِهِمْ

بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس : 22) وهذا أغلب وقوعها في الكلام ، وفي الحديث " كان رسول الله

صلى الله عليه - وآله - وسلم إذا هبت الريح يقول : اللهم اجعله (رياحاً) ولا تجعلها ريحاً " وذلك لأنَّ ريح العذاب شديدة ملتزمة الأجزاء كأنها جسم واحد ، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك

(2) الكتاب : 183 / 4

(3) الخصائص : 153 / 2

(4) التبيان : 269 / 1

(5) ظ : مجمع البيان : 249 / 1

(6) ظ : الأمثل : 211 / 1

(7) ظ : جامع البيان : 19 / 2

هي رياح وهو معنى (نشر) وأفردت مع الفلك لأنَّ ريح أجراء السفن إنَّما هي واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب ،...⁽¹⁾ ووجدت مثال ذلك حديثه عن لفظتي (المشرق و المغرب) يقول : " ومتى وقع ذكر المشرق والمغرب فهي إشارة إلى تفصيل مشرق كل يوم ومغربه ، ومتى ذكر المشرقان والمغربان ، فهي إشارة إلى نهايتي المشارق والمغرب لأنَّ ذكر نهايتي الشيء ذكر لجميعه "⁽²⁾ .

ويتضح من ذلك أنَّ ابن عطية قد أشار في بعض المواضع إلى دلالة كل من المفرد والمثنى والجمع إلا أنَّه عزف عن ذكر طائفة من الألفاظ التي كانت لها دلالة في حالاتها من أفراد وتثنية وجمع .

(1) المحرر الوجيز : 233 / 1
(2) المصدر نفسه : 227 / 5

الفصل الثاني

﴿البحث الدلالي في التركيب﴾

المبحث الأول: دلالة التقديم والتأخير .

المبحث الثاني : دلالة الحذف .

المبحث الثالث : دلالة أساليب الكلام .

البحث الدلالي في التركيب

مدخل :

يعد التركيب وسيلة من وسائل إنتاج الدلالة وموطنا مهما من مواطنها (1) ؛ لأن الغاية المنشودة من إخضاع التركيب للدراسة والتحليل هي الوصول إلى تفسير دلالي مناسب (2) ومن ذلك يتضح ما للدلالة من أثر كبير في عملية التحليل وهذا ما نلمسه في حديث عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: (ليس الغرض بنظم الكلم إن توالى ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل) (3) ومن ذلك يكشف لنا عبد القاهر الجرجاني عن مسألة كبيرة الأهمية ذكر فيها (أن الفصاحة لا تكون في أفراد الكلمات ، بل في ضم بعضها إلى بعض وليس المقصود بضم بعضها إلى بعض أن تأتي في النطق أثر بعض بل تعليق معانيها بعضها ببعض) (4) ، ونجد إلى جانب الدلالة ودورها في رسم صورة التركيب أهمية الألفاظ وترتيبها ترتيبا معيناً حسبما تقتضيه الدلالة لذلك أننا نلمح أي تغيير يطرأ على ترتيب الألفاظ في التركيب يجعلها توحى بصورة بعيدة عن سابقتها في اللفظ والمعنى ، من أجل ذلك قيل : (إن التركيب عملية فنية ذات أبعاد صوتية ونفسية ، تتجاذب فيه المعاني والألفاظ وتجيء هذه على قدر تلك لا تزيد ولا تنقص) (5) ويتضح بذلك أهمية كل من اللفظ والمعنى في التركيب ودلالاتهما وأن لا بد من وجود عدد من الروافد التي يستند إليها الباحثون في استنباط دلالة التراكيب ومن هذه الروافد التي يستند إليها في الوصول إلى دلالة التراكيب (الوظائف النحوية) أو ما تسمى بـ (البنية الأساسية) للجملة من الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر فضلا عن الألفاظ التي يتم اختيارها لشغل الوظائف السابقة ، وما ينتج من علاقات قائمة بين الوظائف النحوية والألفاظ و السياق الذي ترد فيه الجملة واتخذ الباحثون العرب من هذه الروافد المتقدمة الذكر رافدين مهمين كانا أساس التفسير الدلالي للتراكيب وهما المعنى الأساسي المتمثل بالبنية الأساسية للتركيب والمعنى الإضافي المتمثل بدلالات الألفاظ والقرائن المختلفة الأخرى .

ومن ذلك نفهم تعاضد كل من البنية الأساسية والبناء المنطوق في رسم صورة التركيب النهائية والتي على أساسهما يكون التحليل الدلالي للتراكيب ، وفي بعض الأحيان يتفق البناء المنطوق مع البنية الأساسية ويأتي التركيب صحيحا نحويا ودلاليا نحو قولك : (سوف أقابل

(1) ظ: أثر اللسانيات في النقد العربي : توفيق الزبيدي : 73

(2) ظ: الدلالة التركيبية بين النحاة العرب والتوليديين التحويليين : (بحث انترنيت) : يسري الصاوي : 1

(3) دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني : 35

(4) التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص : (بحث انترنيت) د. زيد خليل القرالة : 212

(5) ظ: الصورة الفنية في آيات النور في القرآن الكريم : حسن مهاوش العزاوي : 77

أستاذ النحو غدا) وقد يأتي التركيب صحيحا من ناحية البنية الأساسية ولكن المفهوم العام له غير منطقي لا يقبله العقل كقولك : (سوف أشرب ماء البحر أمس)⁽¹⁾ وأحيانا يعمل البناء المنطوق على توجيهنا لاختيار بنية أساسية ، وقد يعمل أحيانا على توجيه المعنى وله القدرة على إضافة معنى إضافي إلى المعنى الأساسي المأخوذ من البنية الأساسية⁽²⁾ ، وقد أشار إلى ذلك المعنى عبد القاهر الجرجاني في وقوفه عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ (الأنعام : 100) ، يقول : (وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبودهم مع الله تعالى وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فإنَّ تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن)⁽³⁾ وهكذا حظي تركيب العبارة عند العرب بما لم يحظ به مثيله عند غيرهم فيما نحسب ويكفي أنه اختص بعلم قائم بذاته هو علم المعاني وقد خصص لهذا المستوى ، والحق أنَّ المستوى التركيبي ودلالاته من القضايا التي إلتفت إليها القدماء في مرحلة باكرا ، وعبر عن ذلك بمصطلح (النظم) هذا الذي تداوله النقاد جيلا بعد جيل ، وقد تنبه عليه طائفة من المفسرين والنحويين والبلاغيين وأفاضوا في دراسته وألفوا فيه طائفة من المؤلفات ومنها: كتاب (نظم القرآن) للجاحظ الذي ذكره في كتابه الحيوان ، ومنها كتاب لعبد الله بن أبي داود السجستاني(ت316 هـ) وكتاب لأبي زيد البلخي (ت322 هـ) وكتاب لأبي بكر بن الإخشيد المعتزلي (ت 326 هـ) والكتب الثلاثة جاءت بعنوان (نظم القرآن) وغيرها .

وقد عني ابن عطية في (المحرر الوجيز) بالنظم (لأنَّ النظم القرآني معجز باتصال آياته وسوره وعلائقها الخفية والظاهرة ، إذ توضع الكلمة مكانها فيه " لتكون مبعث إحياء ومكن رمز ومنطقا لمعان هي مزيج من لغة العقل والعاطفة "⁽⁴⁾)⁽⁵⁾ وقد وقف ابن عطية في تفسيره على التغييرات التي تتعرض لها الجملة العربية والتي يحتملها التعبير عن المعاني المختلفة ومنها التقديم والتأخير والذكر والحذف وسنقف على الجوانب الدلالية منها وسنقصر الحديث على طائفة من الظواهر الأسلوبية التي تطرأ على الجملة وكان لابن عطية دور مميز فيها :-

(1) ظ: الكتاب : 5/1

(2) ظ: الدلالة التركيبية بين النحاة العرب والتوليديين التحويليين : 1- 2

(3) دلائل الاعجاز : 189

(4) المعاني الثانية في الاسلوب القرآني : د. فتحي أحمد عامر : 33

(5) الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : د. حامد كاظم عباس : 235

المبحث الأول :- دلالة التقديم والتأخير :-

تعد من الظواهر البلاغية التي تقوم على مخالفة أصل الوضع في الجملة العربية لترسم لنا صورة معبرة تزيد من جمالية المعنى ورونقه ، ومن ذلك جاءت أهمية التقديم والتأخير في الكلام وعناية القدماء فيه ومنهم عبد القاهر الجرجاني إذ يقول : (باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ، يفضي بك إلى لطيفه)⁽¹⁾ ولا يتقدم الفاعل على الفعل ولا الخبر على المبتدأ جزافا واعتباطا بل يعمد اللسان العربي إلى ذلك لتحقيق دلالات لا يحققها الترتيب المنطقي الذي وضعه النحاة للتركيب ، ومن هذه الدلالات التي يحققها تقديم الألفاظ وتأخيرها دلالة العناية والاهتمام باللفظ المقدم على غيره من الألفاظ والمقصود بالعناية والاهتمام هو انجذاب النفس الإنسانية في حالات الرضا أو الغضب أو الحماسة أو غير ذلك إلى ألفاظ معينة خارج الترتيب المتبع والغاية من ذلك هي إيصال ما يريده المتكلم بأسرع ما يمكن⁽²⁾ . وقد أشار إلى ذلك علماء العربية في مرحلة مبكرة ومنهم سيبويه يقول : (كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)⁽³⁾

ويؤكد سيبويه في نصه هذا على وجود صلة ربط بين ترتيب الكلمات والعواطف والانفعالات التي يتعرض لها المتكلم في أثناء كلامه ، وعضد ذلك عبد القاهر الجرجاني يقول : (إن كانت الألفاظ أوعية للمعاني ، لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق)⁽⁴⁾ ولم تقف دلالات أسلوب التقديم والتأخير عند هذه الحدود بل تتعداها لتدل على التخصيص وغيرها من الدلالات التي نجدها جلية في وقفات ابن عطية التفسيرية في (المحرر الوجيز) إذ إنّه أولى أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم عناية خاصة لما يحققه في التراكيب من معان بلاغية سامية وذكر قسميه وهما تقدم اللفظ على عامله وتقدم لفظ على آخر غير عامل فيه . ولم يكتف بالإشارة إلى أقسامه وبتعيين الألفاظ التي تقدمت على بعضها الآخر بل ذكر الدلالة التي يفضي إليها أسلوب التقديم والتأخير ونجد ذلك في طائفة من الآيات القرآنية التي وقف عندها ابن عطية وأشار إلى دلالة التقديم والتأخير بقسميه⁽⁵⁾ فيها ومنها :

(1) دلائل الاعجاز : 72

(2) ظ: التقديم والتأخير في القرآن الكريم : حميد أحمد عيسى العامري : 161-162

(3) الكتاب : 68 / 1

(4) دلائل الاعجاز : 37

(5) ينظر : التعبير القرآني : الدكتور . فاضل صالح السامرائي : 49 ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 138

أ- ماتقدم فيها المعمول على عامله :

وهو ما اعتنى به النحاة كثيرا لأنه فيه خرق للقواعد النحوية التي لطالما حرصوا على الحفاظ عليها ولكنهم سرعان ما اكتشفوا سر ذلك التقديم والتأخير وما يحققه من دلالات فيها دلالة كبيرة على سمو النص القرآني وما تتبعه من النصوص الأخرى .

1- ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة : 4) ذكر ابن

عطية الغرض من تقديم المفعول به (إياك) على الفعلين (نعبد) و (نستعين) يقول : " قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ نطق المؤمن بالربوبية وتذليل وتحقيق لعبادة الله ، إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك وقدّم المفعول على الفعل اهتماما ، وشأن العرب تقدم الأهم "(1)

ويتضح مما تقدم أنّ ابن عطية أشار إلى الغرض من تقديم المفعول به على فعله للناية والاهتمام ونجد مثل ذلك المعنى عند سيبويه(2) والزمخشري (ت 538 هـ) إذ يقول : (وتقديم

المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾

(الزمر : 64) ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا ﴾ (الأنعام : 164) والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك

بطلب المعونة)(3) وتبعه في ذلك الطبرسي (ت 548 هـ)(4) والقرطبي (ت 671 هـ)(5) وأبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)(6) و الألويسي (ت 1270 هـ) (7) ومير السيد علي الحائري (8) وذكر المحدثون ذلك المعنى في غير موضع ومنهم الدكتور فاضل صالح السامرائي يقول : (تقديم اللفظ على عامله ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله ... وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص فقولك (أنجبت خالدا) يفيد أنّك أنجبت خالدا ولا يفيد أنّك خصصت

(1) المحرر الوجيز : 72 / 1

(2) ظ : الكتاب : 68 / 1

(3) الكشاف: 56 / 1

(4) ظ: مجمع البيان: 26 / 1

(5) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 145 / 1

(6) ظ : البحر المحيط : 141 / 1

(7) ظ: روح المعاني: 87 / 1 / 1

(8) ظ: مقتنيات الدرر : الحاج مير سيد علي الحائري الطهراني : 17 / 1

خالدا بالنجدة بل يجوز أنك أنجدت غيره أولم تنجد أحدا معه. فإذا قلت : (خالدا أنجدت) أفاد ذلك أنك خصصت خالدا بالنجدة وأنت لم تنجد أحدا آخر (1)

والظاهر مما تقدم أن ابن عطية ذكر دلالة التقديم الحاصل في الضمير المنفصل (إياك) على فعله من أجل العناية والاهتمام وتنبه المفسرون إلى ذلك أي أن العباد يخصون الله سبحانه بالعبادة والاستعانة دون غيره.

ب- وما تقدم فيها اللفظ على غير عامله :

أمّا هذا النوع من التقديم فهو ما عني به المفسرون للبحث عن السر الدلالي لهذا الترتيب فسألوا لماذا قدمت الوصية وأُخِر الدين ؟ فللمتكلم غايات دلالية في هذا الترتيب ، ولو جاء بغير هذا الشكل لأدت فيه الآيات إلى معانٍ أخرى .

1- ومن ذلك ما أشار إليه ابن عطية في دلالة تقديم الوصية على الدين في قوله

تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (النساء : 11-12)

يقول : " وهذه الآية أنما قصد بها تقديم هذين الفعلين على الميراث ، ولم يقصد بهما ترتيبهما في أنفسهما ، ولذلك تقدمت الوصية في اللفظ ، والدين مقدم على الوصية بإجماع ، الذي أقول في هذا : أنه قدم الوصية إذ هي أقل لزوما من الدين ، اهتماما بها وندبا إليها ، كما قال تعالى: ﴿ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً

وَلَا كَبِيرَةً ﴾ (الكهف : 49) وأيضا قدمها من جهة أنها مظنة الوصية التي هي

كاللازم يكون لكل ميت ، إذ قد حض الشرع عليها وأخر الدين لشذوذه وأنه قد يكون ولا يكون ، فبدأ بذكر الذي لا بد منه ، ثم عطف بالذي قد يقع أحيانا ويقوي هذا كون العطف بـ (أو) ، ولو كان الدين راتبا لكان العطف بالواو وقد تمت الوصية أيضا إذ هي حظ مساكين وضعاف وأخر الدين إذ هو حظ غريم يطلبه بقوة ، وهو صاحب حق له فيه ، كما قال (عليه السلام) إنَّ لصاحب الحق مقالا ... (2) وقد نجد موقفا مماثلا لما ذهب إليه ابن عطية في تفسير الآية المتقدمة

الذكر عند الزمخشري الذي عني بهذه المسألة ووقف عندها يقول: (فإن قلت : لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة ؟ قلت لما كانت

(1) التعبير القرآني : 49 ، الجملة العربية والمعنى : 200 ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم : 108-109

مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته : د. عائد الحريري : 71

(2) المحرر الوجيز : 17/2

الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض ، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاضمهم ولا تطيب أنفسهم بها ، فكان أدائها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإنّ نفوسهم مطمئنة إلى أدائه ، فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارة إلى إخراجها مع الدين ، ولذلك جيء بكلمة " أو " للتسوية بينهما في الوجوب (...)⁽¹⁾ وتابعهم في ذلك البقاعي⁽²⁾ (ت 885 هـ) والسيوطي⁽³⁾ (ت 911 هـ) ومحمد بن علي الشوكاني⁽⁴⁾ وسيد قطب⁽⁵⁾ وغيرهم

ويتضح مما تقدم أنّ سبب تقديم الوصية على الدين في الآية المتقدمة الذكر يعود لعدة أسباب أشار إليها ابن عطية ومن تبعه من المفسرين⁽⁶⁾ ومنها :

أ- جاءت الوصية متقدمة في التعبير القرآني لأنها أقل أهمية من الدين فقدمت من باب الاهتمام بها والحث عليها وذلك لأنّ أنفس الوراث تبخل بها لأنها تعطي من غير مقابل فهي بمثابة المشاركة لهم في الإرث .

ب- جاءت الوصية متقدمة على الدين لأنها لازمة إذ لكل ميت وصية وليس لكل ميت دين فنادرا ما يكون للميت دين .

ت- ومن أسباب تقديم الوصية على الدين في الآية المتقدمة الذكر أنّ هنالك فرقا بين كل من قوة مطالبة صاحب الدين وبين قوة مطالبة الموصى له بحقهما فكلاهما صاحب حق إلا أنّ رب الدين يسترجع ماله الذي أعاره للميت من قبل ، أمّا الموصى له فإنه يطلب عطية أو صدقة يأخذها من غير عوض فهي بمثابة المشاركة لأصحاب الإرث بإرثهم لذلك جاء تقديمها على الدين من باب الإسناد والتقوية لموقف الموصى له .

ويتضح مما تقدم أنّ الدلالات التي جاء من أجلها أسلوب التقديم والتأخير في الآية الكريمة المتقدمة الذكر تصب جميعها في خدمة الفرد والمجتمع إذ إنّ الوصية التي يوصي بها الميت فيها كفالة لمعاش الفقراء والمساكين في المجتمع فقدمها الله سبحانه جل شأنه على الدين الذي كان له حق التقديم على غيره في الشرع وذلك لأنها واجبة لازمة يجب أن يلتفت إليها ، غير أنّ الذي يمعن النظر قليلا في تكملة الآية الكريمة يدرك المكانة العظيمة التي تميزت بها الوصية وذلك من

(1) الكشاف: 515 / 1

(2) ظ: نظم الدرر : 221 / 2

(3) ظ: الإتيان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : 245 / 1

(4) ظ: فتح القدير : 547 / 1

(5) ظ: في ظلال القرآن : سيد قطب : مج 2 / 4 / 263

(6) (المحرر الوجيز : 17 / 2 ، نظم الدرر : 27 / 2 ، الإتيان في علوم القرآن: 1 / 245 ، الانتصاف فيما تضمنه

الكشاف من الاعتزال : 373 ، مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته : 66

التكرار الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ فضلا عن أنّ للتكرار دورا كبيرا في الإشارة والإقرار بالمكانة التي تتمتع بها الوصية على غيرها .

2- أشار ابن عطية إلى دلالة تقديم (رجالا) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ

بِالْحَجِّ يَا تَوَكُّبًا رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج : 27) يقول:

"وفي تقديم ﴿ رِجَالًا ﴾ تفضيل للمشاة في الحج ... " (1) وقد أشار إلى ذلك المعنى

الطبرسي (ت 548هـ) حينما ذكر فضل الحجاج المشاة فأورد حديثا للنبي محمد (صلى الله عليه واله) يؤكد فضلهم عند الله يقول : (للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة ، وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمئة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : ما حسنات الحرم ؟ قال : (صلى الله عليه واله) الحسنات بمئة ألف (2)) (3) وأكد المفسرون ذلك واتخذوه سببا لتقديم المشاة في الحج على الركاب ، ومنهم القرطبي (ت 671 هـ) الذي تابع ابن عطية في ذلك يقول (ولما قال تعالى : ﴿ رِجَالًا ﴾ وبدأ بهم

دل ذلك على أنّ الحج الراجل أفضل من حج الراكب قال ابن عباس: ما أسى على شيء فاتني إلا أن أكون ما حججت ماشيا فإنّي سمعت الله (عزّ وجلّ) يقول: ﴿ يَا تَوَكُّبًا رِجَالًا ﴾

وقال ابن أبي نجیح حجّ إبراهيم وأسماعيل عليهما السلام ماشيين (4) وذهب بعضهم إلى إلى أنّ تفضيلهم يرجع إلى الجهد والمشقة التي يتحملها الحاج الماشي في سفره لقصد البيت الحرام (5) ، بينما أشار آخرون ومنهم الزمكاني (ت 651 هـ) إلى أنّ الغرض من تقديم قول الله ﴿ رِجَالًا ﴾ السبق المكاني يقول : (فإنّ الذين يأتوك رجالا الغالب أنّهم

يكونون

(1) المحرر الوجيز : 118 / 4

(2) مستدرک الوسائل : 30 / 8

(3) ظ: مجمع البيان: 129 - 128 / 7

(4) الجامع لأحكام القرآن : 37 / 12

(5) ظ: فتح القدير : 556 / 3 ، الأمل : 228 / 10 ، مقتنيات الدرر : 228 / 7

من المكان القريب والإتيان على الضامر الغالب أن يكون من مكان بعيد (1) وتبعه في ذلك الزركشي(ت794هـ) يقول من أسباب تقديم قوله : ﴿رَجَالًا﴾ هو (الرتبة وقوله ﴿يَأْتُونَكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ فَإِنَّ الغالب أَنَّ الذين يأتون رجالا من مكان قريب والذين يأتون على الضامر من بعيد ...) (2) .

و يتضح مما تقدم أَنَّ ابن عطية قد ذهب إلى أَنَّ دلالة تقديم قوله : ﴿رَجَالًا﴾ الأفضلية والشرف الذي يتمتع بها الحاج الذي قصد البيت الحرام مشيا على الأقدام لما يتحملة من جهد ومشقة وقد تابعه في ذلك طائفة من المفسرين فضلا عما روي عن النبي محمد (صلى الله عليه واله) في حثه على قصد البيت الحرام مشيا على الأقدام ، وما روي عن ابن عباس يكشف عن فضل الحجاج الرجالة يقول : (وددت أنني لو حججت راجلا فإنَّ الله قدم الرجالة على الركبان في القرآن) (3) أمَّا من قال أَنَّ دلالة تقديم الحجاج الرجالة على الركبان للرتبة والسبق المكاني فلم أجد في بحثي في دلالة تقديم الحجاج المشاة على الركبان ما يؤيد ذلك المعنى وعلى ذلك كان التقديم يدل على الفضل والشرف الذي تميز به الحجاج المشاة على غيرهم ، وبهذا قال ابن عطية وتبعه في ذلك طائفة من المفسرين(4) .

3- ذكر ابن عطية الغرض من تقديم قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ الواردة في قوله

تعالى ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (البقرة : 282) يقول : "

ولما كانت النفوس مستشرقة إلى معرفة أسباب الحوادث ، قدم في هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود أن يخبر به ، وفي ذلك سبق النفوس الإعلام بمرادها ، وهذا من أنواع أبرع الفصاحة ، إذ لو قال رجل لك: أعددت هذه الخشبة أن أدم بها الحائط لقال السامع : ولم تدعم حائطا قائما ؟ فيجب ذكر السبب فيقال : إذا مال فجاء في كلامهم تقديم السبب أخصر في هذه المحاورة "(5) وذكر الطوسي سبب تقديم قوله تعالى : ﴿

(1) التتبيان في علم البيان : 147- 148 نقلا عن (البحث الدلالي في كتب إعجاز القرآن حتى نهاية القرن السابع الهجري : د. أحمد التشمي : 258)
(2) البرهان في علوم القرآن : 249 / 3
(3) التتبيان في علم البيان : 148
(4) ظ: المحرر الوجيز : 4 / 118 الجامع لأحكام القرآن : 9 / 12 / 37 ، فتح القدير : 5 / 110
(5) المصدر نفسه : 1 / 381- 382

أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴿ (البقرة: 282) يقول: (معنى أن تضل لأن تضل أو من أجل

تضل . فإن قيل لم قال " أن تضل " وإنما الإشهاد للأذكار لا للضلال قيل عنه جوابان أحدهما – قال : سيويوه إنه لما كان الضلال سبب الأذكار قدم لذلك ، وجاز لتعلق كل واحد منهما بالآخر في حكم واحد فصار بمنزلة ما وقع الأشهاد للمرأتين من أجل الضلال كما وقع من أجل الأذكار وكثيرا في السبب والمسبب أن يحمل كل واحد منهما على الآخر ومثله أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وإنما أعددته في الحقيقة للدعم ولكن حمل عليه الميل لأنه سببه. (1)

وأخذ عنه ذلك المعنى الزمخشري (ت 538 هـ) (2) والطبرسي (ت 548 هـ) (3) وأبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) (4) ، ولعله كان في ذلك متابعا لما ذهب إليه ابن عطية إذ إنه كثير النقل عنه وتبعهم في ذلك المحدثون من أمثال الشوكاني (ت 1250 هـ) (5) والألوسي (ت 1270 هـ) (6)

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية قد ذكر أن الغرض من تقديم السبب على المسبب له هو إن النفس البشرية من طبائعها إنها تتشوق لمعرفة أسباب حدوث الأشياء لذلك جاء في الآية الكريمة تقديم السبب قوله ﴿ أَنْ تَضِلَّ ﴾ على المسبب له قوله ﴿ فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ وكان

الأولى أن يكون ترتيب العبارة كالاتي فتذكر أحدهما الأخرى أن تضل ، بيد أن التقديم هنا من باب الاهتمام والعناية بنفس المتلقي الموجه إليه الخطاب ، وفي ذلك دلالة على أن الله عليم بنفوس عباده فجاء النص القرآني ملييا لما يتشوقون لمعرفة فضلا عن أن التقديم للسبب قد أغناهم عن السؤال الواقع حتما من السامع المخاطب ويكون السؤال على الشكل الآتي : لماذا تذكر إحداهما الأخرى ؟ فيكون الجواب أن تضل . أي عند نسيان أحدهما فتقوم الأخرى بتذكيرها بما نسيت ، وقد عد ابن عطية هذا الضرب من التقديم من أبرع ضروب الفصاحة وحقيقة أن القرآن الكريم أولى بها من غيره وأهلا لها ، وذلك لأنها تكشف لنا عن عناية المخاطب الذي هو (الله) للمخاطبين بهذا الخطاب وهم عباده .

(1) التبيان : 373 / 2

(2) ظ: الكشاف: 353 / 1

(3) ظ: مجمع البيان: 680 / 1

(4) ظ: البحر المحيط : 366 / 2

(5) ظ: فتح القدير : 379 / 1

(6) ظ: روح المعاني: 59 - 58 / 3 / 2

4- وفي حديثه عن دلالة التقديم في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا

الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (ال

عمران: 106) يقول : " ولما كان صدر هذه الآية ، إخبارا عن حال لا تخص أحدا معينا ، بدئ بذكر البياض لشرفه ، أنه الحالة المثلى ، فلما فهم المعنى وتعين له " الكفار والمؤمنون " بدئ بذكر الذين اسودت وجوههم للاهتمام بالتحذير من حالهم "(1) .

ويتضح مما تقدم أن ابن عطية في حدود علمي قد انفرد في الإشارة إلى دلالة تقديم الوجوه البيضاء على السوداء في صدر الآية ومن ثم عدول التعبير القرآني إلى ذكر الوجوه السوداء وتقديمها على البيضاء في يوم القيامة ، فأشار ابن عطية إلى دلالة ذلك في تفسيره ذاكرا أن الغرض من تقديم البياض في صدر الآية الكريمة هو لما له من الشرف العظيم على السواد فضلا عن أن الإخبار جاء في بادئ الآية لا يخص أحدا معينا بعينه ، أمّا الغرض من تقديم السواد على البياض فيما بعد فهو الاهتمام والتحذير من حال هؤلاء الذين اسودت وجوههم نتيجة أفعالهم السيئة ، وقد نقل عنه ذلك المعنى أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) يقول : (وابتدئ بالذين اسودت وجوههم ، للاهتمام بالتحذير من حالهم ، ولمجاورة قوله : ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ وللابتداء

بالمؤمنين والاختتام بحكمهم ، فيكون مطلع الكلام ، ومقطعة شيئا يسر الطبع ويشرح الصدر)(2) والظاهر من النص المتقدم أن أبا حيان الأندلسي لم يقف عند حدود ما نقله عن ابن عطية بل تجاوزه وأضاف على ما ذكره ابن عطية من الاهتمام والتحذير في دلالة تقديم اسوداد الوجوه على بياضها المجاورة لقوله ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ، والابتداء ببياض الوجوه والاختتام بها وهذا من باب الابتداء بحسن الكلام والانتهاء به لأن له أثرا في نفس السامع إذ يخلق في داخله شيئا من الراحة والطمأنينة .

فهذا الذي جاء به أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) تابعه فيه الألويسي (ت 1270 هـ) يقول (﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ تفصيل لأحوال الفريقين وابتدأ بحال الذين اسودت

(1) المحرر الوجيز : 487 / 1
(2) البحر المحيط : 25 / 3

وجوههم لمجاورته ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ ﴾ ويكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع ويشرح الصدر .

(1)

وفي ضوء ما تقدم أنّ ابن عطية قد انفرد في ذكر الغرض من التقديم والتأخير الحاصل في الآية المتقدمة الذكر ووقف على ما جاء فيها من تقديم وتأخير وعرض للدلالات التي جاء من أجلها أسلوب التقديم والتأخير في الآية الكريمة ، والظاهر أنّه ذكر سبب تقديم الوجوه البيضاء على السوداء لشرفها وذلك يرجع إلى دلالة البياض على التقى والإيمان ودلالة السواد على الكفر والجحود والضلال ثم أنّه وقف على دلالة التقديم للوجوه السوداء على البياض في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ (ال عمران : 106) ويبدو أنّها قُدِّمَت للاهتمام والتحذير من

حالهم لكي لا يتبعهم الناس فيلاقون نتيجة كفرهم وانحرافهم عن جادة الصواب المصير نفسه وأضاف غيره من المفسرين إلى ما ذهب إليه أنّ دلالة التقديم ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾

﴿ جاءت العبارة مقدّمة لأجل المجاورة لقوله تعالى : ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ ﴾ وقيل إضافة لما ذهبوا

إليه لغرض قصد البدء بالبياض والختم به لما له من أثر في نفوس البشر إذ يفسح المجال أمام نفوسهم لتستشعر رحمة البارئ (عزّ وجلّ) بعباده وذلك من خلال هذه الإشارات واللطائف الربانية التي تكشف عن مدى العناية الربانية بالعباد ، ولعله أنّ الأصلح والأولى من هذه اللفات البديعة هي أنّ الغرض الأساس الذي جاء من أجله التقديم لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

﴿ وُجُوهُهُمْ ﴾ هو ما جاء به ابن عطية وهو العناية والاهتمام والتحذير من حال هؤلاء الكفرة الذين

صورتهم الآية القرآنية بهذه الصورة البشعة التي تشعر بالخوف والحذر من حالهم لاسيما أنّ الآية القرآنية كانت تصور مشهدا من مشاهد يوم الحساب يحضر فيه العباد وهم على صنفين صنف نور الإيمان يسعى بين يديه وقد كانت لوجوههم نصيب فيه وصنف قد طغى سواد قلوبهم وجوههم ولعله في ذلك التصوير البشع الذي رسمته الآية الكريمة وهو سواد الوجه وبذلك لم يخرج النص القرآني عن البيئة العربية وذوقها وخاصة القرآن الكريم نزل فيهم وبلغتهم

فكان العرب كثيرا ما يتشاءمون من الوجوه السوداء ولا يحبذونها وكان أصحاب الوجوه السوداء في الجزيرة العربية قديما يفتقدون للكثير من الامتيازات التي كان يتمتع بها غيرهم فجاء التعبير

القرآني بما ينسجم مع مذهبهم في التفاؤل والتشاؤم فضرب لهم مثلا الوجوه البيضاء والسوداء لما كان يتفائلون بالأولى ويتشاءمون بالأخيرة .

5- ومن وقفاته التفسيرية في (المحرر الوجيز) الذي أشار فيها ابن عطية إلى أسلوب التقديم والتأخير ودلالاته وقفته على قوله تعالى : ﴿ **وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّم**

لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ **وَلَيْنَ مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ (

ال عمران 157- 158) يقول : " قدم القتل في قوله تعالى : ﴿ **وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ** ﴾ لأنه ابتداء

إخبار فقدم الأشرف الأهم ، والمعنى : أو متم في سبيل الله ، فوقع أكرم على الله ، ثم

قدم الموت في قوله تعالى : ﴿ **وَلَيْنَ مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ** ﴾ لأنها آية وعظ بالآخرة والحشر ،

وآية تزهد في الدنيا والحياة والموت المذكور فيها هو موت على الإطلاق في السبيل

وفي المنزل وكيف كان ، فقدم لعمومه وأنه الأغلب في الناس من القتل " (1)

وينضح مما تقدم أن ابن عطية في حدود علمي قد انفرد في الإشارة إلى أسلوب التقديم

والتأخير ودلالته في الآية الكريمة وقد نقل عنه هذه الالتفاتة طائفة من المفسرين ومنهم أبو حيان

الأندلسي إذ يقول : (وقدم القتل هنا لأنه ابتداء إخبار ، فقدم الأشرف الأهم في تحصيل المغفرة

والرحمة إذ القتل في سبيل الله أعظم ثوابا من الموت في سبيله ، ويقول في قوله تعالى : ﴿ **وَلَيْنَ**

مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ وقدم الموت هنا على القتل ، لأنها آية وعظ بالآخرة والحشر

وتزهد في الدنيا والحياة والموت فيها مطلق لم يقيد بشيء ، فأما أن يكون الخطاب مختصا بمن

خطب من قبل أو عاما واندرج أولئك فيه ، فقدم لعمومه ، لأنه أغلب في الناس من القتل فهذه

ثلاثة مواضع ﴿ **مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا** ﴾ (آل عمران : 156) فقدم الموت على القتل

لمناسبة ما قبله من قوله : ﴿ **إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى** ﴾ (آل عمران : 156)

تقدم القتل على الموت بعد ، لأنه محل تحريض على الجهاد فقدم الأهم والأشرف ، وقدم الموت

لأنه الأغلب (2) وقد تبعهم في ذلك المعنى الألويسي (1) والطباطبائي (2) .

(1) المحرر الوجيز : 532 / 1

(1) البحر المحيط : 103 / 3

ويتضح مما تقدم أنّ ابن عطية قد أشار إلى دلالة التقديم والتأخير في الآية المتقدمة الذكر وهي أنّ الله سبحانه قدم القتل على الموت في قوله ﴿وَلَمَّا قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمٌ﴾ لأنّ القتل في سبيل الله له شرف عظيم ومغفرة من الله أكثر من الموت فجاء مقدم الذكر على الموت فضلاً عن أنّ الله بين من تقديمه على الموت ما له من منزلة عظيمة ينال بها العبد رضا ربه ومغفرته أمّا في الجزء الأخير من الآية فجاء الموت فيها مقدم على القتل وقد أشار إلى ذلك ابن عطية ذاكراً أنّ الغرض من ذلك هو أنّ سياق الآية الذي جاء فيه الموت مقدم على القتل يحمل في طياته الوعظ بالآخرة والحشر وقدم الموت لأنه الأغلب في الناس من القتل .

المبحث الثاني :- دلالة الحذف:-

من الظواهر الأسلوبية التي تعمل على إثارة فكر المتلقي وتحفيزه على التفكير والتدبر اتجاه ما يقرأ أو يسمع ، مما تدعوه إلى الانشغال بالمحذوف دون غيره وإلى البحث عما

يحمله ذلك المحذوف من أسرار ودلالات⁽¹⁾ . ولا سيما أنّ الحذف بوصفه أسلوباً تعبيرياً وأداءً لغوياً متميزاً و يعد من أسرار اللغة ودقائقها العجيبة التي تهدف إلى تأدية أغراض مقصودة في السياق⁽²⁾ ، ومنها الإيجاز والتفخيم والتعظيم والتشجيع على الكلام والتخفيف لكثرة الاستعمال وشهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، وصيانتته عن الذكر تشريفاً وقصد البيان بعد الإبهام وغيرها⁽³⁾ .

ولما للحذف من أهمية في البيان العربي فقد جرت به السنة الشعراء والخطباء ، والظاهر أنّ رجل الصحراء كان يتقصد الخوض في غمار هكذا ظواهر أسلوبية وذلك لما فيها من دلالة على شجاعة العربية⁽⁴⁾ وإنّها سنة من سنن العرب في كلامها وإلى هذا أشار ابن فارس يقول : (ومن سنن العرب الحذف والاختصار ...)⁽⁵⁾ ووجدت في دراستي من وقف منه وقفة المتعجب من الحذف مما يضيفه على التركيب من رونق وجمال فضلا عن أنّه ينأى به عن الثقل بالزيادة في ذكر المعلوم للقرينة ومنهم عبد القاهر الجرجاني يقول : (هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الأفادة أزيد للإفادة ، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين)⁽⁶⁾ ومن هنا جاءت عناية النحاة والبلاغيين بأسلوب الحذف وما يحققه من أغراض ودلالات مختلفة⁽⁷⁾ .

وحيث حذفت العرب من كلامها الجملة والمفرد والحرف والحركة كان الحذف لا يتم إلا إذا دلّ عليه دليل لـ (أنّ المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه)⁽⁸⁾ وهذا ما ذكره كل من وقف على تعريف الحذف اصطلاحاً ومنهم الرماني (ت384هـ) يقول (الحذف : إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها)⁽⁹⁾ وذكر هذا المعنى الزركشي(ت794هـ) يقول : (الحذف وهو لغة الإسقاط : ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه واصطلاحاً بإسقاط جزء الكلام المحذوف أو كله لدليل)⁽¹⁰⁾ ومن شروطه أن تدل القرائن ومقتضيات الحال على الكلام المحذوف ، فيفهم السامع المراد منه وأن يدل السياق على

(1) ظ: دلالات التراكيب : د. محمد محمد أبو موسى : 130 ، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني : تراث حاكم الزيايدي : 213

(2) ظ: البحث الدلالي في التبيين في تفسير القرآن : د. ابتهاج كاصد الزبيدي : 260

(3) ظ: البرهان في علوم القرآن : الزركشي : 105 ، معترك الأقران : السيوطي : 231

(4) ظ: الخصائص : 140 / 2

(5) الصاحبى: 337

(6) دلائل الأعجاز : 96

(7) ظ: الكتاب : 297 / 4 - 300 ، الخصائص : 140 / 2

(8) الخصائص / 1 : 293

(9) الحدود في النحو : الرماني : 40

(1) البرهان في علوم القرآن : 102 / 3

المحذوف⁽¹⁾ . وابن عطية مثل غيره من علماء التفسير توقف عند ظاهرة الحذف وما تؤديه من أغراض بلاغية وأسلوبية في طائفة من الآيات القرآنية التي فسرنا ومن ذلك :

1- التعظيم لما فيه من الإبهام :

إنَّ التعظيم من الأغراض البلاغية والدلالية التي يعمد إليها المتكلم في كلامه لما فيها من الإبهام إذ إنَّ المحذوف يسقط من الكلام ويكتفي بدلالة الحال عليه وبذلك ينصرف الذهن إلى المحذوف وما الغرض منه ، وعندما يرجع الذهن خائبا عن فهمه فعندها يعظم شأنه وتعلو في النفس مكانته⁽²⁾ ، وقد تنبه ابن عطية إلى هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (النجم : 10) يقول : " وقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ ، قال ابن عباس المعنى : ﴿ فَأَوْحَىٰ ﴾ الله ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ جبريل ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾ . وفي قوله ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾ إبهام على جهة التفخيم والتعظيم ، والذي عرف من ذلك فرض الصلاة ، وقال الحسن

المعنى : فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى كالأولى في الإبهام ، وقيل

: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى الله إلى جبريل " ⁽³⁾ وقد تبعه أحمد بن المستنير (ت 683 هـ) يقول : (التفخيم لما فيه من الإبهام ، كأنه أعظم من أن يحيط به بيان ، وهو كقوله: ﴿ إِذْ يَعْشَىٰ السَّدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ ﴾ (النجم : 16) وقوله : ﴿ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا

عَشِيَهُمْ ﴾ (طه : 78) ⁽⁴⁾ وسار على خطاه البيضاوي (ت 685 هـ) بقوله : (

... ﴿ مَا أَوْحَى ﴾ جبريل " عليه السلام " وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه وقيل : الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى الشديد القوي ⁽⁵⁾ وتبعهم الألويسي (ت 1270 هـ) يقول : ﴿ مَا أَوْحَى

أَوْحَى ﴾ أي الذي أوحاه والضمير المستتر لجبريل (عليه السلام) أيضا وإبهام الموحى به

كقوله: ﴿ إِذْ يَعْشَىٰ السَّدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ ﴾ (النجم : 16) وقوله : ﴿ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا

عَشِيَهُمْ ﴾ (طه : 78) ⁽⁴⁾ وسار على خطاه البيضاوي (ت 685 هـ) بقوله : (

... ﴿ مَا أَوْحَى ﴾ جبريل " عليه السلام " وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه وقيل : الضمائر

كلها لله تعالى وهو المعنى الشديد القوي ⁽⁵⁾ وتبعهم الألويسي (ت 1270 هـ) يقول : ﴿ مَا أَوْحَى

أَوْحَى ﴾ أي الذي أوحاه والضمير المستتر لجبريل (عليه السلام) أيضا وإبهام الموحى به

(2) ظ: الكتاب : 2 / 130 ، المقتضب : 2 / 137 - 151 ، 139 - 152 ، 4 / 129 - 130 ، الأصول في النحو

54/2 ، أثر المعنى في الدراسات النحوية: كريم حسين ناصح الخالدي : 325 - 326

(3) ظ: البرهان في علوم القرآن : 3 / 105 ، الإتقان في علوم القرآن : 2 / 153 ، ظاهرة الحذف في الدرس

اللغوي : د. طاهر سليمان حمودة : 105

(4) المحرر الوجيز : 5 / 198

(5) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: 4 / 421

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 2 / 439

للتفخيم فيها نظير قوله تعالى: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا عَشِيَهُمْ﴾ (طه: 78)⁽¹⁾ وذكر مير السيد علي الحائري ذلك المعنى يقول: ﴿مَا أَوْحَى﴾ من الأمور العظيمة التي لاتقي العبارة أو فأوحى الله بواسطة جبرائيل ما أوحى⁽²⁾ وفي ضوء ما تقدم أن الحذف في قوله تعالى: ﴿مَا أَوْحَى﴾ كان الغرض منه إبهام الوحي الذي أرسل به جبرائيل " عليه السلام " إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ودل ذلك الإبهام على التفخيم والتعظيم لما أوحى للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الله تعالى ولعله أبهم الموحى لجلالة خطره وعظمته حتى أنه لا يحيط به بيان أو تعبير وإن كان ذلك التعبير تعبيراً إلهياً⁽³⁾ فضلا عن ذلك قد يكون الإبهام لإثارة فكر المتلقي وخياله في الاستدلال على جزء المعنى الذي لم يذكر اللفظ الدال عليه ونلمس ذلك عند طائفة من المفسرين الذين نظروا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿مَا أَوْحَى﴾ إذ ذهبوا إلى تأويل المحذوف من الآية الكريمة ومنهم البغوي (ت6 51 هـ) إلى أن المحذوف هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾ (الضحى: 6) يقول: (قال سعيد بن جبير : أوحى إليه : ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾ (الضحى: 6) إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: 4) وقيل " أوحى إليه : أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك" (4)⁽⁵⁾

ويتضح مما تقدم أن ابن عطية قد ذكر أن دلالة الإبهام هي التفخيم والتعظيم للمحذوف وقد تبعه في هذا المعنى طائفة من المفسرين الذين تقدم ذكرهم ، وقد يكون الإبهام دلّ على أن المحذوف لا يحيط به تعبير فضلا عن ذلك أن الإبهام يفسح المجال أمام المتلقي ليتخيل المحذوف ويتأوله كل حسب ثقافته واعتقاده وبيئته ، وفي ذلك دلالة على ثراء النص القرآني وفيه القدرة على تنوع دلالاته ومعانيه ، ليصبح محط أنظار الدارسين والباحثين .

(2) روح المعاني: مج4/ 27 / 49

(3) مقتنيات الدرر : 10 / 263

(4) ظ: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال : 4 / 421

(5) ظ: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة محمد باقر المجلسي : 8 / 5

(6) معالم التنزيل : 7 / 402 ، الكشاف: 4 / 321

ومثال ذلك ما ذكره في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (الحاققة : 1-2

(يقول : " (ما) ، رفع بالابتداء أيضا ، و(الحاققة) الثانية خبر (ما) ، والجملة خبر الأول ، وهذا كما تقول : زيد ما زيد ، على معنى التعظيم له والإبهام في التعظيم أيضا ، ليتخيل السامع أقصى جهده " (1) وفي حدود علمي أنّ ابن عطية أنفرد في الإشارة إلى الإبهام الذي يتجلى في قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ وإلى دلالاته على التعظيم والتهويل لأحداث ذلك اليوم كما

جاء في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (المزمّل :

17) ليتخيل السامع خطر ذلك اليوم ويعدّ له العدة قبل الرحيل من هذه الدنيا الزائلة . في حين ذهب طائفة من المفسرين للعناية بتكرار لفظة (الحاققة) والتي فيها دلالة التعظيم لأمر ذلك اليوم من غير الإشارة إلى الإبهام الذي يعتري الآية الكريمة ودلالاته (2) . ومثال الآية الكريمة ما جاء في كلام العرب قولهم في المصائب والمحن الشديدة (بعد اللتيا والتي) (3) ، ولا يخلو كلامنا العادي من مثل هذا النوع من الحذف الذي فيه دلالة التهويل بوجود القرينة الدالة على المحذوف وذلك عندما نوجه اللوم لإنسان من جماعة ويسأل سائل لم كل هذا اللوم؟ ما الذي فعله ليستحق كل هذا ؟ فيجاب بنبرة الحزن والغضب لقد فعل وفعل ولا يصرح عن أفعاله لفهم السائل لها (4) .

2- دلالة حذف المفعول على التخويف :-

ذكر النحاة جواز حذف المفعول من التركيب لكونه فضلا، والذي سوغ ذلك الحذف هو دلالة الفعل المتعدي على المحذوف (5).

ويأتي حذفه لدلالات مختلفة منها : التعميم أو الاحتقار أو الإبهام أو التعبير عن الأثر الوجداني للمحذوف وغيرها (1) ، وقد تنبه ابن عطية إلى ظاهرة حذف المفعول وذكر دلالة حذفه على

(1) المحرر الوجيز : 356 /5

(2) ظ: التبيان : 90 /10 ، البرهان في علوم القرآن : 484 /2 ، الإتيقان في علوم القرآن : 305 /1 ،

الميزان 54 /20 ، الأمثل : 521 /18

(3) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة : 108

(4) ظاهرة الحذف في درس اللغوي : 105- 106

(1) ظ: حاشية الصبان على شرح الأشموني : 135- 136

التخويف وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا

عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء : 9) يقول : " ومفعول يخشى محذوف

لدلالة الكلام عليه ، وحسن حذفه من حيث يتقدر فيه التخويف بالله تعالى ، والتخويف بالعاقبة في الدنيا ، فينظر كل متأول بحسب الأهم في نفسه " (2) وتبعه القرطبي (ت 671 هـ) في ذلك المعنى يقول : (مفعول يخشى محذوف لدلالة الكلام عليه) (3) وتبعهم كل من البيضاوي (ت 685 هـ) (4) والآلوسي (ت 1270 هـ) (5) ، إلا أنهم لم يذكروا دلالة الحذف واكتفوا بتأويل المحذوف .

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية قد أشار إلى حذف مفعول الفعل (يخشى) الوارد في الآية الكريمة المتقدمة الذكر ، وأول ذلك المحذوف على أنه اسم الجلالة (الله) سبحانه وذكر دلالة حذفه وهي التخويف من عقابه ومن عاقبة أفعالهم في الدنيا وقد تبعه طائفة من المفسرين قد مرّ ذكرهم سابقا إلا أنهم عزفوا جميعا عن ذكر دلالة حذف المفعول في الآية الكريمة.

3- دلالة حذف جواب (لو) على المبالغة :-

يكثر حذف جواب " لو " للارتباط الوثيق بين الجملتين ، حتى صارا جملة واحدة ومما لا شك فيه أن لحذفه دلالات كثيرة ومن بينها المبالغة(6) ، وقد أشار ابن عطية إلى

هذا المعنى في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

(2) ظ: الاعجاز القرآني أسلوبا ومضمونا : د. شلتاغ عبود : 57

(3) المحرر الوجيز : 13 /2

(4) الجامع لأحكام القرآن : مج3 /5 /51

(5) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 202/1

(6) ظ: روح المعاني: مج2 /4 /213

(1) ظ: البرهان في علوم القرآن : 183 /3 ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : 287

وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿ (البقرة:165) يقول : " وقد حذف جواب (لو) مبالغة لأنك تدع

السامع يسمو به تخيله ولو شرحت له لو طنت نفسه إلى ما شرحت ... " (1) وقد التفت الطوسي إلى هذا المعنى بقوله : (وجواب (لو) محذوف كأنه قيل : لرأوا مضرة اتخاذهم للأنداد ولرأوا أمرا عظيما لا يحصر بالأوهام ، وحذف الجواب ، يدل على المبالغة ، كقولك : لو رأيت السياط تأخذ فلانا) (2) وتبعهم في ذلك المعنى القرطبي (ت 671 هـ) (3) والألوسي (ت 1270 هـ) (4) عند وقوفهم على تفسير الآية المتقدمة الذكر .

ويبدو مما تقدم أن ابن عطية قد تنبه إلى دلالة حذف جواب (لو) في الآية الكريمة وأشار إلى دلالاته على المبالغة لأن خيال السامع وذهنه قد يذهب مذاهب شتى وتفتح أمامه آفاق جديدة في تصور ذلك الموقف الذي في إبهامه دليل قاطع على عظمتة وجلالة شأنه ، وخير دليل على ذلك ما ذهب إليه المفسرون في تقدير جواب (لو) المحذوف ، فمن يطلع على تفاسيرهم يجدهم قد أسرفوا في تأويل جواب (لو) وخاصة باختلاف القراء بقراءة الفعل ﴿ يَرَى ﴾ الوارد في قوله

تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (البقرة: 165) (فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم

وحمزة والكسائي : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بالياء ، قرأ نافع وابن عامر: ﴿ ولو ترى

﴿ بالتاء... ﴾ (5) ، فأول ابن عطية جواب (لو) في قراءة من قرأ ﴿ ترى ﴾ بالتاء كالاتي :

1. ويقول : (وتقدير ذلك : ولو ترى الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لأقروا أن القوة لله...)

2- (ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعا وقد كان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) علم ذلك ، ولكن خوطب والمراد أمته ، فإن فيه من يحتاج إلى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا)

3- (ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم للعذاب لأن القوة لله لعلمت مبلغهم من النكال ولاستعظمت ما حل بهم)

(2) المحرر الوجيز : 235 / 1

(3) التبيان : 64 / 2

(4) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 205 / 2 / 1

(5) ظ : روح المعاني: 35 / 2 / 1

(6) الحجة للقراء السبعة : 402 / 1

وتأول ابن عطية جواب (لو) المحذوف في قراءة من قرأ (يرى) بالياء يقول : (تأويله ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة إذ يرون العذاب لعلموا أن القوة لله جميعا)⁽¹⁾ .

ويتضح مما تقدم أن عدم التصريح بجواب (لو) في الآية المتقدمة الذكر جعل الآية ذات وجوه متعددة تبعا لتخيل السامع وتفكيره فضلا عن دلالة حذفه على المبالغة لشدة الموقف وعظمته .

وقد أشار ابن عطية في موطن آخر من تفسيره إلى دلالة حذف جواب (لو) على الهيبة والعظمة في نفس السامع كما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ

وَجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (الأنبياء : 39)

يقول : " حذف جواب (لو) إيجازا لدلالة الكلام عليه وأبهم قدر العذاب لأنه أبلغ وأهيب من

النص عليه وهذا محذوف نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ

قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴾ (الرعد : 31) ، ويقدر المحذوف في جواب هذه الآية لما استعجلوه

ونحوه"⁽²⁾ ونقل أبو حيان الأندلسي(ت745هـ) ⁽³⁾ عنه هذا المعنى ، وفي حدود علمي لم يلتفت غير ابن عطية إليه من المفسرين إلى دلالة حذف جواب (لو) لأنهم انصرفوا جميعا إلى تأويله متجاهلين دلالة حذفه في الآية الكريمة المتقدمة الذكر وقد اختلفوا في تأويله فذهب الطوسي (ت 460هـ) في تقديره يقول : (جواب (لو) محذوف وتقديره : لعلموا صدق ما وعدوا به من الساعة)⁽⁴⁾ بينما قدره الطبرسي يقول : (وجواب (لو) محذوف وتقديره لانتهاوا)⁽⁵⁾ .

والظاهر أن القرطبي (ت 671 هـ) والبيضاوي (ت 685 هـ) والزرکشي (ت 794 هـ) والشوكاني (ت 1250 هـ) قد تابعوا ابن عطية في تفسير جواب (لو) المحذوف .

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية قد أنفرد في الإشارة إلى دلالة حذف جواب (لو) في قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (الأنبياء : 39) فإن حذفه أبلغ وأشد هيبة في نفس السامع

من ذكره وهذا هو حال الإبهام ففيه تكمن العظمة والفخامة للمحذوف كما تقدم ذكره ، وقد اختلف

(1) المحرر الوجيز : 1 / 235 ، الجامع لأحكام القرآن : 1 / 2 / 205 ، روح المعاني : 1 / 35

(2) المصدر نفسه : 4 / 83

(3) ظ: البحر المحيط : 6 / 285

(4) التبيين : 7 / 249

(5) مجمع البيان : 7 / 76

المفسرون في تأويل ما أبهم وقد تقدمت الإشارة إلى تأويلاتهم إلا أن الظاهر ما ذهب إليه ابن عطية في تأويل جواب (لو) المحذوف هو الأقرب لمعنى الآية . ونجد مثل ذلك في حديثه عن حذف جواب (لو) في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾⁽¹⁾ (هود:80) وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾⁽²⁾ (السجدة : 13)

المبحث الثالث :- دلالة أساليب الكلام :-

أولاً- الخبر و الإنشاء :

الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب ، أمّا الإنشاء فهو ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا لذاته وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قيل النطق به وجود خارجي يطابقه أولاً يطابقه⁽³⁾ وهذا يعني أن لكل منهما دلالة تختلف عن الأخرى ولكل منهما هدف يعبر عنه

(1) ظ: المحرر الوجيز : 3 / 195

(2) ظ: المصدر نفسه : 362

(1) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني 1 / 131

المتكلم حين يخبر أو ينشئ - ولكن هذا ليس مطردا إذ يتم التبادل بين دلالتى الخبر والإنشاء فيخرج كل منهما للدلالة على الآخر فقد يأتي الخبر دالا على معنى الإنشاء أو بالعكس وقد عني العلماء بهذا التبادل بين الأسلوبين وخروج أحدهما للدلالة على معنى الآخر ومن أشهرهم سيبويه⁽¹⁾ وابن قتيبة⁽²⁾ (ت 276 هـ) وابن فارس⁽³⁾ (ت 395 هـ) والسكاكي⁽⁴⁾ (ت 626 هـ) القزويني⁽⁵⁾ (ت 739 هـ) والزرکشي⁽⁶⁾ (ت 794 هـ) والسيوطي⁽⁷⁾ (ت 911 هـ) وابن عطية (ت 546 هـ) مثل غيره من العلماء العلماء حين نظر في تفسير الآيات القرآنية تحدث عن هذه الظاهرة الأسلوبية ، وفيما يأتي عرض لما ذكره ابن عطية من دلالات الخبر :

1- دلالة الخبر على الأمر :-

من الأمثلة التي وقف عندها ابن عطية وأشار فيها إلى دلالة الخبر على الأمر

قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (الأنفال: 65) يقول

" وقوله: ﴿ إِنْ يَكُنْ ﴾ إلى آخر الآية في لفظ خبر ضمَّته و عدا بشرط لأنَّ قوله : ﴿ إِنْ يَكُنْ ﴾

مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾ بمنزلة أن يقال أن يصبر منكم عشرون يغلبوا ، وفي ضمنه الأمر

بالصبر"⁽⁸⁾ وإنَّ الذي يريده ابن عطية من هذا التفسير أنَّ لفظ الآية الكريمة جاء بصيغة الخبر

ودل على الأمر، واستدل ابن عطية على ذلك بقوله تعالى: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾ (

الأنفال: 65) وذلك لو كان الخبر في الآية المتقدمة الذكر خبرا محضا ما نسخت الآية بقوله

تعالى : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾ وذلك " لأنَّ الأخبار لا يدخلها النسخ "⁽⁹⁾ مثلما أشار ابن

عطية إلى ذلك فيما تقدم من قوله ، وفي ذلك دلالة كبيرة على تضمن الخبر معنى الأمر في الآية الكريمة .

(2) ظ: الكتاب 1/ 158- 302

(3) ظ: تأويل مشكل القرآن : 171- 173

(4) ظ: الصاحبى: 290- 292

(5) ظ: مفتاح العلوم السكاكي : 307- 320

(6) ظ: الإيضاح : 234- 244

(7) ظ: البرهان في علوم القرآن : 2/ 317- 326

(8) ظ: الإتيقان في علوم القرآن : 2/ 75

(9) المحرر الوجيز : 2/ 550

(1) المحرر الوجيز : 1/ 390

ويمكن أن أشير إلى موقف مشابه لموقف ابن عطية عند الطوسي⁽¹⁾ (ت 460 هـ) وتبعهم وتبعهم القرطبي (ت 671 هـ)⁽²⁾ وأبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)⁽³⁾ والبقاعي (ت 885 هـ)⁽⁴⁾ والشوكاني (ت 1250 هـ)⁽⁵⁾ في ذلك المعنى ، وقد علل الزمخشري هذا العدول في أساليب أساليب الكلام على أنه (تأكيد الأمر بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله)⁽⁶⁾ .
والظاهر أن الآية الكريمة كانت تحمل الخبر عن غلبة الرجل على عشرة من جنود الكافرين وفي قوله تعالى : ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ تأكيداً على أن الآية السابقة الذكر لم تكن مجرد خبر بل كانت تحمل في طياتها دلالة الأمر الذي يتوجب به على المسلمين القيام بواجباتهم حتى إذا كان عدوهم عشرة أضعافهم ، وأن لا ينتظروا حتى يبلغ عددهم مقداراً يكافئ قوة العدو وأفراده.⁽⁷⁾

ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه ابن عطية من دلالة الخبر على الأمر وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ﴾⁽⁸⁾ (البقرة : 145) وفي قوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾⁽⁹⁾ (البقرة : 233) .

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن ابن عطية كان مدركاً لدلالات معاني الكلام بإشاراته الدائمة إلى خروج الأساليب إلى دلالات أخرى ومنه خروج الخبر إلى الأمر كما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة الذكر وذكر ابن عطية أنها جاءت بلفظ الخبر إلا أنها تضمنت معنى الأمر، والحث على القيام بالأوامر التي تضمنتها الأخبار السابقة .

2- دلالة الخبر على التفرغ والتوبيخ :-

-
- (2) ظ: التبيان : 153 /5
(3) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 44 /8 /4
(4) ظ: البحر المحيط : 512 /4
(5) ظ: نظم الدرر : 240-239 /3
(6) ظ: فتح القدير : 414 /2
(7) الكشاف : 365 /1
(8) ظ: الأمتل : 445 /5
(9) ظ: المحرر الوجيز : 223 /1 ، 31 /3
(10) ظ: المصدر نفسه : 310 /1 ، البرهان في علوم القرآن : 289 /2 ، 347 /3 ، تفسير الجلالين : 50 ،
الإتقان في علوم القرآن : 226 /2

من الآيات القرآنية التي وقف عندها ابن عطية وأشار فيها إلى دلالة الخبر على التقرير قوله تعالى : ﴿ أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ (التكاثر : 2) يقول : " (ألهى) معناه : شغل بذاته ومنه لهو الحديث والأصوات واللهو بالنساء ، وهذا خبر فيه تقرير وتوبيخ وتحسر " (1) وهو يشير يشير في تفسيره هذا إلى أن الآية الكريمة جاءت بلفظ الخبر إلا أنها تحمل في طياتها دلالة التقرير والتوبيخ على المبالغة في التفاخر والانشغال بتكاثر الأولاد والأموال ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ وما يعضد دلالة الخبر على التقرير والتوبيخ والتحسر ما عقب الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (التكاثر : 3-4) فدل قوله تعالى على دلالة التهديد والتوبيخ على ما يلقونه في يوم الحشر من جزاء فعلهم هذا . (2)

3- دلالة الخبر على الاحتقار:-

ومن الدلالات التي يخرج إليها الخبر دلالاته على الاحتقار وذكر ذلك ابن عطية في معرض حديثه عن تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرُبًّا ﴾ (مريم : 74) يقول : " وقوله ﴿ وَكَمْ ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد خبر يتضمن كسر حجتهم واحتقار أمرهم لأن تقدير هذا الذي افتخروا به لا قدر له عند الله وليس بمنج لهم فكم أهلك الله من الأمم لما كفروا وهم أشد من هؤلاء وأكثر أموالا وأجمل منظرا " (3) وفي هذه الآية يشير ابن عطية إلى أن ألفاظ الآية جاءت متضمنة معنى الخبر إلا أنها خرجت من دلالتها الخبرية ، عن حال قوم كانوا أشد قوة وأكثر أموالا من قريش وبطشها إلا أن الله سبحانه بقدرته وسلطانه أهلكهم ولم يبق شيئا منهم ومما يملكون من نعم قد أنعمها الله تعالى عليهم إلى دلالة الاحتقار لأمرهم لأن كل ما افتخروا به لا قدر له عند الله سبحانه فضلا عن أنه لا يدفع عنهم شيئا من إرادة الله جل وعلا . (4)

(1) المحرر الوجيز : 518 / 5

(2) ظ: نظم الدرر : 8 / 516-517

(3) المحرر الوجيز : 4 / 28

(4) ظ: البحر المحيط : 6 / 198-199

4- دلالة الخبر على الوعيد :-

أ- ومن الدلالات التي يخرج إليها الخبر ووقف عندها ابن عطية في (المحرر الوجيز) دلالة الوعيد وذلك في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة : 211) يقول :

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية قد أدرك الدلالات التي يخرج إليها الخبر ومنها دلالة الخبر على الوعيد فجاءت الآية الكريمة بلفظ الخبر ومتضمنة معنى الوعيد والتهديد للإنسان العاصي بعقاب الله سبحانه ، وقد نقل عنه هذا المعنى القرطبي⁽²⁾ وأبو حيان الأندلسي⁽³⁾ والشوكاني⁽⁴⁾ وأشاروا جميعهم إلى خروج الخبر من دلالاته الأصلية إلى دلالة الوعيد والتخويف من عقاب الله سبحانه .

ب- ومن ذلك ما جاء في وقوفه على تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ (العلق : 8) يقول : " وفي هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس " ⁽⁵⁾ فجاء الخبر في الآية الكريمة متضمنا دلالة الوعيد والتهديد للإنسان المذنب المتعدي لحدود الله سبحانه.⁽⁶⁾

5- دلالة الخبر على التحسر والتلف :-

أشار ابن عطية في وقفاته التفسيرية إلى دلالة الخبر على الحسرة والتلف وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران 36) يقول : " وقولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلف وبين

الله ذلك بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ " ⁽⁷⁾

(2) المحرر الوجيز : 284 / 1

(3) ظ: الجامع لأحكام القرآن : مج 2 / 3 / 27

(4) ظ: البحر المحيط : 137 / 2

(5) ظ: فتح القدير : 226 / 1

(6) المحرر الوجيز : 502 / 5

(7) ظ: التبيان : 380 / 10 ، الكشاف : 783 / 4 ، روح المعاني : 233 / 30 / 15

(1) المحرر الوجيز : 424 / 1

وفي هذه الآية الكريمة يشير ابن عطية إلى خروج الخبر من دلالاته الأصلية إلى دلالة أخرى وهي دلالة اللفظة والتحسر وعلل هذا التلطف الذي كانت قد بثته أم مريم في لفظ الخبر يقول : " وإنما تلهفت لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس ولا يجوز ذلك عندهم وكانت قد رجت أن يكون ما في بطنها ذكرا فلما وضعتها أنثى تلهفت على فوت الأمل وأفرعها إن نذرت ما لا يجوز نذره "(1)

ويتضح مما تقدم أن ابن عطية قد استعان بالسياق وجعله وسيلة لبلوغ الدلالة التي تضمنها لفظ الخبر وذلك لأنه ليس من الممكن أن يفهم السامع أن المراد من قولها : ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ خرج على وجه الإخبار عما وضعت لأن سبحانه قال : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾

﴿وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد : 8) وبذلك دلّ الخبر على الحسرة والحزن دون الإخبار⁽²⁾ ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ (آل عمران : 36) ولعله جاء الخبر بأسلوب الإنشاء هذا تأكيدا على كون السامع عليما بكل شيء فضلا عن كونه يحمل دلالة التأكيد والتحقيق عن المخبر عنه وهي مريم (عليه السلام) عن كونها أنثى⁽³⁾.

ومما تقدم يمكن القول : إن إشارات ابن عطية وملاحظاته عن خروج أساليب الكلام إلى أساليب أخرى ، مثلما جاء في خروج الخبر عن دلالاته إلى دلالات أخرى ذكرها ابن عطية من خلال تفسيره آيات الذكر الحكيم تؤكد التفات ابن عطية إلى هذه المسألة وعنايته بها .

ثانيا : الإنشاء :-

هو كلام لا يحتمل الصدق والكذب⁽⁴⁾ ، وأشار القزويني إلى ذلك يقول : (ووجه الحصر أن الكلام أمّا خبر أو إنشاء لأنه أمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا

(2) المصدر نفسه : 425 / 1

(3) ظ: التبيان : 444 / 1

(4) ظ: الميزان : 185 / 3

(1) مفتاح العلوم : 164- 165 ، البلاغة العربية : 84

يكون لها خارج ، الأول الخبر والثاني الإنشاء⁽¹⁾ ويتضح أنّ الغرض من الجملة الإنشائية إنشاء المعاني دون الإخبار عنها كما في الجملة الخبرية⁽²⁾ ، ولذلك قيل : إنّ الإنشاء هو إيجاد الأشياء وابتداعها وأن يكون مسبقاً ذلك الشيء بمادة أو مدة⁽³⁾ .

وذكر أنّ أساليب الإنشائية على ضربين: ⁽⁴⁾

أحدهما : طلبي : هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، كأسلوب الأمر والاستفهام والنهي والتمني والنداء .

والثاني : غير طلبي : هو ما لا يستدعي مطلوباً ، كالتعجب والقسم والرجاء وصيغ العقود . ستقتصر دراستي على دراسة الدلالات التي تخرج إليها أساليب الإنشاء الطلبي دون الوقوف على أساليب الإنشاء غير الطلبي لأن أساليبه لا تخرج من دلالاتها إلى دلالات أخرى كما في أساليب الإنشاء الطلبي ، فالقسم هو القسم والتعجب هو التعجب وكذلك بالنسبة للمدح والذم وبقيّة الباب وعلى ذلك تكون أساليبه لا تتوارد عليها المعاني ، بينما أساليب الإنشاء الطلبي غنية ذات عطاء بتضمنها دلالات مضافة إلى دلالاتها⁽⁵⁾ مما جعلها موضع عناية العلماء والمفسرين ومن بينهم ابن عطية في (المحرر الوجيز) فأشار في غير موضع إلى أساليب الإنشاء الطلبي ووقف عندها متأملاً الدلالات التي تخرج إليها حسب ما يعين عليه السياق وقرائن الأحوال ، ومنها دلالة الأمر على الدعاء والإباحة والثبوت والدوام والتعجب والتعجيز والتقريع والتغيب ، ودلالة الاستفهام على التوبيخ والتقريع والأخبار والوعيد والتكذيب وغيرها فيما يأتي تفصيل لما ذكرت: **أولاً - دلالة الأمر :-**

هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، وعلى ذلك يكون الأمر صادراً مما هو

أعلى رتبة من المأمور ، ويأتي الأمر بأربعة صيغ يدل فيها على دلالاته الحقيقية : ⁽⁶⁾

1- فعل الأمر : نحو أكتب و اقرأ .

2- والفعل المضارع المقترن بلام الأمر نحو : وليكتب وليقرأ .

3- واسم فعل الأمر : نحو ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ (المائدة : 105) ، صه .

4- المصدر النائب عن فعل الأمر نحو : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء : 36) .

(2) الإيضاح : 85 / 1

(3) ظ: دلالات التراكيب : 196

(4) ظ: التعريفات : علي بن محمد الجرجاني : 38 ، دلالات التراكيب : 196

(5) ظ: الإيضاح : 130/1 - 131 ، البلاغة العربية : 84 ، دلالات التراكيب : 196

(6) ظ: أساليب المجاز في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه) : أحمد حمد محسن : 521 ، دلالات التراكيب : 197

(7) ظ: مفتاح العلوم : 307 - 323 ، الإيضاح : 143 / 1 ، البلاغة العربية : 87 ، الجملة العربية والمعنى :

د. فاضل صالح السامرائي : 8

هذه الصيغة الحقيقية التي يدل فعل الأمر فيها على دلالاته الأصلية ، وأمّا الدلالات الأخرى التي يخرج إليها الأمر في القرآن الكريم وأشار إليها ابن عطية في (المحرر الوجيز) فهي كثيرة منها :

1- دلالة الأمر على الخبر :-

من الأمثلة التي وقف عندها ابن عطية وأشار فيها إلى دلالة الأمر على الخبر قوله تعالى

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (مريم : 75) يقول : " فاللام في

قوله ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ على المعنى الأول لام رغبة في صيغة الأمر ، وعلى المعنى الثاني لام أمر

دخلت في معنى الخبر ليكون أوكد وأقوى وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها ."⁽¹⁾

وفي هذا النص أشار ابن عطية إلى خروج الأمر من دلالاته الحقيقية إلى الدلالة المجازية

وهي الخبر وذلك ليكون الخبر أوكد وأقوى في النفس ، واختلف المفسرون فيما بينهم في دلالة الأمر في الآية الكريمة فمنهم من ذهب إلى أنه يدل على الإخبار وهذا ما ذهب إليه الطوسي (ت460هـ) ⁽²⁾ وابن عطية (ت 546هـ) ⁽³⁾ والبيضاوي (ت 685هـ) ⁽⁴⁾ والزرکشي ⁽⁵⁾ والزرکشي ⁽⁵⁾ والسيوطي ⁽⁶⁾ والشوكاني ⁽⁷⁾ والشيرازي ⁽⁸⁾ ومنهم من ذهب إلى أنه يخرج إلى دالتين الإخبار والدعاء وذهب إلى هذا المعنى طائفة من المفسرين منهم الزمخشري ⁽⁹⁾ وأبو

حيان الأندلسي ⁽¹⁰⁾ و الألويسي ⁽¹¹⁾ وذهب القرطبي إلى أن الأمر في الآية الكريمة ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾

﴿يدل على الدعاء⁽¹²⁾ .

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية تنبه إلى دلالة لفظ الأمر في قوله تعالى : ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾

على الإخبار أمّا من ذهب من المفسرين إلى دلالة الأمر على الدعاء في الآية المتقدمة الذكر فيرده الغرض الذي جاء من أجله ذلك العدول في أساليب الكلام من الأمر إلى الخبر ، وإنما جاء

(1) المحرر الوجيز : 29 / 4

(2) ظ: التبيان : 144 / 7

(3) ظ: المحرر الوجيز : 29 / 4

(4) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 38 / 2

(5) ظ: البرهان في علوم القرآن : 290 / 2

(6) ظ: الإتيان في علوم القرآن : 171 / 1

(7) ظ: فتح القدير : 430 / 3

(8) ظ: الأمثل : 438 / 9

(9) ظ: الكشاف : 39 / 3

(10) ظ: البحر المحيط : 199 / 6

(11) ظ: روح المعاني: مج 8 / 16 / 126

(12) ظ: الجامع لأحكام القرآن : مج 6 / 11 / 144

الخبر بصيغة الأمر وذلك ليكون مما يجب أن يفعل بموجب الحكمة لقطع الحجج الواهية التي قد يحتج بها أصحاب الضلالة في التشكيك بوقوعه ، وبهذا تنتفي دلالة الدعاء في صيغة الأمر ﴿ فَلَئِمْدُ ﴾ لأنَّ الدعاء لا يمتلك القوة في وقوع الشيء وثبوته في الحقيقة بالدرجة التي يحققها

الخبر⁽¹⁾ . فباجتماع معنى الخبر وصيغة الأمر دلالة كبيرة على أنَّ الله سبحانه يمهل الكافرين لتصل درجة الإمهال إلى المد ثم بعدها يأخذهم الله بكفرهم وطغيانهم فهو قادر على حسابهم. وجزائهم حينها نار جهنم الحامية . ومما يؤكد ما ذهبنا إليه في إمهال الكافرين قوله تعالى: ﴿ فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَلَهُمْ زُوَيْدًا ﴾ (الطارق :17) وقوله : ﴿ وَمَكُدْهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة : 15) .

ومثال ذلك يتمثل في كثير من الآيات القرآنية التي أشار إليها ابن عطية عند الوقوف على تفسيرها في (المحرر الوجيز) كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾⁽²⁾ (التوبة : 82) وفي قوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾⁽³⁾ (طه : 39) وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾⁽⁴⁾ (العنكبوت : 12) .

وفي هذه الآيات ذكر ابن عطية خروج الأمر من دلالاته الأصلية طلب الأمر على وجه اللزوم والاستعلاء إلى الدلالة المجازية التي تفيد الإخبار وأكد في حديثه أن هذا العدول في الأساليب الكلامية يكسب الكلام قوة وتأكيذا في نفس السامع .

2- دلالة الأمر على الإباحة :-

من الدلالات التي يخرج إليها الأمر الإباحة (وهي الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل)⁽⁵⁾ أي يخرج الأمر من دلالة الوجوب إلى دلالة الإباحة ، والتي تعني عدم الحرج في فعل

(1) ظ: المحرر الوجيز : 191 /3

(2) ظ: المصدر نفسه: 66 /3

(3) ظ: المصدر نفسه : 43 /4 ، معاني القرآن : 179 /2 ، الجامع لأحكام القرآن : 99/11

(4) ظ: المصدر نفسه : 309 /4 ، الجامع لأحكام القرآن : مج 7 /13 /330

(1) التعريفات : الجرجاني : 8

فعل الشيء ومن أمثله الذي أشار إليها ابن عطية في (المحرر الوجيز) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (المائدة : 2) يقول : " وقوله تعالى : ﴿ فَاصْطَادُوا ﴾ صيغة أمر ومعناه الإباحة بإجماع من الناس ... " (1) فدلّت صيغة فعل الأمر (أفعل) التي جاءت على صورتها لفظة ﴿ فَاصْطَادُوا ﴾ على إباحة الصيد بعد الإحلال (2) أو الإذن به (3) .

وأضاف ابن عطية كثيرا من الدلالات التي خرجت إليها صيغة فعل الأمر (أفعل) ومنها دلالتها على الوجوب كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (البقرة : 43) وإنّ دلالة الوجوب الذي أشار إليها ابن عطية هي الدلالة الأصلية لفعل الأمر الذي يخرج منها إلى دلالات أخرى .

والندب كقوله تعالى : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ (الحج : 77) والوعيد كقوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ (فصلت : 40) والتعجيز كقوله تعالى : ﴿ كُونُوا حِجَارَةً ﴾ (4) (الإسراء : 50) . وذكر ذلك طائفة من المفسرين منهم : الطوسي (ت460هـ) (5) والزمخشري (ت 538هـ) (6) والقرطبي(ت 671 هـ) (7) وغيرهم ، وذكر ابن عطية طائفة من الآيات التي خرج فيها فعل الأمر من غير صيغة (أفعل) إلى دلالات مجازية أخرى .

3- دلالة الأمر على التقريع : -

وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

(آل عمران 119) يقول : " وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ ﴾ ، قال فيه الطبري وكثير من

(2) المحرر الوجيز : 148 / 2

(3) ظ: التبيان : 423 / 3 ، الكشاف / 637/1 ، الجامع لأحكام القرآن : 3 / 6 / 44 ، البحر المحيط: 4 / 51 روح

المعاني: 3 / 6 / 67

(4) ظ: معاني القرآن : الفراء : 1 / 183

(5) ظ: المحرر الوجيز : 2 / 148

(6) ظ: التبيان : 6 / 487

(7) ظ: الكشاف : 2 / 628

(8) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 5 / 10 / 274

المفسرين⁽¹⁾ هو دعاء عليهم - ويقول - فعلى هذا يتجه أن يدعى عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة ، قال قوم بل أمر النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم وأمته أن يواجههم بهذا ويقول : فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقرير والإغاظة ، ويجري المعنى مع قول مسافر بن أبي عمرو :

وننمي في أرومتنا ونفقا عينا من حسدا

وينظر إلى هذا المعنى في قوله : ﴿ مُوثُوا بِعَيْظِكُمْ ۖ ﴾ قوله تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى

السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ﴾ (الحج : 15)⁽²⁾

يشير ابن عطية في النص المتقدم إلى دلالة فعل الأمر ﴿مُوثُوا﴾ ، أمر الله تعالى نبيه الكريم

وأمته أن يقولوا عند مواجهتهم اليهود قوله تعالى : ﴿ مُوثُوا بِعَيْظِكُمْ ﴾ وعلى هذا خرج الأمر من

دلالة الإلزام والوجوب إلى دلالة التقرير والتوبيخ لليهود على نفاقهم .

والظاهر أن ابن عطية في حدود علمي قد انفرد في دلالة قوله تعالى : ﴿ مُوثُوا بِعَيْظِكُمْ ﴾

على التوبيخ والتقرير بعد إجماع معظم علماء التفسير⁽³⁾ ممن سبقوه ولحقوا به على أن دلالة فعل

فعل الأمر ﴿مُوثُوا﴾ خرجت للدعاء على اليهود واستند فيما ذهب إليه إلى أن الله سبحانه أمر

نبيه الكريم أن يواجههم بهذا القول وعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقرير واستشهد على

ما ذهب إليه بشواهد شعرية وقرآنية أكدت مذهبه ، فخرج الأمر في الآية القرآنية الكريمة وفي

البيت الشعري إلى التوبيخ والتقرير وتبعه القرطبي⁽⁴⁾ (ت : 671 هـ) وأبو حيان الأندلسي⁽⁵⁾

(ت 745 هـ) في هذا المعنى .

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية قد التفت إلى دلالة قوله تعالى : ﴿ مُوثُوا بِعَيْظِكُمْ ﴾ فخرجت

صيغة الأمر في الآية الكريمة من الأمر إلى التقرير والتوبيخ ولا شك أن ابن عطية كان محقا

(1) ظ: جامع البيان : 67 / 4 ، التبيان : 574 / 2 ، الكشاف : 435 / 1 ، مجمع البيان : 821 / 2 ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 382 / 1 ، روح المعاني : 189 / 3

(2) المحرر الوجيز : 498 / 1

(3) ظ: جامع البيان : 67 / 4 ، التبيان : 574 / 2 ، الكشاف : 435 / 1 ، مجمع البيان : 821 / 2 ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 177 / 1 ، روح المعاني : مج 2 / 40 ، الميزان : 427 / 3

(1) ظ: الجامع لأحكام القرآن : مج 2 / 4 / 183

(2) ظ: البحر المحيط : 44 / 3

فيما ذهب إليه وذلك لو كان الأمر في الآية الكريمة خرج للدلالة على الدعاء لما أمرهم الله سبحانه أن يواجهوا به اليهود وجها لوجه فضلا عن ذلك إنَّه لو كان دعاء وخرج على لسان النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لاستجاب له الله سبحانه وأهلكهم على إثر دعائه عليهم ، وما أمهلهم حتى دخل الأيمان في قلوب بعضهم وآمنوا بعد الكفر والضلالة .

4- دلالة الأمر على الاستهزاء :-

ومثال ذلك نجده في حديثه عن تفسير قوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان : 49) يقول : " مخاطبة على معنى هذا التقريع ... " ⁽¹⁾ يشير ابن عطية في النص المتقدم إلى دلالة الفعل ﴿ذُقْ﴾ فجاء ﴿ذُقْ﴾ بصيغة الأمر ، وليس المراد من المخاطب مباشرة ذوق العذاب وإنما أريد التقريع والتوبيخ والاستهزاء له وكأنما أراد بقوله : ﴿الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الذليل المهان ، وأشار إلى ذلك طائفة من المفسرين ⁽²⁾ .

5- دلالة الأمر على التحذير :

من الآيات القرآنية التي وقف عندها ابن عطية وأشار فيها إلى دلالة الأمر على التحذير قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : 223) يقول : " ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تحذير " ⁽³⁾ أشار ابن عطية في الآية الكريمة إلى تحديد دلالة فعل

(3) المحرر الوجيز : 77/5

(4) ظ: جامع البيان : 134 /25 ، التبيان : 240 /9 ، الكشاف : 285 /4 ، مجمع البيان : 102 /9 ، الجامع لأحكام

القرآن : 16 /8 ، 151 ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 384 /2 ، البحر المحيط : 40/8 ، فتح القدير الجامع بين

الرواية والدراية في علم التفسير : 723/5 ، روح المعاني: مج 13 /134/25

(1) المحرر الوجيز : 300/1

الأمر ﴿وَاتَّقُوا﴾ ونجده يشير في ذلك إلى دلالة الأمر على التحذير من تعدي حدود الله و قد ذكر ذلك غير واحد من المفسرين⁽¹⁾ .

بينما ذكر دلالة الفعل ﴿بَشِّرْ﴾ الوارد في الآية ذاتها بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : 223) يقول : " ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تأنيس لفاعلي البر ومتبعي سنن الهدى "⁽²⁾ فأشار إلى دلالة الأمر على التأنيس في الفعل ﴿بَشِّرْ﴾ وأشار إلى ذلك القرطبي(ت 671 هـ)⁽³⁾ وأبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ)⁽⁴⁾ .

ثانيا : الاستفهام :

هو طلب فهم شيء لم يكن معلوما من قبل ، بأدواته الخاصة به وهي : الهمزة وهل ومن وما وكيف وكم وأين ...⁽⁵⁾ وقد عني ابن عطية بهذا الأسلوب في القرآن وكلام العرب عناية فائقة وأشار في غير موضع إلى دلالات إضافية يقتضيها السياق أهمها :

1- دلالة الاستفهام على التوبيخ والتقريع :

ذكر ابن عطية دلالة الاستفهام على التوبيخ والتقريع وذلك في قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَهَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (الصافات : 149) يقول: "والاستفتاء السؤال وهو بمعنى التقريع والتوبيخ ،على قولهم على الله البهتان وجعلهم البنات لله تعالى عن ذلك وأمره بتوقيفهم على جهة التوبيخ أيضا هل شاهدوا أنّ الملائكة إناث فيصح لهم القول به "⁽⁶⁾ .

يشير ابن عطية في النص المتقدم إلى دلالة الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أَلرَّبُّكَ الْبَنَاتُ﴾

أنه خرج من دلالاته الأصلية هي (طلب الفهم) إلى دلالة التوبيخ والتقريع لمشركي قريش الذين

(2) ظ: التبيان : 225/2، مجمع البيان: 565/2، الجامع لأحكام القرآن : مج 2 / 3 / 96، البحر المحيط: 2 /

184، الأمتل : 85 / 2

(3) المحرر الوجيز : 300/1

(4) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 2 / 3 / 96

(5) ظ: البحر المحيط : 2 / 184

(6) ظ: الحدود في النحو : 42، الصاحبي: 292، التعريفات : 18

(1) المحرر الوجيز : 4 / 488

زعموا أنّ الملائكة بنات الله (عزّ وجلّ) وفي قولهم هذا لم يشركوا وحسب بل ذهبوا إلى تجسيم الله سبحانه غير أنّهم عدوا الإناث أوضع الجنسين فنسبوا أوضع الجنسين لله تعالى وتجرأوا على الملائكة وأنثوهم لذلك وبخهم الله سبحانه على كفرهم وطغيانهم⁽¹⁾ .

وذكر ابن عطية⁽²⁾ مثل ذلك في طائفة من الآيات ومنها ما ورد في قوله تعالى :
﴿ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : 44)
وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد : 24) .

2- دلالة الاستفهام على التقرير :

وقد يخرج الاستفهام من دلالاته على طلب الفهم إلى التقرير وأشار ابن عطية إلى ذلك في معرض حديثه عن تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفُنْكَآ آلهةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ (الصفوات : 86) يقول : " وقوله ﴿ أَفُنْكَآ ﴾ استفهام بمعنى التقرير أي أكذبا ومحالا "⁽³⁾ خرج الاستفهام في الآية الكريمة على لسان النبي إبراهيم (عليه السلام) في محاجته لأبيه وقومه ولم يكن استفهامه حقيقيا يطلب به الاستفهام والاستعلام عن آلهتهم التي يعبدونها لأنه على علم وبينه بحالها بأنّها ليس إلا افتراء وكذبا ومن هنا جاء استفهامه دالا على الإقرار بحالها وحقيقتها وتبعه أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) في هذا المعنى في (البحر المحيط)⁽⁴⁾ .
ومن ثم يشير ابن عطية إلى أنه متى دخلت ألف الاستفهام على واو العطف أو فائه دلت على معنى التقرير ومثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الزمر : 43) يقول : " والواو في قوله : ﴿ أَوْلُو ﴾ واو عطف دخلت ألف الاستفهام على واو العطف أو فائه أحدثت معنى التقرير "⁽⁵⁾ .

(2) ظ: الجامع لأحكام القرآن : مج 8 / 5 / 133 ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 303/2 ، والبحر المحيط : 7 / 360 ، نظم الدرر : 347 / 6 ، فتح القدير : 516 / 4
(3) ظ: المحرر الوجيز : 136 / 1 ، 118 / 5
(4) المحرر الوجيز : 478 / 4
(5) ظ: البحر المحيط : 350 / 7
(1) المحرر الوجيز: 534 / 4 ، البحر المحيط: 414 / 7

يشير ابن عطية في النص المتقدم إلى دلالة الاستفهام على التقرير في الآية الكريمة ، فجاء الاستفهام لإقراره حقيقة مفادها ما يتخذه الكافرون من شفاء من دون الله لا يملكون شيئا حتى يشفعوا لهم . وهكذا تستمر الأمثلة التي يسوقها ابن عطية في دلالة الاستفهام على التقرير ونجد ذلك فيما ذكره ابن عطية في تفسير طائفة من الآيات التي خرج فيها الاستفهام للدلالة على التقرير⁽¹⁾ ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾)

البقرة: 106) وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَحْرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر : 9) .

3- دلالة الاستفهام على الإنكار :

وقد وردت آيات كثيرة بهذه الدلالة أشار إليها ابن عطية كما جاء في قوله تعالى:

﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ (البقرة : 26) يقول : " ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ

الاستفهام" ⁽²⁾ أفاد الاستفهام دلالة الإنكار في الآية الكريمة ذكر ذلك الطبري⁽³⁾ وابن عطية⁽⁴⁾ وأبو حيان الأندلسي⁽⁵⁾ والألوسي⁽⁶⁾ ، فأشاروا إلى أن الاستفهام الذي خرج على لسان الكفرة لم يكن الغرض منه طلب الفهم والاستعلام عن حقيقة ذلك المثل وإنما كان الغرض منه إنكار ذلك المثل والتقليل من شأنه .

4- دلالة الاستفهام على التكذيب والاستهزاء : -

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الذاريات : 12) ذكر ابن

عطية دلالة الاستفهام في الآية الكريمة يقول : " وقوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ

﴿ معناه يقولون متى يوم الدين ؟ على معنى التكذيب ، وجائز أن يقترب بذلك من بعضهم هراء

(2) ظ : المصدر نفسه : 190/1 ، 522 /4

(3) المحرر الوجيز : 112 /1

(4) ظ: جامع البيان : 181 /1

(5) ظ: المحرر الوجيز : 112 /1

(6) ظ: البحر المحيط: 1/ 262-263

(7) ظ: روح المعاني: مج 1/ 1/ 207

وأن لا يقترن . " (1) يشير ابن عطية في النص المتقدم أنّ استفهامهم عن يوم القيامة لم يخرج لطلب المعرفة ولكنه خرج على جهة التكذيب والاستهزاء والشك بمجيئها . (2)

وانطلاقاً من تلك الإشارات والملاحظات عن الاستفهام ودلالاته الكثيرة التي أشار إليها ابن عطية هنا وهناك في تفسيره وهي إشارات دقيقة إلى أن هناك دلالات خرج إليها الاستفهام تمكن من فهمها وإدراكها بما أعانته السياق وقرائن الأحوال على ذلك ومنها ما ذكره في معرض حديثه عن قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر : 36) إذ ذكر أنّ الاستفهام في الآية الكريمة لم يخرج لغرض طلب الفهم والعلم بالشيء مع تحقق كفاية الله سبحانه للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما خرج لتقوية نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن خوفته قريش بأصنامها . يقول : " تقوية لنفس النبي عليه السلام ، لأنّ كفار قريش كانت خوفته من الأصنام ، وقالوا يامحمد أنت تسبها ونخاف أن تصيبك بجنون أو علة فنزلت الآية الكريمة" (3) ومما يعضد ذلك دخول همزة الإنكار على كلمة النفي وقد أفاد ذلك ثبوت الكفاية من الله وتقريرها للرسول (صلى الله عليه وآله) (4) .

ومثل ذلك نجده في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ﴾) يوسف : 59) يقول : " الآية يرغبهم في أنفسهم آخرا ، ويؤنسهم ويستميلهم " (5) .

ومن ذلك يتضح أنّ ابن عطية كان مدركاً لما يحمله الاستفهام من دلالات أعان على فهمها السياق وقرائن الأحوال في الآيات الكريمة التي تقدم ذكرها ، وبإدراكه هذا يؤكد قدرته على الكشف عن دلالات الألفاظ وما تحمله من معانٍ داخل التركيب ، وما أثر التركيب عليها بحيث أنّه كان قادراً على تغيير دلالاتها التي خرجت إليها فتأتي التراكيب ذات بنيتين بنية لفظية وبنية معنوية كما جاء في الآيات الكريمة التي جاءت بألفاظ تدل على الاستفهام إلا أنها في واقع الحال

(1) المحرر الوجيز: 173 / 5

(2) ظ: الجامع لأحكام القرآن : مج 9 / 17 / 34 ، البحر المحيط : 134 - 135 ، روح المعاني: 366 / 19 ، الميزان: 339 / 18

(3) المحرر الوجيز : 532 / 4

(4) ظ: التبيان : 28 / 9 ، الكشاف: 131 / 4 ، الميزان : 226 - 227

(5) المحرر الوجيز: 285 / 3

لم تخرج لطلب الفهم والمعرفة وإنما خرجت لدلالات كثيرة أشار إليها ابن عطية في وقفاته
التفسيرية في (المحرر الوجيز) .

الفصل الثالث

﴿ المظاهر الدلالية ﴾

- المبحث الأول : التطور الدلالي .
- المبحث الثاني : الترادف .
- المبحث الثالث : المشترك اللفظي .
- المبحث الرابع : الأضداد .

المظاهر الدلالية

المبحث الأول :- التطور الدلالي :-

يعد التطور الدلالي من المظاهر اللغوية التي لا تكاد تخلو منها لغة من لغات العالم حتى وُصِفَ بالداء الذي لا تكاد تخلو اللغات منه ، ولكنه في حقيقة الامر يبدو مظهرا من المظاهر التي نتلمس بها حياة اللغة ومسايرتها للزمن⁽¹⁾ .

والمقصود بالتطور الدلالي هو (التغيير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها ، و ذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في كافة مجالاتها)⁽²⁾ ولا شك أنّ التطور في دلالة المفردات يكون تبعا للحالات التي يكثر فيها استعمالها ، فشيوع استعمال العام في بعض مدلولاته يزيل مع مرور الزمن عموم دلالاته ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله وفي لغتنا العربية طائفة من المفردات التي كانت في الأصل عامة الدلالة ثم شاع استعمالها في الإسلام بدلالات معينة ومثال هذه المفردات (الإسلام) و (الصوم) و (المؤمن) و (الكافر) و (المناق) وغيرها ، وكذلك الحال بالنسبة للمفردات ذات المدلولات الخاصة فاستعمالها في دلالات كثيرة تتجاوز دلالتها الخاصة على سبيل التوسع يزيل مع تقادم العهد خصوص دلالتها ويكسبها العموم ومثال ذلك لفظة (البأس) التي كانت تعني الحرب فأصبحت تطلق على كل شدة ومثلها (الورد) الذي كان يدل على إتيان الماء فعممت دلالاته وصار إتيان كل شيء وردا ومثلها الرائد والنجعة والحوة وغيرها من المفردات التي اتسعت دلالاتها لكثرة إستعمالها في معان أخرى مشابهة لها ثم انتقلت شيئا فشيئا إلى معان أخرى وصارت فيها حقيقة بعدما كانت مجازية⁽³⁾ إن هذا التطور الذي يلحق المفردات ليس بالضرورة أن يكون ايجابيا يرتقي بالمفردة إلى مستويات الرفع والكمال وهذا النوع من التطور نعتة الدكتور محمود السعران (بالتغيير المتسامي) وأورد له طائفة من الألفاظ في لغتنا العربية⁽⁴⁾ . بل قد يكون في كثير من الأحيان سلبيًا وهذا ما دعا الدكتور علي عبد الواحد وافي ، أن يقول : (فمن الواضح أنّ هذا التطور لم يتجه دائما نحو

(1) ظ: دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس : 94

(2) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : د. عودة خليل أبو عودة : 45

(3) ظ: علم اللغة العام : محمود السعران : 318، لحن العامة و التطور اللغوي ومظاهره وعلله وقوانينه

د. رمضان عبد التواب : 194

(4) ظ: المصدر نفسه : 308

التهديب والكمال بل أدى في معظم مظاهره إلى اللبس في دلالة الكلمات والخلط بين وظائفها وأنواعها وجرّد اللغة مما بها من دقة وسمو وهوى بها إلى منزلة وضیعة في التعبير⁽¹⁾ ومثال ذلك يبدو واضحا في كتب اللغة والنحو وما تضمنته من استعمالات نعتت بالشاذة والقليلة تلك الاستعمالات التي نسبت إلى طائفة من القبائل منها : هذيل أو عقيل أو أسد أو طيّء وغيرها لم يكن إلا نتيجة سلبية لذلك التطور السلبي في اللغة⁽²⁾ .

والتطور الدلالي الذي يصيب الألفاظ يتمثل بعدة أنواع منها⁽³⁾ :

1- تضيق الدلالة أو تخصيصها .

2- توسع دلالة اللفظة .

3- تغيير مجال الاستعمال عن طريق المجاز .

وبهذه الأنواع الثلاثة يدرس التطور الدلالي للألفاظ عند ابن عطية في (المحرر الوجيز) إذ أشار إلى طائفة من الألفاظ التي طرأ على دلالتها نوع من التطور الدلالي فانتسعت دلالتها أو أصابها التخصيص فخرجت بذلك عن أصل وضعها اللغوي إلى دلالات أخرى جديدة أو تغيرت دلالتها بالانتقال من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي الذي ترتبط معه بعلاقة ما حتى ينقرض المعنى الحقيقي ويحل محله المعنى المجازي .

أ- تخصيص الدلالة :-

تتعرض طائفة من الألفاظ في لغتنا العربية ولغات العالم الأخرى إلى ظواهر شتى ، ومن هذه الظواهر التي نحن بصدد دراستها ظاهرة (التخصيص) التي تصيب دلالات الألفاظ التي كانت في أصل وضعها اللغوي عامة الاستعمال في مدلولاتها ومن ثم تخصصت دلالتها بفعل استعمالها في بعض مدلولاتها التي كانت تدل عليها سابقا ، ولم تكن ظاهرة التخصص وليدة العصر الحالي بل أشار إليها علماء اللغة في مصنفاتهم وأشاروا لها بأمتلة كثيرة إلا أنهم لم يصرحوا بذكر مصطلحها (التخصيص) ومنهم ابن قتيبة⁽⁴⁾ وأبو حاتم الرازي⁽⁵⁾ والسيوطي⁽⁶⁾ الذي أفرد بابا في كتابه (المزهر) لدراسة (العام و الخاص) من دلالات الألفاظ وعرف الخاص بقوله :

(1) علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي : 292

(2) ظ: التطور اللغوي التاريخي : د. إبراهيم السامرائي : 29

(3) ظ: علم اللغة : 288، دلالة الألفاظ : 115- 119، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم

: 56

(4) ظ: تأويل مشكل القرآن : 161، 471، 472

(5) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية : أبو حاتم أحمد بن حمدان القاسم الرازي : 38 /2

(6) ظ: المزهر في علوم اللغة : 433 /1

(وهو ما وُضع في الأصل عامّاً، ثم حُصّ في الاستعمال ببعض أفراده)⁽¹⁾ وذكر مجموعة من الأمثلة ومنها لفظة (الحج) يقول : (أصله قصد الشيء وتجريدك له ثم خصّ بقصد البيت ... ولفظ (السبت) فإنّه في اللغة الدهر ثم خص في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع وهو فرد من أفراد الدهر)⁽²⁾ وتابعهم في ذلك ابن عطية وأشار إلى طائفة من الألفاظ التي تخصصت دلالتها في (المحرر الوجيز) ومنها المفردات الآتية :

1- المحراب :-

من الألفاظ التي تخصصت دلالتها بعدما كانت عامة الاستعمال والتي ذكرها ابن عطية في (المحرر الوجيز) لفظة (محراب) الواردة في قوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ

الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم : 11) يقول:"و﴿ الْمِحْرَابِ ﴾ أرفع

المواضع والمباني إذ هي تحارب من ناوأها ثم خص بهذا الاسم مبنى الصلاة ، وكانوا يتخذونها فيما ارتفع من الأرض ، واختلف الناس في اشتقاقه ، فقالت فرقة : هو مأخوذ من الحرب كأن ملازمه يحارب الشيطان والشهوات ، وقالت فرقة : هو مأخوذ من (الحرب) بفتح الراء كأن ملازمه يلقي منه حرباً وتعباً ونصباً ، وفي اللفظ بعد هذا نظر"⁽³⁾ وقد أشار إلى ذلك المعنى طائفة من المفسرين ومنهم أبو عبيدة (ت 210هـ) يقول: (المحراب سيد المجالس ومقدمها وأشرفها ، وكذلك هو من المساجد)⁽⁴⁾ ونجد مثل ذلك المعنى عند الطوسي (ت460هـ)⁽⁵⁾ والطبرسي (ت 548هـ)⁽⁶⁾ والطباطبائي⁽⁷⁾ والشيرازي⁽⁸⁾ .

ويتضح مما تقدم أنّ لفظة (المحراب) كانت ذات دلالة عامة تدل على صدر المجلس أي أشرف مكان في المجلس وكان مخصصاً للأشراف وعلية القوم وقد ورد هذا في قول امرئ القيس :⁽⁹⁾

وترى مجلساً يغصّ به المد راب كالأسد والثياب رقاق

(1) المزهر في علوم اللغة : 433 / 1

(2) المصدر نفسه .

(3) المحرر الوجيز : 7 / 4

(4) مجاز القرآن : 91 / 1

(5) ظ: التبيان : 447 / 2

(6) ظ: مجمع البيان: 739 / 2

(7) ظ: الميزان: 188 / 3

(8) ظ: الأمتل : 367 - 366 / 9

(9) ديوان امرئ القيس : 34

ثم ضيق مجال استعمالها شيئاً فشيئاً وخاصة بعد مجيء الإسلام وصارت تدل على المكان المخصص لوقوف الإمام في المسجد وهو أشرف مكان يمكن للعبد أن يقف فيه بين يدي خالقه⁽¹⁾ خالقه⁽¹⁾

وقيل : سمي محراباً لأنه مأخوذ من الحرب الذي هو نقيض السلم⁽²⁾ ، وقيل : (لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى)⁽³⁾ وهذا الأخير ما ذهب إليه ابن عطية في تفسير لفظة (المحراب) .

2- الركوع : -

من الألفاظ التي وقف عندها ابن عطية في (المحرر الوجيز) وأشار إلى تخصيصها بعدما كانت عامة في الاستعمال لفظة (الركوع) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (البقرة : 43) يقول : " قوله تعالى : ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

قال قوم : جعل الركوع لما كان من أركان الصلاة عبارة عن الصلاة كلها. وقال

قوم : إنما خص الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع. وقالت فرقة : إنما قال (مع) لأن الأمر بالصلاة أولاً لم يقتض شهود الجماعة ، والركوع في اللغة الإنحاء بالشخص قال لبيد:⁽⁴⁾

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كائي كلما قمت راع
ويستعار أيضاً في الانحطاط في المنزلة ، قال الأخطب بن قريع:⁽⁵⁾
لا تعاد الضعيف عليك أن تر كع يوماً والدهر قد رفعه
(6)»

وأشار إلى ذلك المعنى الطوسي يقول : (وقوله (اركعوا) فالركوع الانحناء والانخفاض...) ⁽⁷⁾ والانخفاض...⁽⁷⁾ وتابعه في ذلك المعنى الطبرسي⁽⁸⁾ والشيرازي⁽⁹⁾ .

(1) ظ: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 196- 197

(2) ظ: العين : 213 / 3 مادة (حرب)

(3) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني : 225

(4) ديوان لبيد : 80

(5) نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : 69، جاء فيه: (لا تحقرن الفقير).

(6) المحرر الوجيز : 136 / 1

(7) التبيان : 193 / 1

(8) ظ: مجمع البيان: 213 / 1

(9) ظ: الأمتل : 163 / 1

ويبدو مما تقدم أنّ دلالة (الركوع) كانت تدل في أصل وضعها اللغوي على كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبتاه الأرض أو لا تمس بعد أن يطأ رأسه⁽¹⁾ ثم صارت تدل على الذل والخضوع والفقر فقيل : ركع الرجل إذا أفقر بعد غنى ، والشاهد على ذلك قول الشاعر :⁽²⁾

لَا تَهِينَنَّ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالدهرُ قَدْ رَفَعَهُ

أراد بقوله : (أَنْ تَرَكَعَ) أي تفتقر⁽³⁾، ومن دلالتها على الذل والانكسار قولهم: (ركع العدو) أي ذلّ وانكسر أمام خصمه ، ثم ضيقت دلالتها قيل مجيء الإسلام وصارت تدل على أصحاب الملة الحنيفية الذين لا يعبدون الأوثان⁽⁴⁾ ثم خصصت بمجيء الإسلام دلالتها بتلك الهيئة المخصوصة في الصلاة وعرفت بمعناها الاصطلاحي الذي أخذ طريقه في أوساط المجتمع الإسلامي وأصبحت اللفظة إذا أطلقت لا تعرف إلا بدلالاتها على الركوع لله سبحانه وحده في الصلاة . ويتضح مما تقدم أنّ ابن عطية قد ذكر دلالة لفظة (الركوع) بمعناها الاصطلاحي ثم أشار إلى دلالتها قبل الإسلام وإلى المراحل التي مرت بها قبل أن تتخصص دلالتها على الركوع لله (عزّ و جلّ) .

3- الكفر:-

وفي حديثه عن لفظة (كفر) الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة : 6) يقول : " معنى الكفر مأخوذ من قولهم كفر إذا غطى وستر، ومنه قول الشاعر ليبيد بن ربيعة:⁽⁵⁾

فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

أي سترها ومنه سمي الليل كافرا لأنه يغطي كل شيء بسواده قال الشاعر (ثعلبة بن صغيرة):⁽⁶⁾

صغيرة):⁽⁶⁾

(1) ظ: العين : 200 /1 (ركع)

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب : : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : 69، ورد فيه : (لا تحقرن الفقير).

(3) ظ: لسان العرب : 8 / 133 (ركع)

(4) ظ : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 191

(5) ديوان ليبيد : 146 ، صدر البيت: (يعلو طريقة متنها متواتر)

(6) ديوان المفضلين : أبو العباس المفضل بن محمد الضبي : 257 ورد فيه البيت كالآتي :
فتذكرت ثقلًا رثيدًا بعدما)

فَتَذَكَّرْ ثَقُلًا رَشِيدًا بَعْدَمَا أَلْقَيْتَ ذِكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ ۖ

ومنه قول الزراع كفار، لأنهم يغطون الحب ، فد (كفر) في الدين معناه غطى قلبه بالرين عن الإيمان أو غطى الحق بأقواله وأفعاله" (1)

وقد أشار إلى ذلك المعنى الطوسي يقول : (الكفر هو الجحود والستر ،... وفي الشرع : عبارة عن جحد ما أوجب الله عليه معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه والإقرار بما جاء به من أركان الشرع فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً) (2)

وتبعه في ذلك المعنى الطبرسي (ت 548هـ) (3) والشوكاني (ت 1250هـ) (4) والطباطبائي (5) وقد أشار إلى ذلك المعنى طائفة من علماء المعاجم العربية (6).

و مما تقدم أنّ ابن عطية قد أشار إلى الأصل اللغوي الذي دلت عليه لفظة (الكفر) إذ كانت تدل على تغطية الشيء وستره دليل ذلك ما جاء في أشعار العرب وكلامهم إذ أسندوا فعل الكفر إلى الليل لشدة سواده فإنه يكفر لأنّها واضحة وإلى التراب إذ غطى كل شيء وإلى الماء في النهر إذ غطى ما فيه فهو كافر (7) . وعليه قول النابغة: (8)

وَحَلَّتْ بِيَوْتِي فِي يَفَاعٍ ۖ تَخَالَ بِه رَاعِي الْحَمُولَةِ مَمْنَعٍ ۖ طَائِرًا

تزل الوعول العصم عن قذقاته وتضحى ذراه بالسحاب الكوافرا
وفي ضوء ما تقدم يكون المعنى الرئيس للكفر هو ستر الأشياء المادية المحسوسة مثل : الليل والتراب والنهر وغيرها ، ومن ثم استعملت اللفظة مجازاً في ستر الأشياء المعنوية غير المحسوسة كستر النعمة والبرهان والآية والدليل ، وعرف هذا الاستعمال المجازي في العصر

(1) المحرر الوجيز : 87 / 1

(2) التبيان : 60/1

(3) ظ: مجمع البيان: 126/1

(4) ظ: فتح القدير: 44 - 45 / 1

(5) ظ: الميزان: 50 - 52 / 1

(6) ظ: العين : 356 / 5 (كفر) ، تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة : 28 ، الزاهر : أبو بكر محمد بن القاسم

الأنباري : 216 / 1 ، الأشباه والنظائر: مقاتل بن سليمان : 95 - 97

(7) ظ: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 271

(8) ديوان النابغة : 69

الجاهلي إلى جانب الاستعمال الحقيقي⁽¹⁾ ، لها ودليل ذلك ما جاء عن الأعشى في مدح النعمان يقول :⁽²⁾

فلا تحسبني كافراً لك نعمة على شهيدٍ - شاهد الله - فاشهد

°

واستعملت اللفظة على وجه الخصوص ببزوغ فجر الإسلام فيمن كفر بآيات ربه ونعمه أي سترها وغطاها وأصبح هذا المعنى الاصطلاحي المتعارف عليه في العصر الإسلامي . وقد جاءت لفظة (الكفر) بدلالاتها اللغوية والشرعية في القرآن الكريم . ويتضح مما تقدم أن ابن عطية ذكر الدلالة اللغوية لـ (كفر) ومن ثم ذكر الدلالة الاصطلاحية لها التي عرفت بمجيء الإسلام .

4-الصابئين :-

وفي حديثه عن لفظة (الصابئين) الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 62) يقول : " والصابئ في اللغة من خرج من دين إلى

دين ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم : قد صبا ، وقيل : إنها سمتهم بذلك لما أنكروا الآلهة تشبيهاً بالصابئين في الموصل الذين لم يكن لهم بر إلا قولهم لا إله إلا الله ، وطائفة همزته جعلته من صبأت النجوم إذا طلعت ، وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت ... " ⁽³⁾ وقد أشار إلى ذلك أبو

عبيدة يقول : (﴿ الصَّابِئِينَ ﴾) يقال: صبأت من دينك إلى دين آخر ، إذا خرجت ، كما تصبأ

النجوم تخرج من مطالعها ، " ويقال صبأت ثنية إذا طلعتها " ⁽⁴⁾ وقد تابعه في ذلك المعنى الطوسي⁽⁵⁾ والطبرسي⁽⁶⁾ والشيرازي⁽⁷⁾ .

(9) ظ: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 271

(10) ديوان الأعشى : 229

(1) المحرر الوجيز : 156 / 1

(2) مجاز القرآن : 43/1 ، وينظر : الصحاح : الجوهري : 1 / 377

(3) ظ: التبيان : 1 / 282

(4) ظ: مجمع البيان: 1 / 259

(5) ظ: الأمتل: 1 / 218

ويبدو مما تقدم أنّ دلالة لفظة (الصابئين) هي الخروج عامة⁽¹⁾، وذكر ذلك ابن عطية يقول:
"هي الخروج من دين إلى دين"⁽²⁾ وقيل: هي من (صبأ) أي طلع كما قيل: وصبأ ناب البعير
إذا طلع⁽³⁾ وصبأ النجم طلع، وصبأت على القوم هجمت وقال الشاعر:
أَقِيمِي مِنْ تَهَامَةٍ لَا تَصِيفِي إِلَى نَجْدٍ فَقَدْ صَبَأَ الشِّتَاءُ
أي طلع الشتاء⁽⁴⁾.

وفي ضوء ما تقدم تكون دلالة لفظة (الصابئين) في الأصل هي الخروج عامة، ومن
الممكن القول: إنّها دلت على الخروج بقراءة من قرأ بالهمز و(الميل) بقراءة من قرأ بغير همز
وما دلت عليه لفظة (الصابئين) من (الخروج) و(الميل) هي دلالات عامة كلية للفظة قبل
تخصيصها بمجيء الإسلام إذ أصبحت تدل على طائفة من الناس خرجوا من دين الله (عزّ و
جلّ) إلى دين آخر بعدما كانت تدل على الخروج عامة.
بذلك تخصصت دلالة اللفظة بعدما كانت عامة وذات دلالة كلية فضيقت دلالاتها بفعل الاستعمال
وصارت ذات دلالة جزئية وبمجيء الإسلام حلت الدلالة الجزئية محل الدلالة الكلية على السنة
الناس حتى صارت لفظة (الصابئين) اسماً لا تعرف به إلا تلك الطائفة التي خرجت من دين الله
(عزّ و جلّ) إلى دين آخر.

5- الصيام :-

وأشار أيضاً إلى دلالة تخصيص الألفاظ عند وقوفه على لفظة (الصيام) الواردة في
قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 183) يقول: "﴿ الصِّيَامُ ﴾ في اللغة الإمساك وترك التنقل من
حال إلى حال"⁽⁵⁾ وما أن ذكر دلالة (الصيام) اللغوية حتى استشهد على ذلك بقول النابغة
وامرئ القيس وما جاء في القرآن الكريم من استعمال اللفظة (الصيام) بدلالاتها اللغوية يقول:
"ومنه قول النابغة:⁽⁶⁾

(6) ظ: الاشتقاق: ابن دريد: 423

(7) المحرر الوجيز: 1/ 156

(8) ظ: الاشتقاق: 423

(9) ظ: أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: 345 (صبأ)

(1) المحرر الوجيز: 1/ 250

(2) ديوان النابغة: تحقيق: د. علي بو ملحم: 152

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ أَلْجُمَا
أي خيل ثابتة ممسكة ، ومنه قول الله تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (مريم : 26) أي

إمساكا عن الكلام ، ومنه قول امرئ القيس : (1)

كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِقَتْ فِي مِصَامِهَا

أي في موضع ثبوتها وإمتساكها .

ومنه قوله : (2)

فَدَعِذَا وَسَلِّ الْهَمَّ َ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ نَمُولُ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا
أي وقفت الشمس عن الانتقال وثبتت (3) ثم ذكر دلالة لفظة (الصيام) الاصطلاحية يقول : "والصيام في الشرع إمساك عن الطعام والشراب مقترنة به قرائن من مراعاة أوقات وغير ذلك ، فهو من مجمل القرآن في قول الحذاق (4) ونجد مثل ذلك المعنى عند الطوسي (ت 460 هـ) يقول : (الصوم في الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة ، في زمان مخصوص ومن شروطه انعقاد النية) (5) وقد تبعه في ذلك المعنى الطبرسي (ت 548 هـ) (6) والشوكاني (ت 1250 هـ) (7) والطباطبائي (8) إذ أشاروا في تفاسيرهم إلى الدلالة اللغوية والشرعية للفظ (الصيام) وكيف أنّها تخصصت في الإسلام بعدما كانت عامة الاستعمال .

ويتضح مما تقدم أنّ ابن عطية ذكر دلالة لفظة (الصيام) اللغوية وهي الإمساك عن الحركة والتنقل ، وهذا ما كان شائعا في الاستعمال للفظ (الصيام) قبل مجيء الإسلام (9) فأسندوا آنذاك فعل الصيام إلى الخيل والشمس والكلام وإلى كل من سكنت حركته وثبتت ، ومن ثم تطورت دلالة لفظة (الصيام) وأخذت تستعمل مجازا في الانقطاع عن الأكل والشرب واستعملت اللفظة بدلالاتها اللغوية والمجازية في العصر الجاهلي ، ولم يكن الصيام بدلالته

(3) شرح ديوان امرئ القيس : حسن السندوبي : 152 ، ورد في الديوان :
(كأن الثريا علقت في مصابها بأمراس كتان إلى صم جنل) .

(1) شرح ديوان امرئ القيس : حسن السندوبي : 87 ، ورد في الديوان :
(فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة دمولى إذا صام النهار وهجرا) .

(2) المحرر الوجيز : 250 / 1

(3) المصدر نفسه .

(4) التبيان : 115 / 2

(5) ظ: مجمع البيان : 489 / 2

(6) ظ: فتح القدير : 225 / 1

(7) ظ: الميزان : 4 - 2 / 2

(8) ظ: تهذيب اللغة : الأزهرى : مج 6 / 12 / 181 (صام) ، لسان العرب : 350 - 351 (صوم)

الاصطلاحية معروفا في العصر الجاهلي ولم يعرف إلا بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم⁽¹⁾ ومن ثم صارت لفظة (الصيام) مستعملة بدلالاتها الاصطلاحية التي ذكرها ابن عطية⁽²⁾ وغيره من المفسرين⁽³⁾ وهي الانقطاع عن الطعام والشراب في أوقات مخصوصة . وفي ضوء ما تقدم أنّ لفظة (الصيام) كانت تدل على الإمساك عن الحركة والتنقل وفيما بعد أسندت مجازا إلى كلما سكن عن الحركة ومن ثم خصصت دلالتها في الإسلام لتدل على الانقطاع عن الأكل والشرب في شهر معين وفي أوقات معينة .

ب- تعميم الدلالة :-

مثلا أشرت إلى طائفة من الألفاظ التي تخصصت دلالتها بعدما كانت دلالتها عامة وجدت أن بعض الألفاظ قد حدث توسع في دلالتها فأصبحت دلالتها عامة بعدما كانت خاصة بفعل كثيرة استعمالها في معان عامة عن طريق الاتساع⁽⁴⁾ أو لقلة ملامحها التمييزية التي تدخل تحتها جملة جملة من الألفاظ ذات الدلالات المشابهة لدلالاتها الأصلية⁽⁵⁾ . فنحصل من ذلك على ما يسمى بتعميم الخاص أو توسيع المعنى⁽⁶⁾ ويقصد به : (هو ما وضع في الأصل خاصا ثم استعمل عاما)⁽⁷⁾ وله أمثلة كثيرة في اللغة ذكرتها كتب اللغة ومن هذه الأمثلة الشائعة قولهم : (رفع عقيرته أي صوته وأصل ذلك أنّ رجلا عقرت رجله فرفعها وصاح ففعل بعد لكل من رفع صوته : رفع عقيرته)⁽⁸⁾ وقد أشار إلى هذه الظاهرة طائفة من علماء اللغة ومنهم: ابن دريد(ت321هـ) في كتابه (جمهرة اللغة) إذ عقد فصلا بعنوان (باب الاستعارات) أشار فيه إلى اتساع طائفة من الألفاظ⁽⁹⁾ ، وتنبه الخطابي (ت388هـ) لها في رسالته الموسومة (إعجاز القرآن) إذ وقف عند توسع الدلالة وجعل الخاص عاما يقول : (وقد يتوسع في ذلك حتى يجعل العقر أكلًا وكذلك اللدغ واللسع ... وحكي أيضا عن بعض الأعراب أكلوني البراغيث ؛ فجعل قرص البرغوث أكلًا . ومثل هذا في الكلام كثير)⁽¹⁰⁾ ومنهم ابن فارس (ت 395هـ) أيضا في كتابه (الصحابي) في

(9) ظ: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 219- 220

(10) ظ: المحرر الوجيز : 1/ 250

(11) ظ: التبيان في تفسير القرآن : 2/ 115 ، مجمع البيان : 2/ 489 ، فتح القدير : 1/ 225 الميزان : 2/ 4

(1) ظ: علم اللغة : 292

(2) ظ: علم الدلالة : د.أحمد مختار عمر : 245

(3) ظ: دلالة الألفاظ : 119 ، علم الدلالة : 243

(4) المزهري في علوم اللغة : 1/ 429

(5) المصدر نفسه .

(6) ظ: جمهرة اللغة : 3/ 432- 433

(7) بيان إعجاز القرآن : الخطابي : 42

باب (القول في أصول اسماء قيس عليها وألحق بها غيرها) (1) وتابعهم في ذلك ابن عطية حينما حينما ذكر طائفة من الألفاظ التي اتسعت دلالتها وعمت بعدما كانت خاصة الاستعمال ومنها :

1- حَنِيفٌ :-

من الألفاظ التي وقف عندها ابن عطية في (المحرر الوجيز) وأشار إلى تعميمها بعدما كانت خاصة في استعمالها لفظة (حنيف) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ

نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة : 135) يقول : "

و ﴿ حَنِيفًا ﴾ ... والحنف الميل ، ومنه الأحنف لمن مالت إحدى قدميه إلى الأخرى والحنيف

في الدين الذي مال عن الأديان المكروهة إلى الحق وقال قوم : الحنف الاستقامة وسمي المعوج القدمين أحنف تفاؤلاً كما قيل سليم ومفازة ، ويجيء الحنيف في الدين المستقيم على جميع طاعات الله (عزّ وجلّ) وقد خصص بعض المفسرين ، فقال قوم : الحنيف الحاج وقال آخرون : المختنن ، وهذه أجزاء الحنف . " (2) ويشبه موقف ابن عطية موقف أبي عبيدة (ت 210 هـ)

(إذ يقول : ﴿ حَنِيفًا ﴾ الحنيف في الجاهلية من كان على دين إبراهيم ، ثم سمي من اختنن

وحج البيت حنيفاً لما تناسخت السنون ، وبقي من يعبد الأوثان من العرب قالوا نحن حنفاء على دين إبراهيم ، ولم يتمسكوا منه إلا بحج البيت والختان ؛ والحنيف اليوم : المسلم.

قال ذو الرمة : (3)

إِذَا خَالَفَ الظِّلَّ العِشِيَّ حَنِيفًا وَمَنْ قَرَنَ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ
رَأَيْتَهُ

يعني : الحرياء (4) وتبعه في ذلك طائفة من المفسرين ومنهم الطوسي (5) والزمخشري (6) .

(8) الصحابي : 112

(1) المحرر الوجيز : 214-215 / 1

(2) ديوان شاعر ذي الرمة : 229 ، ورد في الديوان :

(إذا حول الظل العشي رأيت حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر)

(3) مجاز القرآن : 58 / 1

(4) ظ: التبيان : 479 / 1

(5) ظ: الكشف : 220 / 1

ويبدو مما تقدم أنّ لفظة (الحنيف) كانت تدل في أصل وضعها اللغوي على الميل⁽¹⁾ وخصّت بعد ذلك بميل القدمين كل واحدة منهما نحو الأخرى⁽²⁾ ، لذلك سمي الأحنف بن قيس بذلك لأنّه كان أحنف القدم وأنّ أمه كانت ترقصه وهو طفل تقول :⁽³⁾

والله لولا حنّف برجله ما كان في فتیانكم من مثله

وقيل : (الحنف هو ميل عن الضلالة إلى الاستقامة)⁽⁴⁾ وبذلك تطورت دلالة لفظة (حنيف) من المعنى المادي لها وهو الميل في القدم إلى المعنى المعنوي وهو الميل في السلوك أو الاعتقاد ، أو تحول الإنسان من مبدأ أو اعتقاد إلى غيره أو كما قيل من دين إلى دين آخر وأن علاقة (الميل) بين الدالتين هي التي سوغت ذلك التطور في دلالة اللفظة⁽⁵⁾ .

وتبين أنّ ابن عطية في حديثه عن تطور دلالة لفظة (حنيف) قد ذكر دلالتها المادية المحسوسة وهي دلالتها على الميل في القدم ، ومن ثم ذكر دلالتها المعنوية وهي الاستقامة في الدين والخروج من سائر الأديان المضلة إلى دين الله وهو دين الحق ، وإنّ هذا التطور الذي مرت به المفردة يعد إعماما واتساعا في دلالتها⁽⁶⁾ .

2- سماء :-

وفي حديثه عن لفظة (السماء) الواردة في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا

لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : 22) يقول : " و ﴿ السَّمَاءِ ﴾ قيل هو اسم مفرد جمعه (

سماوات) ، وقيل : هو جمع واحده (سماوة) ، وكل ما ارتفع عليك في الهواء سماء والهواء نفسه علواً يقال له (سماء) ، ومنه الحديث : (خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعاً) ،

واللفظة من السمو وتصاريفه . وقوله تعالى : ﴿ بِنَاءً ﴾ تشبيه يفهم ، كما قال تعالى :

(6) ظ: العين : 248 /3 (حنف)

(7) ظ: لسان العرب : 56 /9 -57 (حنف)

(8) شرح أدب الكاتب : الجواليقي : 94/1

(9) مفردات ألفاظ القرآن : 190

(10) ظ : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 157

(1) ظ : المسائل اللغوية والنحوية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (208 هـ) : (أطروحة دكتوراه) : أ . د . عبد الكاظم محسن كاظم الياسري : 137 .

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذاريات : 47) وقال بعض الصحابة: (بناها على الأرض كالثقة

(وقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ يريد السحاب ، سمي بذلك تجوزاً لما كان يلي السماء ويقاربها

وقد سمو المطر سماء للمجاورة ، ومنه قول الشاعر: (1)

إذا نزل السماء بأرض قومٍ رعيناهُ وإن كانوا غضابا

فتجوز أيضاً في رعيناه ، فيتوسط المطر جعل السماء عشياً "(2) وأشار إلى ذلك المعنى الطوسي (ت460 هـ) يقول : (وسمي السماء سماء لعلوها على الأرض وعلو مكانها من خلقه وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء لذلك قيل لسقف البيت سماء لأنه فوقه وسمي السحاب سماء ويقال : سما فلان لفلان إذا أشرف له وقصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق : (3)

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِيهِ وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تَدَيْتْ مَقَاوِلُهُ

وقال النابغة : (4)

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ فَرَأَيْتُ مِنْهَا تُحَيِّتُ الْخَدِرَ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ

يريد بذلك أشرفت لي نظرة وبدت (5) وتابعه في ذلك المعنى الطبرسي (6) والقرطبي (7) .

وفي ضوء ما تقدم أن لفظة (السماء) مأخوذة من (سما يسمو) أي ارتفع ويسمى سقفاً

كل شيء سماء (8) ، لذلك سميت سماء الدنيا (سماء) لأنها سقفاً على الأرض ، ومن ثم

تطورت دلالة لفظة (سماء) وصارت تطلق على السحاب والمطر من باب الاتساع والتعميم

لذلك جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴾ (الأنعام : 6) أي

أرسلنا المطر عليهم مدراراً ، وجاء في الشعر نظير هذا الاستعمال لدلالة لفظة (السماء) ومنه

قول الشاعر معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب : (9)

(2) ظ: المفضلديات : المفضل الضبي : 359 ورد صدر البيت كالاتي (إذا نزل السحاب بأرض قومٍ ...)

(3) المحرر الوجيز : 105 / 1

(4) ديوان الفرزدق : تحقيق : د. صلاح الدين الهوارى : 90

(1) ديوان النابغة : 111 ، ورد في الديوان (صفحتُ بنظرةً ، فرأيت منها ، تُحَيِّتُ الْخَدِرَ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ)

(2) التبيان : 100 / 1

(3) ظ: مجمع البيان: 154 / 1

(4) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 228- 229

(5) ظ: العين : 318 / 7 (سمو) ، لسان العرب : 397 / 14 (سما)

(6) ظ: المفضلديات : 359 ورد صدر البيت كالاتي (إذا نزل السحاب بأرض قومٍ ...)

إذا نزل السماء بأرضٍ ِ رعيناه وإِنْ كَانُوا غِضَابًا قـوم

أي : أراد إذا سقط المطر رعينا النبات الذي يكون منه .
وفي ضوء ما تقدم نجد أنّ ابن عطية قد وقف عند لفظة (سماء) وذكر دلالتها المعجمية
ومن ثم أشار إلى دلالتها التي تطورت عن الدلالة اللغوية لها وصارت تدل على السحاب وعلى
المطر النازل منها ، وقد أكد ذلك ما جاء في القرآن الكريم وكلام العرب وأشعارهم والذي سوغ
هذا التعميم والاتساع في دلالة لفظة (سماء) المجاورة بين كل من الداليتين الأولى والثانية .

3- السَّحْتِ :-

وفي حديثه عن لفظة (السحت) الواردة في قوله تعالى : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ

أَكْأَلُونَ لِلْسَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاخُكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ

يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاخُكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

﴿ (المائدة : 42) يقول : " وقوله تعالى : ﴿ أَكْأَلُونَ لِلْسَّحْتِ ﴾ فعالون بناء مبالغة أي

يتكرر أكلهم له ويكثر . و (السحت) كل ما لا يحل كسبه من المال . . . فسمي المال
الحرام سحتا لأنه يذهب وتستأصله النوب ... " (1) ومن ثم ذكر ما أشار إليه الطبري في
أصل لفظة (السحت) يقول الطبري (ت310هـ) (وأصل (السحت): كَلَبُ الجوع، يقال
منه: (فلان مسحوت المَعِدَة) ، إذا كان أكلولا لا يُقْفَى أبداً إلا جائعاً، وإنما قيل
للرشوة: (السحت) ، تشبيهاً بذلك ، كأن المرتشي من الشَّرِه إلى أخذ ما يُعطاه من ذلك مثل

الذي بالمسحوت المعدة من الشَّرَه إلى الطعام .⁽¹⁾ وعلق على ما جاء عن الطبري في تفسير لفظة (السحت) يقول : " وذلك بأنَّ الرشوة تنسحت ، فالمعنى هو كما قدمناه وفي عبارة الطبري بعض الاضطراب لأنَّ مسحوت المعدة هو مأخوذ من الإستئصال والذهاب، وليس كلب الغرث أصلاً للسحت ، والسحت الذي عني أنَّ اليهود يأكلونه هو الرشا في الأحكام والأوقاف التي تؤكل ويرفد أكلها بقول الأباطيل وخذع العامة ونحو هذا ، ... وهو لفظ يعم كل كسب لا يحل"⁽²⁾ ويشبه موقف ابن عطية موقف الطوسي (ت 460 هـ) إذ يقول : (وأصل السحت الاستئصال أسحت الرجل إسحاثاً وهو أن يستأصل كل شيء يقال : سحته وأسحته إذا استأصله وأذهبه - قال الفرزدق :⁽³⁾)
وعَضُّ زَمَانٍ يَا أَبْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَتاً أَوْ مُجْلَفً
(4)

وتابعه في ذلك المعنى الطبرسي (ت 548 هـ)⁽⁵⁾ والطباطبائي⁽⁶⁾ والشيرازي⁽⁷⁾ .
ويبدو مما تقدم أنَّ ابن عطية قد أشار إلى أصل اللفظة وهو الإستئصال لذلك جاء في كلام العرب قولهم : أسحت الرجل استأصل ما عنده وأسحت ماله استأصله⁽⁸⁾ ، ومن ثم ذكر دلالة (السحت) في الاصطلاح وهي كل ربح غير مشروع وذكر له المفسرون أوجه كثيرة ولكن الوجه الذي أشار إليه سياق الآية هو الرشوة وعدّها ابن عطية أعظم وجه من وجوه (السحت) وفي ضوء ما تقدم يكون ابن عطية قد تنبه على التطور الدلالي الذي أصاب لفظة (السحت) بفعل التعميم والاتساع في استعمال دلالتها إذ إنَّها تعممت في " كل كسب لا يحل "⁽⁹⁾ على حد تعبير ابن عطية بعدما كانت تدل على استئصال الأشياء وذهابها ، والذي سوغ ذلك

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 241/5

(3) المحرر الوجيز : 193 /2

(4) ديوان الفرزدق : 6 جاءت في الديوان لفظة (مجلف) (مجرف)

(5) التبيين في تفسير القرآن : 529 /3

(1) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن : 302 /3

(2) ظ: الميزان: 371 /5

(3) ظ: الأمثل : 12 /4

(4) ظ: لسان العرب : 41 /2 (سحت)

(5) المحرر الوجيز : 193 /2

ذلك التعميم في دلالة اللفظة هو الارتباط بين السبب والنتيجة ، فكل مال من كسب حرام سوف يؤدي بصاحبه إلى الاستئصال والهلاك⁽¹⁾ .

ج- تغيّر المجال الدلالي : -

يمثل الوجه الثالث من وجوه التطور الدلالي ويعرف عند اللغويين بنقل المعنى⁽²⁾ أو تغيير المجال الدلالي⁽³⁾ وفي هذا الوجه ينتقل اللفظ من دلالاته في أصل الوضع إلى دلالة أخرى عن طريق المجاز وتكون بينها وبين الدلالة الأولى علاقة ملاحظة من خلال القرائن المعروفة في هذا الميدان ، والملاحظ في هذا المجال أنّ بعض الألفاظ تفقد دلالتها الأصلية بمرور الزمن لتحل محلها الدلالة الجديدة وتدخل في ميدان الاستعمال ، وبذلك تنقرض الدلالة الحقيقية للفظ وتحل محلها الدلالة المجازية ويعد المجاز من الوسائل الرئيسة في إضافة الدلالات الجديدة للألفاظ وتكمن فيه القدرة على نمو اللغة وثرائها ، وتبدو فيه الألفاظ بحلة جديدة تسحر العيون

(6) ظ: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 331

(1) ظ: علم الدلالة : 247

(2) ظ: دلالة الألفاظ : 123

ببريقها وتأسر القلوب بجمالها ورونقها⁽¹⁾ ، فتثير في ذهن السامع شيئاً من الغرابة والطرافة في الاستعمال لذلك قيل: (اللفظ إذا انحرف من مجال إلى مجال آخر ، فأثار في الذهن غرابة أو طرافة قيل حينئذ هو من المجاز ...)⁽²⁾ ، واعتنى علماء العربية بالمجاز عناية كبيرة وكان في مقدمتهم ابن جني يقول : (فالحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بصد ذلك)⁽³⁾

وأشار ابن جني في حديثه عن الحقيقة أو الدلالة الأصلية للفظ للدلالة المجازية، وذلك لأنّ الدلالة المجازية تقابل الدلالة الحقيقية وتعد الدلالة الثانية لها⁽⁴⁾ ، وذكر ابن فارس ذلك المعنى وعدّ ذلك سنة من سنن العرب في كلامها⁽⁵⁾ ، وتبعهم في ذلك المعنى الثعالبي⁽⁶⁾ وعبد القاهر الجرجاني الذي أولى هذه الظاهرة عناية كبيرة وله فيها آراء خالدة⁽⁷⁾ ، وقد جمع السيوطي آراء القدماء في فصل سماه (معرفة الحقيقة والمجاز) وساق له أمثلة كثيرة⁽⁸⁾ ، وتبعهم في ذلك ابن عطية وقال بوجود المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم واتخذ من القرآن الكريم عدداً من النصوص التي

تضمنت أسلوب المجاز وخاصة تلك النصوص ذات الصلة بالذات الإلهية المقدسة فالتعامل معها على دلالتها الظاهرة قد يؤدي بالإنسان إلى الكفر والضلال عن سبيل الحق و الهداية لذلك كان كثيراً ما يشير إلى عملية انتقال دلالة اللفظة من المجال المادي إلى المجال المعنوي وبالعكس وقد وقف ابن عطية عند طائفة من الآيات القرآنية التي انتقلت دلالة ألفاظها من المجال المادي إلى المعنوي ومنها :

1. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا

وَكُفْرًا ﴿ (المائدة : 64) يقول : " ... قالوا في الوجه أنه عبارة عن الذات وصفاتها

(3) ظ: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي : د. ابتهاج كاصد

الزبيدي : 162 (أطروحة دكتوراه)

(4) دلالة الألفاظ: 99

(5) الخصائص : 208 / 2

(6) ظ: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : د. حامد كاظم عباس : 136

(7) ظ: الصاحبى : 110 - 111

(8) ظ: فقه اللغة وسر العربية : 543 - 546

(9) ظ: أسرار البلاغة : 22 ، 207 ، 209 ، 238 ، 239

(10) ظ: المزهري في علوم اللغة : 1 / 355 - 368

وقالوا في اليد واليدين والأيدي إنها تأتي مرة بمعنى القدرة كما تقول العرب لا يد لي بكذا ومرة بمعنى النعمة كما يقال لفلان عند فلان يد ، وتكون بمعنى الملك كما يقال يد فلان على أرضه وهذه المعاني إذا وردت عن الله تبارك وتعالى عبر عنها باليد أو الأيدي أو اليدين استعمالاً لفصاحة العرب ولما في ذلك من الإيجاز ، ... والظاهر أن قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن أنعامه على الجملة وعبر عنه بيدين جريا على

طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكلتا يديه ومنه قول الأعشى: (1)

يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف إذا ما ضنَّ بالمال تنفق

ويؤيد أن اليدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق ... " (2) ويشبه موقف ابن عطية موقف الطوسي (ت 460 هـ) إذ يقول : (أما اليد فإنها تستعمل في خمسة أوجه : أحدها – الجارحة والثاني النعمة والثالث – القوة والرابع – الملك والخامس – تحقيق إضافة الفعل) (3) وأخذ عنه الطبرسي (4) وتبعهم الطباطبائي يقول : (وربما ذكروا لليد معاني مختلفة في اللغة غير الجارحة كالقدرة والقوة والنعمة والملك وغير ذلك لكن الحق أن اللفظة موضوعة في الأصل للجارحة وإنما استعملت في غيرها من المعاني على نحو الاستعارة لكونها من المنتسبة إلى الجارحة نوعا

من الانتساب كانتساب الإنفاق والجود إلى اليد من حيث بسطها ، وانتساب الملك إليها من حيث التصرف والوضع والرفع وغير ذلك ...) (5) ونقل عنهم هذا المعنى الشيرازي (6) .

ويتضح مما تقدم أن ابن عطية تمكن من رد ما جاء به اليهود في مقاتلهم الشنعاء ﴿يَدُ اللَّهِ

مَعْلُوءَةٌ﴾ (المائدة : 64) فلم يقصدوا بمقاتلهم وصف الله سبحانه جل و علا بالبخل وحسب بل

كانوا يرمون إلى ما هو أبعد من ذلك في مقاتلهم ، وإن ما يرمون إليه من تجسيم الذات المقدسة هو الكفر بعينه وردّه ابن عطية يقول : " أنه ليس بجسم ولا جارحة ولا يشبه ولا يكيف ولا يتحيز في جهة كالجواهر ولا الحوادث تعالى عما يقول المبطلون " (7) وبعدهما ذكر أنه من

(1) ديوان الأعشى : 130 ، جاء في الديوان : (يداك يدا صدق فكف مفيدة وأخرى إذا ما ضن بالزاد تنفق)

(2) المحرر الوجيز : 216 / 2

(3) التبيان : 580 / 3

(4) ظ: مجمع البيان: 337 / 3

(1) الميزان: 18 / 6

(2) ظ: الأمتل : 71 / 4

(3) المحرر الوجيز : 216 / 2

الاستحالة أن يكون المقصود بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ (المائدة : 64) أنّ الله جسم وله جارحة كاليد ونحوها ، وهو بذلك يدفع أن تكون (اليد) هي ذات الدلالة الحسية المادية أي اليد المعروفة لدى الإنسان إنتقل إلى الإشارة بأنّ (اليد) هي ذات الدلالة المعنوية المجردة وما جاء من باب المجاز والاستعارة في لغة العرب فالعين في كلامهم تدل على العلم والإدراك ونجد ذلك جليا في قوله تعالى : ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه : 39) وقوله : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر : 14) وقوله : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور : 48) دلت العين في الآيات المتقدمة الذكر على العلم والإدراك و يدل ذكر (الوجه) على أنه عبارة عن الذات وصفاتها ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص : 88) أمّا (اليد) فتدل على النعمة ومثال ذلك قولهم (لفلان عند فلان يد) وتأتي لتدل على الملك كما يقال : (يد فلان على أرضه) .

وواضح مما تقدم أنّ انتقال دلالة لفظة (اليد) من المجال الحسي الذي دلت فيه اليد على

اليد العضوية الجارحة إلى المجال المعنوي الذي خرجت فيه اليد للدلالة على معان متعددة منها القدرة والملك والنعمة ، ولعل الغاية المبتغاة من هذا الانتقال هي تصوير الدلالة المعنوية للألفاظ بصورة حسية ملازمة لها غالبا ولا شيء أثبت من الصورة الحسية في الذهن وبما أنّ البخل والوجود من الأمور المعنوية الذي لا تدرك بالحواس فصورهما القرآن الكريم بما يلازمهما وهي اليد فعبر عن صورة قبض اليد بالبخل وعن صورة بسطها بالوجود والكرم ، وذلك كله لتوضيح صورة كل من البخل والوجود وتيسير فهمهما على المتلقي .⁽¹⁾

2. وفي حديثه عن لفظة (زل) الواردة في قوله تعالى : ﴿فَأَرْزَمْنَا الشَّيْطَانَ عَنْهَا

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

(1) ظ: الأنصاف فيما تضمنه الكشاف : أحمد بن المنير : 687 / 1 ، البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن : (أطروحة دكتوراه) : 174 - 175

وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿ (البقرة : 36) يقول : " و ﴿ أَرْزَمًا ﴾ مأخوذ من الزلزل وهو في

الآية مجاز ، لأنه في الرأي والنظر ، وإنما حقيقة الزلزل في القدم " (1) وأشار إلى ذلك المعنى الطوسي يقول : (الزلّة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة الإصابة ، ويقال : زل السهم عن النزاع زليلا وزل فلان عن الصخر زليلا إذا زلت قدمه ، قلت : زل زلا فإذا زل في مقاله أو خطبة قلت : زل زلة...) (2) وتبعه في ذلك المعنى الزمخشري (3) والطبرسي (4) .

ويبدو مما تقدم أنّ (زل) في أصل وضعه اللغوي مأخوذ من زلزل القدم عن مكانه (5) ثم انتقلت دلالتها من الأصل الحسي الذي يعني الزلزل في القدم إلى الأصل المعنوي الذي يعني الزلزل في الآراء على سبيل المجاز .

3. وفي حديثه عن لفظة (تولى) الواردة في قوله تعالى : ﴿ تَمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (البقرة : 64) يقول

" تولى تفعل ، وأصله الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم ، ثم استعمل في الإعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعا ومجازا " (6) ونجد موقفا مماثلا لموقف ابن عطية عند الطوسي يقول : (قوله توليتم : أعرضتم ووزنه (تفعلتم) من قولهم ولاني فلان دبره : إذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره . ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمر ومعرض بوجهه ...) (7) وتبعهم في ذلك المعنى الزمخشري (8) والطبرسي (9) والألوسي يقول : (... أصل التولي الإعراض المحسوس ثم استعمل في الإعراض المعنوي كعدم القبول ويفهم من الآية أنهم امتثلوا الأمر ثم تركوه) (10) وتبعه في ذلك المعنى الشيرازي (11)

(2) المحرر الوجيز : 128 / 2

(3) التبيان في تفسير القرآن : 158 - 159 / 1

(4) ظ: الكشاف: 156 / 1

(5) ظ: مجمع البيان: 159 / 1

(6) ظ: العين : 348 / 7 (زل) ، لسان العرب : 306 / 11 (زلزل)

(1) المحرر الوجيز : 159 / 1

(2) التبيان : 88 / 1

(3) ظ: الكشاف: 160 - 159 / 1

(4) ظ: مجمع البيان: 263 / 1

(5) روح المعاني: مج 1/1/ 218

(6) ظ: الأمتل : 218 / 1

والظاهر مما تقدم أنّ أصل (التولي) مأخوذ من (ولى) أي أدبر وقولهم ولى عنه أي أدبر وأعرض عنه .⁽¹⁾ ثم انتقلت دلالاته من المجال الحسي الذي دلّ فيه على الإدبار أو الإعراض بالأجسام إلى المجال المعنوي الذي دلّ فيه على الإعراض في الآراء على سبيل المجاز والانتساع في دلالة اللفظة .

وفي ضوء ما تقدم نجد أنّ ابن عطية كان حريصا على إرجاع الألفاظ إلى أصولها اللغوية أي إلى دلالاتها الأصلية التي وضعت لها أول مرة واستعملت فيها ، فضلا عن عنايته الفائقة بالأصول الحسية للألفاظ التي استعملت فيما بعد مجازا في الأمور المعنوية كـ (الزلل) الذي كان يستعمل في زلل القدم ثم استعمل في الآراء والأعمال ومثلها (التولي) الذي كان في الأعراض بالأجسام ثم استعمل في الآراء أيضا ، ومن ذلك تمكن ابن عطية من الوصول إلى الدلالات المعنوية في الألفاظ بمساعدة الدلالات اللغوية الحسية لها ولولا ذلك لما استطاع أن يصل إلى الدلالات الجديدة التي جاءت بها الألفاظ في النصوص القرآنية الكريمة التي أكسبت الألفاظ دلالات جديدة مضافة إلى دلالاتها الأصلية . وإنّ هذا الانتقال من المجال الحسي إلى المعنوي فيه دلالة كبيرة على رقي المجتمع وتطوره فضلا عن دلالاته على تطور الدلالة عند الأمم وخير دليل على ذلك التطور الملحوظ الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع بشكل عام وفي لغته التي نزل بها الكتاب العزيز بصورة خاصة .

ومن الجدير بالذكر أنّ ذلك الانتقال بين المجالات الدلالية ومنها الانتقال من المجال الحسي إلى المعنوي يكون له خصائص تميزه من غيره ومنها أنّ الانتقال من المحسوس إلى المجرد يتم تدريجيا وتظل الدالتان سائدتين مع بعضهما البعض⁽²⁾ في المجتمع الواحد .
ويبدو واضحا أنّ القرآن قد استعمل طائفة من الألفاظ التي مرت بدلالاتها الحسية وأخرى بدلالاتها المعنوية :

1- ومن ذلك لفظة (الأدبار) الواردة في قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ

وَإِنْ يُفَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (آل عمران : 111) أي

يعرضون عنكم بأجسامهم ، واستعملها بدلالاتها المعنوية و ذلك في قوله

تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ

(7) ظ: العين : 8 / 432 (ولي) ، لسان العرب : 15 / 407 (ولى)

(1) ظ: دلالة الألفاظ : 124

مِنَ الْحَاسِرِينَ ﴿البقرة : 64﴾ أي أعرضتم ونقضتم ميثاقكم الذي قطعتموه
من قبل .

2- ومن ذلك استعماله للفظه (اليد) فاستعملت في القرآن بدلالة الجارحة وذلك

في قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا

نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: 38) وجاءت لتدل على

النعمة في قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة : 64) وكثير من

الألفاظ التي انتقلت من المجال الدلالي الحسي إلى المعنوي واستعملها
التعبير القرآني بالدالتين الحسية والمعنوية .

المبحث الثاني : الترادف : -

يعد الترادف مظهرا من مظاهر نمو اللغة واتساعها ويعود هذا الاتساع إلى كثرة الألفاظ
ووجود الترادف في اللغة .⁽¹⁾

والترادف (هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)⁽²⁾ وتنبه القدماء
على (الترادف) في وقت مبكر ودليل ذلك إشاراتهم المنتثرة في بطون مصنفاتهم وإن أقدم
ما وصل إلينا عن الترادف ما جاء في تفسيرات سيبويه للألفاظ في قوله : (اختلاف اللفظين
والمعنى واحد)⁽³⁾ .

(1) ظ: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : د. محمد عبد الرحمن الشايع : 140

(2) المزهري في علوم اللغة : 402 / 1

(3) الكتاب : 24 / 1

وانقسم العلماء إزاء ظاهرة الترادف على قسمين بين مثبت ومنكر لها وممن أثبتوا وقوعه في اللغة سيبويه والأصمعي (ت 216 هـ) (1) والمبرد (2) وعلي بن عيسى الرماني (ت 384) (3) وابن جني (4) وغيرهم .

أمّا من المنكرين فتصدرهم ابن درستويه (ت 347 هـ) (5) وابن فارس (6) وأبو هلال العسكري (ت 404 هـ) (7) ومن حججهم التي ردوا بها على من ذهب إلى وقوع الترادف القول بوجود فروق دلالية لا يمكن تجاهلها بين الألفاظ التي قيل بترادفها وتسمية الشيء الواحد بأسماء عديدة كما جاء في ذكر أسماء السيف وغيرها ما هي إلا من قبيل الصفات (8) ، أمّا المحدثون فقد تصدى الدكتور رمضان عبد التواب لمحاولات المنكرين لوقوع الترادف في اللغة (9) . ويتضح مما تقدم أنه لا سبيل لإنكار الترادف على الرغم من أنه لا توجد كلمة قادرة على أن تحل محل الأخرى في سياق معين إلا أنه من الممكن أن تحل محلها وتؤدي دلالتها نسبياً (10) .

وأنّ للترادف شروطاً ذكرها اللغويون أهمها الاتفاق التام بين اللفظتين ، اتحاد اللفظتين من ناحية العصر والبيئة اللغوية وألا يكون أحد اللفظتين نتيجة التطور الصوتي (11) . أمّا أسبابه فتتلخص في أمور تعود إلى اللهجات والتطور الدلالي للألفاظ والمجاز وتعدد صفات الاسم الواحد (12) وأنّ الذي ذهب إليه اللغويون من وقوع الترادف في اللغة لا ينطبق على النص القرآني ، وصرح بذلك طائفة من العلماء (13) الذين أنكروا وقوع الترادف في ألفاظ القرآن .

-
- (4) ظ: ما اختلفت ألفاظها واتفقت معانيه : الأصمعي : 9- 12
 - (5) ظ: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : 2
 - (6) ظ: الألفاظ المترادفة : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني : 8
 - (7) ظ: الخصائص : 151 / 2
 - (8) ظ: تصحيح الفصح : عبد الله بن جعفر بن درستويه : 50
 - (9) ظ: الصحابي : 4 - 5
 - (10) ظ: الفروق اللغوية : 1
 - (11) ظ: الصحابي : 114
 - (12) ظ: فصول في فقه اللغة العربية : د. رمضان عبد التواب : 313
 - (13) ظ: المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة : د. علي زوين : 80
 - (1) ظ: الاعجاز البياني في القرآن ومسائل نافع بن الأزرق : د. عائشة عبد الرحمن : 210 ، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : 29
 - (2) ظ: الترادف في اللغة : د. حاكم مالك الزيادي : 80- 175
 - (3) ظ: مفردات غريب القرآن : 6

الكريم ، ولعل إنكارهم متأتٍ من امتناع وقوع الترادف في التراكيب وقد تنبه إلى ذلك العلماء من القدماء⁽¹⁾ والمحدثين⁽²⁾ .

وقد اعتنى ابن عطية بظاهرة (الترادف) وتناولها في مواضع كثيرة من تفسيره إلا أنه لم يذكر مصطلح (الترادف) واستغنى عنه بذكر عبارة المعنى الواحد ومن الألفاظ التي وقف عندها وذكر أنها من الألفاظ المترادفة :

1. إِيْحَافٌ :-

في معرض حديثه عن لفظة (إِيْحَاف) الواردة في قوله تعالى : ﴿ لِلْمُفْرَاءِ الَّذِيْنَ

أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة

:273) ذكر أنها مرادفة للفظ (إِيْحَاف) يقول : " و (الإلحاف) والإلحاح بمعنى واحد " (3)

ونجد موقفا مماثلا لموقف ابن عطية عند أبي عبيدة (ت 210هـ) يقول : (إِيْحَافَا

أَيِ إِحْحَا) (4) وتبعهم في ذلك المعنى الطبري (ت 310هـ) (5)

والنحاس (ت 338هـ) (6) والألوسي (ت 1270هـ) (7) والشيرازي (8) ، وأن الذي يؤيد هؤلاء

هؤلاء ما ذهب إليه أصحاب المعاجم الذين ذهب بعضهم إلى أن الإلحاف بمعنى الإلحاح (9) .

ويتضح مما تقدم أن الذي يستفاد من كلام ابن عطية بمساواته بين معنى اللفظتين الترادف

بينهما إلا أنه ليس الترادف التام الذي يلغي الفوارق الدلالية بين اللفظتين وإنما هو ترادف ناتج

من التقارب الدلالي بين اللفظتين أي : أن كثرة الإلحاح في طلب الحاجة يؤدي إلى الإلحاف

فالسائل بإلحاحه يلحف المسئول لذلك قيل الإلحاح هو الإلحاف ومن ذلك جاء التعبير القرآني

بلفظة (إِيْحَاف) بدلا من (إِيْحَاف) لما في (الإلحاف) من الشدة والمبالغة في الابتعاد عن سؤال الناس

(4) ظ: المصدر نفسه.

(5) ظ: فقه اللغة : محمد مبارك : 101 المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة : 80

(6) المحرر الوجيز : 1 / 369

(7) مجاز القرآن : 1 / 83

(8) ظ: جامع البيان عن تأويل أي القرآن : 5 / 597

(1) ظ: معاني القرآن : 1 / 303

(2) ظ: روح المعاني: 2 / 3 / 47

(3) ظ: الأمثل : 2 / 236

(4) ظ: العين : 3 / 232 (لحف) ، معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : 5 / 238 (لحف) ، معجم مفردات ألفاظ

القرآن : الراغب الأصفهاني : 2 / 333

وفي ضوء ما تقدم سمي الإلحاح إلحافا تشبيها له بالالحاف الذي يغطي كل شيء⁽¹⁾ ، وبذلك يكون نقل المعنى من كلمة إلى أخرى على سبيل التشبيه بينهما سببا للترادف والقول: إنَّ اللفظتين بمعنى واحد.

2. الْمَسُّ :-

في معرض حديثه عن لفظة (المس) الواردة في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ بَأْنَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (البقرة : 274) ذكر أنها مرادفة لطائفة من الألفاظ وأشار إلى ترادفها بقوله (كذلك) يقول : " و المس الجنون ، وكذلك الأولق والألس والرود "⁽²⁾ ونجد مثل ذلك المعنى عند أبي عبيدة⁽³⁾ والطبرسي⁽⁴⁾ والأصل أنَّ هذه الألفاظ الثلاثة تدل تدل على دلالة واحدة وهي الجنون⁽⁵⁾ .
ويبدو مما تقدم أنَّ ابن عطية قد أشار إلى ترادف هذه الألفاظ وأنها متحدة المعنى إذ إنَّها عبارة عن أمراض نفسية تصيب الإنسان في عقله⁽⁶⁾ تدعى بالجنون .

3. يَرْمُونَ :-

ومن الألفاظ التي أشار إلى كونها بمعنى واحد لفظة (يرمون) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور : 4) يقول : " القذف والرمي بمعنى واحد "⁽⁷⁾ وأشار إلى ذلك المعنى الطوسي (ت 460 هـ) يقول : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

(5) ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 597 / 5 ، المحرر الوجيز : 369 / 1 ، روح المعاني: مج 2 / 47 / 3

(6) المحرر الوجيز : 372 / 1

(7) ظ: مجاز القرآن : 83 / 1

(8) ظ: مجمع البيان: 669 / 2

(9) ظ: العين : 213 / 5 (ولق) ، تهذيب اللغة : 4 / 321 (ألس) ، 3 / 274 (ألق)

(10) ظ: الأمثل : 236 / 2

(1) المحرر الوجيز : 164 / 4

المُحْصَنَاتِ ﴿ أي يقذفون العفاف من النساء بالزنا والفجور ... ﴾⁽¹⁾ ولم يخرج عن دائرته كل من الطبرسي⁽²⁾ والطباطبائي يقول : (الرمي معروف ثم استعير لنسبة أمر غير مرضي إلى الإنسان كالزنا والسرقة وهو القذف)⁽³⁾ .
والظاهر من النص أن أصل القذف هو الرمي ، وأكد هذه الحقيقة أصحاب المعاجم فأشاروا إلى أن القذف هو الرمي والعكس صحيح ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَمْزِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ ﴾ (سبأ : 48) أي يرمي بالحق .⁽⁴⁾

وفي ضوء ما تقدم أن ابن عطية قال بترادف لفظتي (رمى وقذف) وهذا الذي ذهب إليه طائفة من المفسرين وأصحاب المعاجم ، وجاء التعبير القرآني بلفظة (رمي) بدلا من (قذف) في سياق الآية الكريمة لأن " (الرمي) مؤذ كالرمي بالحجر والسهم فلما كان قول القاذف مؤذيا جعل رميا "⁽⁵⁾ من هنا جاء التعبير القرآني بلفظة (رمي) التي تعد أكثر إنسجاما مع سياق الآية الكريمة .

4- شِرْعَةٌ وَمِنْهَاجٌ :-

ومن الألفاظ التي أشار إلى كونها بمعنى واحد لفظتي (شرعة ومنهاج) الواردتين في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة : 48) يقول : " والمتأولون على أن الشرعة والمنهاج في هذه الآية لفظان بمعنى واحد "⁽⁶⁾ ونجد مثل ذلك الموقف عند الطوسي⁽⁷⁾ الطوسي⁽⁷⁾ والطبرسي⁽⁸⁾ والآلوسي⁽⁹⁾ والطباطبائي⁽¹⁾ .

(2) التبيان في تفسير القرآن : 408 / 7

(3) ظ: مجمع البيان: 198 / 7

(4) الميزان في تفسير القرآن : 87 / 15

(5) ظ: العين : 119 / 5 (قذف) ، معجم مقاييس اللغة : 68 / 5 (قذف) ، لسان العرب : 277 / 9

(قذف) ، 327 / 5 (رمى) ، الميزان: 78 / 15

(6) المحرر الوجيز : 164 / 4

(1) المحرر الوجيز : 210 / 2

(2) ظ: التبيان : 543 / 3

(3) ظ: مجمع البيان: 313 / 3

(4) ظ: روح المعاني : 153 - 152 / 6 / 3

ويبدو مما تقدم أنّ ابن عطية قد قال بترادف لفظتي (شرعة ومنهاجا) وتنبه على ذلك طائفة من علماء اللغة الذين قالوا بترادفهما وأنّهما بمعنى واحد⁽²⁾ ، وإنّما كرر اللفظتين في الآية الكريمة للتأكيد وذلك مثلما قالوا أقوى وأقفر والنأي والبعد في قول الحطيئة:⁽³⁾

الأحبّذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأي والبعدُ
قالوا : فالنأي هو البعد⁽⁴⁾

إذ كان كلاهما يدل على الفراق والبعد فكذلك لفظتي (شرعة منهاجا) فكلاهما يدلان على الطريق لذلك قيل بترادفهما ، إلا أنّ إتحادهما في المعنى لا يخلو من الفروق الدلالية فيما بينهما فقد قيل بترادفهما لدالاتهما على الطريق عامة إلا أنّ الشرعة هي ابتداء الطريق ، والمنهاج هو الطريق المستمر المعبد المأمون⁽⁵⁾ .

المبحث الثالث :- المشترك اللفظي :-

يعد من المظاهر اللغوية التي حظيت بعناية الدارسين من القدماء والمحدثين لكونها من المظاهر اللغوية البارزة في اللغة العربية واللغات الأخرى ، وعرّف المشترك ابن فارس : (أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر)⁽⁶⁾ و قال الأصوليون (بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)⁽⁷⁾ وذكر الدكتور صبحي الصالح هذا التعريف وعقب عليه بأنه من أدق التعاريف الذي يمكن أن يعرف بها المشترك اللفظي⁽⁸⁾ .

(5) ظ: الميزان: 6 / 379-380

(6) ظ: العين : 1 / 108 (نهج) ، مقاييس اللغة : 5 / 361 (نهج) ، لسان العرب : 8 / 175-177 (شرع) .

(7) ديوان الحطيئة : تحقيق : د. مفيد محمد قميحة : 71

(8) ظ: المزهري في علوم اللغة : 1 / 318

(9) ظ: التبيان : 3 / 543 ، مجمع البيان: 3 / 313 ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني : 3 / 6 / 152-153 ، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق : د. عائشة عبد الرحمن : 280 .

(1) الصاحبي : 269

(2) المزهري في علوم اللغة : 1 / 369

(3) ظ: دراسات في فقه اللغة : 302

وأن المشترك اللفظي حاله حال المظاهر اللغوية الأخرى أختلف اللغويون في وقوعه في اللغة العربية وانقسموا إزاءه على قسمين ، الأول قال بوقوعه في اللغة ومنهم سيويوه إذ يقول: (اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)⁽¹⁾ ، والمبرد (ت 285هـ)⁽²⁾ وابن فارس (ت 392هـ)⁽³⁾ والسيوطي والسيوطي (ت 911هـ)⁽⁴⁾ ، والآخر ذهب إلى إنكاره ومنهم ابن درستويه (ت 347هـ)⁽⁵⁾ .

بينما ذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي وأحمد مختار عمر إلى تضيق مفهوم المشترك اللفظي في اللغة⁽⁶⁾ ، ومهما يكن فإن المشترك من المظاهر اللغوية التي لا سبيل لإنكارها (لأنه خصيصة لا تنكر من خصائصها الذاتية)⁽⁷⁾ ، وتلبية الحاجة في توليد الدلالات⁽⁸⁾ ، فضلا عن إجماع أكثر علماء اللغة بوقوعه في لغتنا والذي يؤيد ذلك ما روي في الأساليب العربية الصحيحة من شواهد كثيرة ، لا يتطرق إليها الشك⁽⁹⁾ .

أمَّا أسباب وقوعه في اللغة فتعود إلى اختلاف اللهجات العربية والمجاز ، والتبادل الصوتي والتطور الدلالي ، والتشابه في الصيغ الصرفية ، وسوء فهم النص⁽¹⁰⁾ .

إنَّ ما تقدم يخص وقوع المشترك في اللغة ، أمَّا مسألة وقوعه في القرآن الكريم فقال بها

علماء اللغة⁽¹¹⁾ والمفسرون وكان من بينهم ابن عطية في (المحرر الوجيز) الذي نجد ذلك في تفسيره ويتضح من إشاراته الكثيرة إلى ظاهرة المشترك أنه من القائلين بها وذكر مصطلح (المشترك) في مواضع كثيرة من تفسيره ، سوف نشير إليها ونقف عند طائفة من الألفاظ التي قال باشتراكها بدلالات كثيرة خارج السياق وتحددت دلالتها داخل السياق لما له من دور في رفع الغموض والتعقيد بسبب اشتراك الألفاظ بدلالات كثيرة وأشار إلى ذلك ستيفن أولمان يقول : (إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقا تاما فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي تقع فيه)⁽¹²⁾ ، ومن هذه الألفاظ التي أشار إليها ابن عطية لفظة :

1. أُمَّة :

-
- (4) الكتاب : 24 / 1
 - (5) ظ: ما اتفقت ألفاظه واختلف معناه في القرآن المجيد : 3
 - (6) ظ: الصاحبى : 114
 - (7) ظ: المزهري في علوم اللغة : 369 / 1
 - (8) ظ: تصحيح الفصيح : 166 - 167
 - (9) ظ: فقه اللغة : 190 ، وعلم الدلالة : 156
 - (10) دراسات في فقه اللغة : 302
 - (11) ظ: اللحن في اللغة العربية : يوسف أحمد المطوع : 15
 - (12) ظ: المشترك اللفظي : د. توفيق محمد شاهين : 70
 - (13) ظ: المزهري في علوم اللغة : 381 / 1
 - (1) ظ: ما اتفقت ألفاظه واختلف معناه : 2
 - (2) دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان : 60

أشار ابن عطية إلى طائفة من الدلالات التي تشترك فيها لفظة (أمة) الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَهَمَّ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل: 120) يقول : " و ﴿ أُمَّةٌ ﴾ لفظة مشتركة تقع للعين والقامة والجمع الكثير من الناس ثم يشبه الرجل العالم أو الملك أو المنفرد بطريقة وحده بالناس الكثير فيسمى ﴿ أُمَّةٌ ﴾ ... " (1) ومن ثم يرجح أحد تلك الدلالات المناسبة لسياق الآية الكريمة ، مثلما أشار إلى أن لفظة (أمة) الواردة في الآية السابقة تدل على الرجل المنفرد بطريقة وحده من بين الناس ، وذكر العلماء (2) دلالات هذه اللفظة .

ويتضح مما تقدم أن ما ذهب إليه ابن عطية وأكده العلماء أن لفظة (أمة) من ألفاظ المشترك اللفظي التي تشترك بطائفة من الدلالات خارج السياق وتنصرف إلى واحدة منها حين استعمالها في السياق الذي ترد فيه .

2. مولى :-

تعد لفظة (مولى) من ألفاظ المشترك اللفظي التي ذكر لها ابن عطية طائفة من الدلالات التي تشترك فيها خارج السياق يقول : " والمولى في كلام العرب : لفظة يشترك فيها القريب والقرابة ، والصديق ، والحليف ، والمعتمق ، والمعتمق ، والوارث ، والعبد ... " (3) والظاهر أن ابن عطية كان يعول كثيرا على السياق في تحديد دلالات الألفاظ ذات الدلالات المشتركة ونجد ذلك واضحا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

(3) المحرر الوجيز : 430 / 3

(4) ظ: مفردات ألفاظ القرآن : 27- 28، بصائر ذوي التمييز : الفيروزآبادي: 79 / 2 ، لسان العرب : 27 / 12)

أمم (1) المحرر الوجيز : 46/2

وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيحَتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ (النساء : 33)

يقول : " ويحسن هنا من هذا الاشتراك الورثة ، لأنها تصلح على تأويل (ولكل أحد) ، وعلى تأويل ، (ولكل شيء) وبذلك فسر قتادة والسدي وابن عباس وغيرهم أن (الموالي) العصابة والورثة ، قيل : لما أسلمت العجم سموا موالي استعارة وتشبيهاً وذلك في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ

﴾ (الأحزاب: 5) وقد سمي قوم من العجم ببني العم⁽¹⁾ ونلاحظ ابن عطية بعد أن عرض لطائفة من الدلالات التي تشترك فيها لفظة (مولى) عاد ليذكر لنا الوجه الذي يفرضه السياق العام للآية وهو أن الموالى هم الورثة وهو بذلك يرجح قول قتادة و السدي ابن عباس وقال بهذا الطبري (ت 310 هـ)⁽²⁾ والطبرسي (ت 548 هـ)⁽³⁾ وابن الجوزي (ت 597 هـ)⁽⁴⁾ والقرطبي (ت 671 هـ)⁽⁵⁾ ، وأن الذي ذكره ابن عطية هو أقرب المعاني وأكثرها انسجاماً مع سياق الآية الكريمة .

بينما ذكر ابن عطية دلالة أخرى في آية أخرى للفظ (مولى) وذلك في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ

بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (محمد : 11)

يقول : " والمولى الناصر المولى " ⁽⁶⁾ ونجد مثل ذلك المعنى عند الزمخشري يقول : (مولى الذين آمنوا ، وليهم وناصرهم)⁽⁷⁾ وتبعه في ذلك المعنى كل من الطبرسي⁽⁸⁾ والآلوسي⁽⁹⁾ وغيرهم ، وقد استمد ابن عطية دلالة هذه اللفظة من السياق الذي وردت فيه وجعلها تنصرف إلى ذلك المعنى دون سواه من المعاني .

3. الرب :-

(2) المصدر نفسه .
(3) ظ: جامع البيان عن تأويل أي القرآن : 5/5
(4) ظ: مجمع البيان: 3/66
(5) ظ: زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي : 1/2/45
(6) ظ: جامع لأحكام القرآن : 3/5/166-167
(1) المحرر الوجيز : 5/113
(2) الكشاف: 1/536
(3) ظ: مجمع البيان: 9/151
(4) ظ: روح المعاني: 3/5/21

من أفاظ المشترك اللفظي الذي أشار إليها ابن عطية في تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الفاتحة : 2) وذكر لها وجوها كثيرة ومن وجوها التي ذكرها ابن

عطية يقول : " والرب في اللغة : المعبود والسيد المالك والقائم بالأمر لما يفسد منها
والملك تأتي اللفظة لهذه المعاني ... " (1) ووردت هذه الوجوه في مصنفات علماء اللغة (2)
وعزز هذه الوجوه المذكورة بالشواهد الشعرية التي تؤكد حقيقة استعمالها بهذه الدلالات في
كلام العرب ومن هذه الوجوه التي ذكرها ابن عطية معززا إياها بالشاهد الشعري هي :

أ- مما جاء بدلالة الرب المعبود يقول : (فمما جاء بمعنى المعبود قول الشاعر (غاوي عبد
الغزي) : (3)

أربُّ يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالبُ " (4)
(4)»

ب- ومما جاء بمعنى السيد المالك : إذ يقول : " ومما جاء بمعنى السيد المالك قولهم : رب العبيد
والمماليك " (5)

ج- ومما جاء بمعنى القائم بالأمر إذ يقول : " ومما جاء بمعنى القائم بالأمر الرئيس فيها قول
ليبيد : (6)

وأهلكن يوماً ربَّ كندة وابنة وربُّ معدَّبين خبَّت وعزعرِ
(7)»

د- مما جاء بمعنى الملك إذ يقول : " ومما جاء بمعنى الملك قول النابغة : (8)

تخبُّ إلى النعمان حتى تناله فِدَى لك من ربِّ طريفٍ وتالدي " (9)
(9)»

(5) المحرر الوجيز : 67 / 1

(6) ظ: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية : أبو حاتم الرازي : 27 / 2 ، الزاهر : 87 - 88

(7) أدب الكاتب : ب : ابن قتيبة : 183 ، ورد البيهقي في قوله :
(أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب) .

(8) المحرر الوجيز : 67 / 1

(9) المصدر نفسه .

(10) ديوان ليبيد بن ربيعة العامري : 69

(11) المحرر الوجيز : 67 / 1

(1) ديوان النابغة الذبياني : 59

(2) المحرر الوجيز : 67 / 1

هـ- ومما جاء بمعنى الإصلاح إذ يقول : " ومن معنى الإصلاح قولهم : أديم مربوب، أي: مصلح
قال الفرزدق: (1)

كَانُوا كَسَالَةً حَمَقَاءَ إِذْ حَقَنْتُ سِلَاءَهَا فِي أَدِيمٍ ٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ ...
(2)»

وفي ختام الحديث ذكر أن " هذه الاستعمالات قد تتداخل ، فالرب على الإطلاق الذي هو
ربُّ الأرباب على كل جهة هو الله تعالى " (3) .

والظاهر مما تقدم أن ابن عطية ذكر طائفة من الدلالات التي تحملها لفظة (الرب)
وجميعها كانت مستعملة في كلام العرب وأشعارهم وجاءت في القرآن الكريم تدل على دالتين :
إحدهما : دلالتها على الرب الخالق المعبود سبحانه وذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الفاتحة : 2) ، وأشار الطوسي (ت 460 هـ) إلى أن دلالة لفظة (الرب)
على الخالق تكون بطريقتين :

أ- حين يكون مجردا من الإضافة يقول : (ولا يطلق هذا الاسم إلا على الله) (4) .
ب- حين يكون صفة (ولا يصح الصفة به إلا على الإطلاق) (5) .

الثانية : دلالتها على السيد الملك ومنه قوله تعالى على لسان النبي يوسف (عليه السلام) : ﴿ أَمَّا

أَحَدُكُمْمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا ﴾ (يوسف:41) يقول ابن عطية : " و(الرب) على هذا التأويل -

الملك " (6) .

4. حرد :

(3) ديوان الفرزدق : 117

(4) المحرر الوجيز : 67 / 1

(5) المصدر نفسه .

(6) التبيان : 32 / 1

(7) المصدر نفسه : 493 / 5

(8) المحرر الوجيز : 247 / 3

من ألفاظ المشترك اللفظي التي تحتل أكثر من معنى وأشار إليها ابن عطية في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَدُوا عَلَىٰ حَزْدٍ قَادِرِينَ ﴾ (القلم : 25) وذكر لهذه المفردة طائفة من الدلالات ، التي أكدها علماء اللغة في مصنفاتهم⁽¹⁾ وعزز هذه الوجوه المذكورة بالشواهد الشعرية الشعرية التي تؤكد حقيقة استعمالها بهذه الدلالات في كلام العرب ومن هذه الوجوه :

أ- دلالة لفظة (حرد) على المنع : إذ يقول : " وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ حَزْدٍ ﴾ يحتمل أن يريد على منع من قولهم : حاردت الإبل ، إذ قلت ألبانها فمنعتها ، وحاردت السنة ، إذ كانت شهباء لا غلة لها ، ومنه قول الشاعر (الكميت) :

وحاردت النكد الجراد لم يكن لعقبة قدر المستعيرين معقب ⁽²⁾

⁽²⁾

ب- وذكر دلالة لفظة (حرد) على القصد إذ يقول : " ويحتمل أن يريد بالحرد القصد ، وبذلك فسر بعض اللغويين وأنشد عليه القرطبي :

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الحبة المغلاة
أي يقصد قصدها⁽³⁾

ج- وذكر دلالة لفظة (حرد) على الغضب يقول : " ويحتمل أن يريد بالحرد ، الغضب ، يقال : حرد الجل حرداً إذا غضب ، ومنه قول الأشهب بن رميلة :

أسود شرى لاقت أسوداً خفية تساقوا على حرد دماء الأساود ⁽⁴⁾

⁽⁴⁾

ويتضح مما تقدم أنّ لفظة (حرد) تحمل هذه الدلالات عند ابن عطية وحين تستعمل في سياق معين يظهر المعنى المقصود منها ، لذا نجده يحتج لكل حالة فيها بما يلائمها والراجح أنّها في الآية تعني المنع بقوة ويدل على ذلك سياق الآية الكريمة والمعنى : (وغدوا وكانوا أنفسهم وفي ظنهم قادرين على منع المساكين)⁽⁵⁾ وأنكر الطبري دلالتها على المنع في الآية الكريمة ورجح دلالتها على القصد⁽⁶⁾ وهي في القرآن الكريم ذات دلالة على المنع .

(1) ظ: مفردات ألفاظ القرآن : 162 ، أساس البلاغة : 120 (حرد) ، لسان العرب : 3 / 144 (حرد) .

(2) المحرر الوجيز : 350 / 5

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

(5) التفسير الكبير : الإمام محمد بن عمر الفخر الدين الرازي : 89 / 30

(6) ظ: جامع البيان عن تأويل القرآن : 19 / 29

5. الهدى :-

تعد من ألفاظ المشترك اللفظي التي لها أكثر من وجه وأشار إليها ابن عطية في

تفسير قوله تعالى : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۙ ﴾ (الفاتحة : 6) ومن هذه الوجوه :

أ- دلالة لفظة (الهدى) على الإرشاد يقول: " والهداية في اللغة الإرشاد ، لكنها تنصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد ، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد"⁽¹⁾ .

ب- دلالة لفظة (الهدى) على خلق الإيمان يقول: " فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (البقرة : 5) ... "⁽²⁾

ج- دلالة لفظة (الهدى) على الدعاء يقول : " وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى : 52) أي داع ... "⁽³⁾

د- دلالة لفظة (الهدى) على الإلهام يقول : " وقد جاء الهدى بمعنى الإلهام من ذلك قوله تعالى : ﴿ أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه : 50) ... "⁽⁴⁾

هـ- دلالة لفظة (الهدى) على البيان يقول : " وقد جاء الهدى بمعنى البيان ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ (فصلت : 17) ... "⁽⁵⁾

وعقب ابن عطية على هذه الوجوه التي تحتملها لفظة (الهدى) يقول : " وفي هذا كله معنى الإرشاد "⁽⁶⁾ وقد أشار إلى ذلك المعنى الطبري⁽⁷⁾ (ت 310 هـ) والطوسي (ت 460 هـ)⁽⁸⁾

(8)

(1) المحرر الوجيز : 73 / 1

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

(5) المصدر نفسه .

(6) المصدر نفسه .

(7) ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 169 / 1

(8) ظ: التبيين : 319 / 2

والزمخشري (ت 538هـ)⁽¹⁾ والقرطبي (ت 671هـ)⁽²⁾ والنسفي (ت 710هـ)⁽³⁾ وأبو حيان
حيان الأندلسي (ت 745هـ)⁽⁴⁾ والطباطبائي⁽⁵⁾ وغيرهم وأكد ذلك المعنى علماء اللغة⁽⁶⁾.

ويبدو مما تقدم أنّ ابن عطية ذكر الوجوه التي تحتلها لفظة (الهدى) وأشار إلى دلالتها
في قوله تعالى ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة : 6) على الإرشاد ، تمكن بذلك
من تجريدها من كل الدلالات التي دلت عليها خارج السياق الآية الكريمة بأسلوب بليغ ودقيق
وغاية في الإيجاز ، غير أنّه استعان بالدلالة اللغوية التي جاءت بها لفظة (الهدى) ودلت
فيها على الإرشاد ومن ثم استند إلى السياق الذي وردت فيه لفظة (الهدى) ليجعل منه قرينة
تؤكد صحة رأيه فأشار إلى أنّ لفظة (الصراط)⁽⁷⁾ التي تعني (الطريق) كان لها أثر بالغ
في إثبات صحة مذهبه في دلالة لفظة (الهدى) على الإرشاد وبذلك يكون المعنى العام للآية
هو أرشدنا إلى الطريق المستقيم الذي ننال به مغفرتك ورضاك .

(1) ظ: الكشف: 57/1

(2) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 183 /1

(3) ظ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل : 7/1

(4) ظ: البحر المحيط : 143/1

(5) ظ: الميزان في تفسير القرآن : 13 /1

(6) ظ: لسان العرب : 59-58/15

(7) ظ: المحرر الوجيز : 73/1

المبحث الرابع :- الأضداد :-

خصيصة من خصائص اللغة العربية التي تدل على مرونتها وقدرتها على استيعاب المعاني والتنوع في الاستعمال وربما هذا ما يميزها عن سائر اللغات الحية⁽¹⁾ ، ويكون فيها اللفظ (يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون والجلل وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين)⁽²⁾ وقد وقف علماء اللغة القدامى على ظاهرة (الأضداد) في اللغة العربية وأولوها اهتماما كبيرا ولعل أول إشارة لها ظهرت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي في معرض حديثه عن مادة (شعب) فقد ذكر لها معنيين متضادين قال : (هذا من عجائب الكلام وواسع اللغة العربية أن يكون الشعب تفرقا ويكون اجتماعا وقد نطق به الشعر)⁽³⁾ .

ويمكننا عدّ خصيصة التضاد نوعا من المشترك اللفظي بيد أن اللفظة الواحدة لا تدل على دلالات متعددة كما هو الحال في المشترك بل ترتبط فيه دلالة اللفظ الواحد بمعنيين متضادين وأكد ذلك السيوطي الذي أفرد بابا في كتابه (المزهر) في (معرفة الأضداد) يقول فيه إن الأضداد (نوع من المشترك)⁽⁴⁾ وأكد ما ذهب إليه بما نقله عن أهل الأصول وغيرهم الذين ذهبوا إلى أن (المشترك يقع على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على ضدين (كالجون) و (الجلل) ، وما يقع على مختلفين غير ضدين (كالعين))⁽⁵⁾ .

واختلف اللغويون في وقوع التضاد في اللغة العربية وذهب معظمهم إلى وقوعه في اللغة وألفوا بخصوصه طائفة من المصنفات من أمثال الفراء (ت 207 هـ) وأبو عبيدة (ت 210 هـ) والأصمعي (ت 216 هـ) وأبو عبيدة القاسم بن سلام (ت 224 هـ) و ابن السكيت (ت 244 هـ) وأبو حاتم السجستاني (ت 255 هـ) وابن قتيبة (ت 276 هـ) وغيرهم .⁽⁶⁾ بينما أنكروه آخرون ومنهم ابن درستويه (ت 347 هـ) فألف كتابا سماه (في إبطال الأضداد)⁽⁷⁾ الأضداد⁽⁷⁾ وغيره .

(1) ظ: دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : 313

(2) المزهر في علوم اللغة : 387/1

(3) العين : 262/1 (شعب)

(4) المزهر في علوم اللغة : 387/1

(5) المصدر نفسه .

(6) ظ: الأضداد في اللغة : محمد حسين آل ياسين : 312

(7) ظ: تصحيح الفصيح : 22

ومهما يكن من أمر فإنه من التعسف إنكار الاشتراك والتضاد في العربية إذ إنهما من المظاهر اللغوية المعروفة والتي لها اثر كبير في نمو اللغة وتطورها ولا سيما أنّ الضدية نوع من العلاقة

بين المعاني وربما تكون أقرب إلى ذهن الإنسان من أي علاقة أخرى فكل كلمة عند نطقها تثير بطبيعتها دلالاتها المضادة في الذهن فعندما نقول : (إعلان) يتبادر الى أذهاننا الإسرار ومثلها الجون الذي تدل على الأبيض والأسود وهكذا لذلك إننا نجد تراثنا من كلام العرب وأشعارهم وإلى جانبها أرقى نص عرفته العربية على مدى الأزمان والعصور القرآن الكريم الذي لا يكاد يخلو من ظاهرة التضاد (1) ، وقد قال ابن عطية بوقوع التضاد في القرآن الكريم ونجد ذلك عند وقوفه عند طائفة من الألفاظ التي جاء ذكرها في تفسيره لطائفة من الآيات القرآنية ومنها :

1. ظن :-

أشار ابن عطية إلى ضدية لفظة (ظن) الواردة في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ

أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة : 46) يقول : " ويظنون في هذه الآية قال :

معناه يوقنون " (2) وذكر ما ذهب إليه المهدي في دلالة لفظة (ظن) يقول : " وحكى المهدي وغيره : أنّ الظن هنا يصح أن يكون على بابه ومضمّر في الكلام بذنوبهم فكأنهم يتوقعون لقاءه مذنبين" (3) فعقب على ما ذهب إليه المهدي قائلا : " وهذا تعسف ، والظن في كلام العرب قاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقديه ، وقد يوقع الظن موقع اليقين في الأمور المتحققة ، لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس ، لا تقول العرب في رجل مرئي حاضرا أظن هذا إنسانا وإنما تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس بعد ، كهذه الآية وكقوله تعالى : ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّواقِعُهَا﴾

(الكهف : 53) ، وكقول دريد بن الصمة : (4)

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجِّجٍ سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ " (5)

"(5)

(1) ظ: فصول في فقه اللغة العربية : 361 ، فقه اللغة العربية : 152

(2) المحرر الوجيز : 138 / 1

(3) المصدر نفسه .

(4) جمهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : 61/1

(5) المحرر الوجيز : 138/1

ونجد موقفا مماثلا لموقف ابن عطية في ضدية لفظة (ظن) عند الطوسي (ت460هـ) إذ يقول: (قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: 46) آية بلا خلاف كيف أخبر الله عن وصفه بالخشوع بالطاعة ومدحهم بذلك بأنهم يظنون بأنهم ملاقو ربهم وذلك مناف لصفة المدح؟ قلنا: الظن المذكور في الآية المراد بها العلم واليقين ... (1) وتبعه على ذلك المعنى الطبرسي (2) والطباطبائي (3) والشيرازي (4).

وفي ضوء ما تقدم نجد أنّ ابن عطية فيما سبق جعل وقوع الفعل (ظن) موقع اليقين مشروطا باستعماله فيما لم يخرج إلى الوجود بعد وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله: "ولكن العبارة بالظن لا تجيء أبدا في موضع يقين قد قاله الحسن، بل أعظم درجة أن يجيء في موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون ... " (5) ونجد هذا واضحا في (سورة يوسف) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ﴾ (يوسف: 42) ذكر ابن عطية دلالة (ظن) على اليقين؛ في الآية المتقدمة الذكر يقول: "الظن هاهنا بمعنى اليقين، لأن ما تقدم من قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (يوسف: 41) يلزم ذلك وهو يقين فيما لم يخرج بعد إلى الوجود ... " (6) فدلّت (ظن) هنا على اليقين لأن المظنون لم يتحقق بعد أي: أنّ الرجل الذي نبأه النبي يوسف (عليه السلام) بالنجاة لم تتحقق نجاته بعد وسأله يوسف (عليه السلام) أن يذكره عند ربه. ومن ثم انتقل من بيان دلالة (ظن) على العلم والإدراك إلى دلالتها الأخرى التي دلّت فيها على الشك وذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (النجم: 23) يقول: "﴿الظَّنَّ﴾ الظن ميل النفس إلى أحد معتقدين متخالفين دون أن يكون ميلها بحجة ولا برهان" (7)

(1) التبيين: 204/1

(2) ظ: مجمع البيان: 219/1

(3) ظ: الميزان: 153/1-154

(4) ظ: الأمثل: 168/2-169

(5) المحرر الوجيز: 524/3

(6) المصدر نفسه: 524/3

(7) المصدر نفسه: 207/5

ويتضح أنّ (الظن) في الآية جاءت للدلالة على الشك وذلك بخلاف ما دلت عليه في الآيات المتقدمة من العلم والإدراك .

وفي ضوء ما تقدم نجد أنّ ابن عطية قال بضدية الفعل (ظن) الذي دل على اليقين والشك ولكنه شرط دلالتها على العلم والإدراك في مواضع لم تخرج إلى الواقع بعد ، وعزز صحة ما ذهب إليه بآيات الذكر الحكيم الذي أثبت بها صحة مذهبه في دلالة (ظن) .

وأن الذي تبين لنا مما تقدم أنّ للسياق دورا كبيرا في تحديد دلالة (ظن) وذكر هذا طائفة من علماء اللغة والتفسير⁽¹⁾ وخرج على هذا الإجماع في دلالة (ظن) على التضاد طائفة من المحدثين ومنهم الدكتور إبراهيم السامرائي الذي علل إنكاره لضديتها يقول : (إنّ الضدية لم تثبت لهذا الفعل أمّا ما ذهبوا إليه فهو مستفاد من الآية الكريمة كما سيأتي فلا يسوغ لمنكلم أن يجزى الفعل على هذا النحو من اشتماله على التضاد)⁽²⁾ وأضاف إلى ما ذهب إليه من إنكاره ضدية (ظن) أنّ استقراء معاني الفعل (ظن) يدلنا على معانٍ أخرى لها غير متضادة أي أنّها من المشترك وأيده في ذلك الدكتور محمد حسين آل ياسين الذي أكد أنّ ضدية (ظن) مستقاة من افتراض عقيدي وليست من الفعل نفسه إذ يقول : (لأنه كما يظهر غير قائل بتغيير معنى الفعل في هذه الآية ، ومهما يكن من أمر فإن جميع المعاني التي ألصقت بالفعل مستفادة من خارج مادته الأصلية ، إذ هي تدور مع فكرة النص وتغير مفهومه لدى المفسرين والعلماء)⁽³⁾ وعلى الرغم من ذلك أننا لا نستطيع إنكار ضدية (ظن) لأن الأصل اللغوي له هو الشك ولأن؛ الشواهد العربية قد جمعت بين دلالة (ظن) على الشك واليقين .

2. عفا :-

ذكر أهل اللغة أنّ (عفا) من ألفاظ الأضداد وقد أشار ابن عطية إلى ذلك في معرض

حديثه عن تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا

الصَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾ (الأعراف : 95)

(1) ظ: الأضداد : الأصمعي : 34 ، الأضداد : ابن السكيت : 188 ، الأضداد : أبو حاتم السجستاني : 76-77
جامع البيان عن تأويل أي القرآن : 626/1 ، الأضداد : ابن الأنباري : 14-16 ، مقاييس اللغة : 3/462 ، مجمع
البيان 1/100 ، 5/78

(2) التطور اللغوي التاريخي : د. إبراهيم السامرائي : 99

(3) الأضداد في اللغة : 530

يقول : " و ﴿حَتَّىٰ عَفْوًا﴾ : معناه : حتى كثروا يقال عفا النبات والريش (يعفو) إذا كثرت نباته ،

ومن هذا المعنى قول الشاعر : (1)

ولكنَّها يعِضُ السيفُ منها بأسوقِ عافياتِ الشحمِ كـوم

وعليه قوله صلى الله عليه وسلم (أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى) (2) وعفا أيضا في اللغة بمعنى درس وبلى فقال بعض الناس هي من الألفاظ التي تستعمل للضدين ، وأمّا قول زهير : (3)

على آثارٍ من ذهبِ العفاءِ

فيحتمل ثلاثة معانٍ الدعاء بالدرس ، والإخبار به ، والدعاء بالنمو والنبات ... " (4) وقد أشار إلى

ذلك المعنى الطوسي (ت 460 هـ) (5) والزمخشري (ت 538 هـ) (6) والطبرسي (ت 548 هـ) (7)

والشيرازي يقول : (﴿عَفْوًا﴾) من مادة عفوا التي تكون أحيانا بمعنى الكثرة وأحيانا بمعنى

الترك والإعراض ، وتارة تكون بمعنى محو آثار الشيء ولكن لا يبعد أن يكون أصل جميع تلك

الأمر هو الترك ، غاية ما هنالك قد يترك شيء لحاله حتى يتجذر ، ويتوالد ويتناسل ويزداد

وربما يترك حتى يهلك وينهدم تدريجياً وشيئاً فشيئاً ولهذا جاء معنى الزيادة والهلاك معاً (8) ، إلا

إلا أن أغلب علماء اللغة قالوا بضديتها (9) وكان ابن عطية تابعاً لهم في ذلك وأخذ عنه ذلك

القرطبي (ت 671 هـ) (10) والشوكاني (ت 1250 هـ) (11) وأشاروا له في تفاسيرهم .

ويتبين مما تقدم أن من التعسف إنكار ضدية لفظة (عفا) بحجة مفادها أن الأصل اللغوي

لها هو (الترك) وإنما أصابها نوع من التطور الدلالي فصارت تدل على المحو والكثرة ، ومن

الذين أنكروا ضديتها بحجة أصلها اللغوي ابن فارس يقول : (ت 395 هـ) يقول : (العين والفاء

(1) ديوان لبيد بن ربيعة العامري : 186 ورد البيت في الديوان :

() ولكننا نعض السيف منها بأسوق عافيات اللحم كوم)

(2) صحيح مسلم : 1 / 222

(3) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : الأعم الشنتمري : 65 ، ورد البيت في الديوان :

(تحمل أهلها منها فيانوا على آثار من ذهب العفاء)

(4) المحرر الوجيز : 431 / 2 - 432

(5) ظ: النبيان : 4 / 475

(6) ظ: الكشاف: 2 / 125

(7) ظ: مجمع البيان: 4 / 695

(8) الأمثل : 5 / 113

(9) ظ: الأضداد : ابن الأنباري : 86 ، الزاهر : 535 - 536 ، المخصص : 3 / 265

(10) ظ: الجامع لأحكام القرآن : 7 / 252 - 253

(11) ظ: فتح القدير: 2 / 290

والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما على ترك الشيء والآخر على طلبه... وقول القائل: عفا درس وعفا ، كثر وهو من الأضداد – ليس بشيء ، إنما المعنى ما ذكرناه ، فإذا ترك ولم يتعهد

حتى خفي على مر الدهر فقد عفا ، وإذا ترك فلم يقطع ولم يحز فقد عفا ، والأصل في كله الترك (1) .

ويتضح مما تقدم أنه من الممكن أن تتطور الألفاظ باتجاهين متضادين لأن الأضداد ما هي إلا نتيجة طبيعية للتطور الدلالي فضلا عن أنها لا تعود إلى أصل وضعها اللغوي وإنما تعود إلى طبيعة استعمالها(2) ، وأشار إلى ذلك المعنى المتقدم الدكتور إبراهيم السامرائي يقول : (ومن هذا هذا أن فكرة التضاد تكون نتيجة التطور في الاستعمال ونتيجة الجديد في الدلالة) (3) .
ونفهم من ذلك أن التطور الدلالي للألفاظ لا يكون عائقا في وجه ضديتها بل على العكس تماما وذلك لأن التضاد ما هو إلا نتيجة من نتائجه(4) .

3. أسرّ :-

من الألفاظ التي نقل العلماء دلالتها على التضاد لفظة (أسرّ) الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (الأنبياء : 3) يقول : " ومعنى ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ تكلموا بينهم في السر والمناجاة بعضهم لبعض ، وقال أبو عبيدة : ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ أظهروا وهو من الأضداد (5) " (6) وذكر دلالتها على التضاد علماء اللغة ومنهم الأصمعي(7) وابن الانباري(8) وأبو الطيب اللغوي(9) وخرج على هذا الإجماع في ضدية الفعل (أسر) أبو حاتم السجستاني (ت255هـ) (10) وتابعه الطوسي (ت460هـ) منكرًا لدلالتها على التضاد يقول : (والمعنى أن الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وجحدهم أنبيائه وأخفوا القول فيما بينهم ... وقال قوم : معناه أظهروا هذا القول لأن لفظة

(1) مقاييس اللغة : 4/ 56- 58 (عفو)

(2) ظ: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : د. حامد كاظم عباس : 206 ، ظاهرة التضاد الدلالي في القرآن الكريم وأثرها : د. حامد الصالح : 192 (بحث انترنت)

(3) التطور التاريخي : 98

(4) ظ: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : 57

(5) ظ: مجاز القرآن: 34/2

(6) المحرر الوجيز : 74/4

(7) ظ: الأضداد : الأصمعي : 21

(8) ظ: الأضداد : ابن الانباري : 45

(9) ظ: الأضداد : أبو الطيب : 354/1

(10) ظ: الأضداد : أبو حاتم السجستاني : 114

﴿وَأَسْرُوا﴾ مشتركة بين الإخفاء والإظهار والأول أصح⁽¹⁾ وتبعه في ذلك المعنى من المحدثين

الدكتور محمد حسين آل ياسين الذي نسب القول بالتضاد إلى التصحيف والخلط بين لفظتي (أسرَّ وأسرَّ) (بالشين التي تعني الإظهار⁽²⁾) وسار على خطاه الدكتور كاصد الزبيدي في إنكار ضدية (أسرَّ)⁽³⁾.

وعلى الرغم من إنكار هؤلاء العلماء دلالة الفعل على الإظهار ، فإنه يبدو في بعض السياقات محتملاً هذا المعنى فحين تقول : (أسررت لك القول) يعني أظهرته لك وأخفيته عن غيرك ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (يونس : 54) وأسررت الشيء أخفيته وأعلنته ، وأسررت إلى فلان ، يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء⁽⁴⁾.

والراجح أن اللفظ فيه معنى التضاد ، وقولك : (أسرَّ إليَّ فلان) يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء.

4. شرى :-

أشار طائفة من علماء اللغة أن لفظة (شرى) من الأضداد وهي تدل على البيع والشراء معا وذكر ذلك ابن عطية عندما وقف عند قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ

ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة : 207) يقول : " و ﴿يَشْرِي﴾ معناه يبيع

ومنه ﴿وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾ (يوسف : 20) ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميري⁽⁵⁾:

وشريتُ برداً ليتني من بعد بردٍ كنتُ هامه!

ومن هذا تسمى الشراة كأنهم الذين باعوا أنفسهم من الله تعالى وحكى قوم أنه يقال شرى بمعنى اشترى ، ويحتاج إلى هذا من تأول الآية في صهيبي ، لأنه اشترى نفسه بماله ولم يبيعها اللهم إلا أن يقال إن عزم صهيبي على قتالهم بيع لنفسه من الله تعالى فتستقيم اللفظة على معنى

(1) التبيان في تفسير القرآن : 398/8

(2) ظ: الأضداد في اللغة : 161

(3) ظ: فقه اللغة العربية : 158-159

(4) ظ: المفردات في ألفاظ القرآن : 344 ، بصائر ذوي التمييز : 206 /3 ، المزهر في علوم اللغة : 391 /1

(5) طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي : 88/1

باع ... " (1) وقد أشار أبو عبيدة إلى هذا المعنى يقول : ﴿ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ (بييعها) (2) ونقل عنه الطوسي (3) والطبرسي (4) والشيرازي (5) هذا المعنى ، وقال بدلالاتها على التضاد الأصمعي وأبو حاتم السجستاني وابن السكيت وابن الأنباري (6) وعزا أبو الطيب دلالة (شرى) على البيع إلى لغة فاضرة حي من بني أسد (7) .

(والشراء والبيع في الأصل يدلان على التبادل وهما مما يتلبس فيهما نسبة الفعل إلى فاعله ويعد (جينز) أن ذلك من آثار الثقافة على الأغلب – بأن تباينت الكلمات التي تدل في الأصل على معنى واحد) (8) وعلى ذلك يكون التضاد في لفظة (شرى) ناتجا من تداخل اللغات ، وإلا فإن شريت بمعنى بعث هو الأكثر (9) .

5. خفا :-

لفظة (خفا) ذكر طائفة من أهل اللغة أنها من ألفاظ الأضداد إلا أن ابن عطية خالفهم في ذلك عندما وقف على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

تَسْعَى ﴾ (طه : 15) يقول : " وقرأ ابن كثير وعاصم ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ بفتح الهمزة بمعنى

أظهرها أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونه تكاد تظهر لكن تتحجب إلى الأجل المعلوم والعرب تقول خفيت الشيء بمعنى أظهرته ... قال أبو علي : المعنى أزيل خفاءها ، وهو ما تلف

به القرية ونحوها ، وقرأ الجمهور ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ بضم الهمزة ، واختلف المتأولون في معنى الآية

فقال فرقة : معناه أظهرها وأخفيت من الأضداد وهذا قول مختل ، وقالت فرقة معناه ، ﴿ أَكَادُ

أُخْفِيهَا ﴾ من نفسي على معنى العبارة من شدة غموضها على المخلوقين ، فقالت فرقة :

المعنى ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ وتم الكلام بمعنى ﴿ أَكَادُ ﴾ أنفذها لقربها وصحة وقوعها

(1) المحرر الوجيز : 281 / 1

(2) مجاز القرآن : 70 / 1

(3) ظ: التبيان : 183 / 2

(4) ظ: مجمع البيان : 535 / 1

(5) ظ: الأمثل : 47 / 2

(6) ظ : ثلاثة كتب في الأضداد : الأصمعي : 9 ، أبو حاتم السجستاني : 106 ، ابن السكيت : 185

الأضداد : ابن الأنباري : 72

(7) ظ: الأضداد : أبو الطيب اللغوي / 1 397 ، ظ: لهجة قبيلة أسد : 238

(8) الأضداد في اللغة : 268

(9) ظ: مفردات ألفاظ القرآن : 381 ، بصائر ذوي التمييز : 316/3

ثم استأنف الإخبار بأن يخفيها ، وهذا قلق ، وقالت فرقة ﴿ أَكَادُ ﴾ زائدة لا دخول لها في المعنى بل تضمنت الآية الإخبار بأن الساعة آتية وأن الله يخفي وقت إتيانها عن الناس ، وقالت فرقة ﴿ أَكَادُ ﴾ بمعنى أريد ، فالمعنى أريد إخفاءها عنكم ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ ...

وقد تقدم هذا المعنى ، وقالت فرقة ﴿ أَكَادُ ﴾ على بابها بمعنى أنها مقاربة ما لم يقع ، لكن الكلام جار على استعارة العرب ومجازها ، فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاء أمر القيامة ووقتها وكان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس بالغ قوله تعالى في إبهام وقتها فقال ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ حتى لا تظهر البتة ولكن ذلك لا يقع ولا بد من ظهورها ، هذا تلخيص هذا المعنى الذي أشار إليه بعض المفسرين وهو الأقوى عندي ، ورأى بعض القائلين بأن المعنى ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ من نفسي ما في القول من القلق فقالوا معنى من نفسي من تلقائي ومن عندي وهذا رفض للمعنى الأول ورجوع إلى هذا القول الذي اخترناه أخيراً فتأمله .⁽¹⁾ وأشار ابن عباس إلى هذا المعنى يقول : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ قال : أي لا أظهر عليها أحدا غيري⁽²⁾ وفي حديث آخر له يقول : (معناه لا تأتيكم إلا بغتة)⁽³⁾ وقال مجاهد : (إن معنى الآية أكاد أخفيها من نفسي)⁽⁴⁾ وتابعهم الطباطبائي⁽⁵⁾ في هذا المعنى بيد أن علماء اللغة قالوا بضديتها ومنهم الأصمعي يقول : (وأخفيت الشيء كتمته وأخفيته : أظهرته ، وفي القرآن : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (طه : 15) أي : أظهرها)⁽⁶⁾

ويتضح مما تقدم أن ابن عطية أنكر ضدية الفعل (خفا) الواردة في الآية المتقدمة الذكر ورد من قال إن معناها أظهرها كما رد من قرأ بقراءة فتح الهمزة يقول : " ... هذا قول مختل"⁽⁷⁾ ورجح ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد من أن (أخفى) تدل على الستر والكتمان لموعد الساعة وذلك لأن كتمانها أهيب على النفوس من إعلانها وإظهارها وتبعه في ذلك طائفة

(1) المحرر الوجيز : 40/4

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 113 / 16

(3) المصدر نفسه .

(4) تفسير مجاهد : 154

(5) ظ : الميزان : 57/14

(6) الأضداد : الأصمعي : 21 ، الأضداد : ابن السكيت : 117 ، الأضداد : أبو حاتم السجستاني : 115 الأضداد

في كلام العرب : 190/1

(1) المحرر الوجيز : 40 / 4

من المحدثين ومنهم الطباطبائي⁽¹⁾ والشيرازي⁽²⁾ فقالا بدلالة (خفا) على الستر والخفاء لوقت قيام الساعة وإنَّ علة خفائها واضحة في سياق الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه : 15) وأنكر ضديتها الدكتور محمد حسين آل ياسين ذاكرا (أن ما أوهم الأضداديين بوجود التضاد هو تصورهم أنَّ هذه همزة السلب التي قلبت المعنى لأنَّ خفا المجرد لا يعني إلا الإظهار)⁽³⁾ ويبدو مما تقدم أنَّ لا حجة لمن يزعم أنَّ لفظة (خفا) من حروف الأضداد وأنها جاءت في الآية بـضد معناها المعروف⁽⁴⁾ ، إلا على قراءة من قرأها بفتح الهمزة وذلك لأنَّ اختلاف حركاتها قد يتبعه اختلاف في دلالتها .

(2) ظ: الميزان: 152/14 - 153

(3) ظ: الأمثل : 473 /9 - 474

(4) الأضداد في اللغة : 191

(5) ظ: ظاهرة التضاد الدلالي في القرآن الكريم : 176 (بحث انترنت)

الختامة

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث في مسيرته الهادفة إلى إماطة اللثام عن مواطن الدلالة في تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) هي:

1- ظهر من خلال البحث أن كثيرا من علماء التفسير قد أفادوا مما ورد في تفسير ابن عطية من آراء وأفكار ونقلوها ولم يشر كثير منهم إليها مما يدل على سعة علمه وقدرته الفكرية الكبيرة حيث ترك أثرا كبيرا فيمن جاء بعده .

2- إن تفسير (المحرر الوجيز) لم يضع له صاحبه ابن عطية هذه التسمية وإنما وضعت هذه النسخة بعد تأليفه وتنسب المصادر وضعها إلى ملا كاتب حلبى المتوفى سنة (1067 هـ) .

3- تميز تفسيره من غيره من التفاسير بكثافة العلوم المنبثقة فيه ، وبمنهجه الذي لم يسبق إليه سابق إذ وقف على الأحكام الشرعية وبين المعاني اللغوية والاصطلاحية فيه ووقف طويلا عند قراءته وحرص على توجيه معظمها ونقحه من الشوائب والأسرائليات وعمل جاهدا على تخطي التفسيرات الباطنية والأشارية والرمزية أما منهجه في التفسير كان واضحا وجليا إذ كان شديد النزعة إلى تفسير القرآن بالقرآن والمأثور أما منهج التفسير بالرأي فكان شديد الحذر منه ولم يأخذ منه إلا الصحيح .

4- إن ابن عطية قد تأثر في مجال التفسير بما جاء عن أبي عبيدة والطبري والطوسي والزمخشري إلا أنه لم يقف من تأثره موقف الناقل بل أتفق معهم فيما يستحق الاتفاق ، وخالفهم في كثير من المواضع خاصة الطبري والنقاش فقد ردّ الكثير من آرائهم في تفسيره .

5- إن مذهبه في مجال الصوت والنحو كان بصريا حيث تابع سيويوه وأبا عبيدة وأبا علي الفارسي وابن جني .

6- ثبت من خلال البحث أن ابن عطية لم يعن بدراسة الأصوات من حيث المخارج والصفات وإنما درسها من حيث ائتلافها مع بعضها في بنية المفردات وقد أشار إلى امتلاك الأصوات قيمة تعبيرية تؤدي إلى إحداث تغيير دلالي في معاني المفردات حين يتم إبدالها أو تغييرها – وفي ضوء هذا فهو من الذين يؤمنون بوجود قيمة معنوية للصوت تؤثر في بنية المفردات .

7- كان ابن عطية يولي السياق أهمية كبيرة وهو يبحث عن دلالة الألفاظ لإدراكه ما للسياق من أثر كبير في تحديد دلالة الألفاظ التي ترد في الآيات القرآنية .

8- أظهر البحث قدرته في تقصي مواطن الدلالة في رصده للظواهر الصرفية في تفسيره إذ تنبه إلى الزيادات التي تعترى الصيغ وتؤدي إلى تغير المعنى ، ومثال ذلك صيغ الفعل المزيد التي تؤدي إلى تغير المعنى ، ولكن مواضع الدلالة فيها كانت لا تتناسب مع الكم الهائل من تلك الظواهر التي جاء بها التفسير .

9- أثبت البحث أن ابن عطية كان مدركا لأثر الدلالة التركيبية وذهب إلى أنها تقوم على جانبين نحوي وبلاغي فيتأزران مع بعضهما البعض ليكسبا النص حيوية وقدرة على التعبير عن المعنى المراد .

10- عنيّ ابن عطية بدلالات الألفاظ إذ وقف على تطورها الدلالي عبر العصور التي مرت بها مع الإشارة إلى أصولها التي انبثقت منها مستشهدا بما جاء عن العرب من شعر ونثر . هذه كانت وقفة عند أهم النتائج التي توصل إليها البحث وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصادر البحث ومراجعته

مصادر البحث ومراجعته

﴿ أ ﴾

- ﴿ أ ﴾ خير ما نبدأ به القرآن الكريم :-
- ﴿ أ ﴾ أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم : صديق بن حسن خان القونجي البخاري (ت 1307 هـ) : تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 1999 م .
- ﴿ أ ﴾ الإبدال : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت351 هـ) ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، 1380 هـ - 1961 م .
- ﴿ أ ﴾ ابن جني عالم العربية : الدكتور حسام النعيمي : دار الشؤون الثقافية ، بغداد الطبعة الأولى ، 1990 م .
- ﴿ أ ﴾ أبنية الصرف في كتاب سيبويه : الدكتورة خديجة الحديثي ، جامعة بغداد ، مكتبة النهضة بغداد . (د . ت)
- ﴿ أ ﴾ أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره : نورة الشمالان ، شركة الطباعة العربية السعودية الرياض ، 1400 هـ . (د . ط)
- ﴿ أ ﴾ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد ابن محمد عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت1117 هـ) ، تحقيق : الشيخ أنس مهرة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، (د . ت) .
- ﴿ أ ﴾ الأتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . (د . ت) .
- ﴿ أ ﴾ أثر اللسانيات في النقد العربي : توفيق الزبيدي ، دار العربية للكتاب ، 1984 م .

- 📖 الإحاطة في أخبار غرناطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ) : تحقيق الدكتور يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ - 2003 م .
- 📖 أدب الكاتب : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1382 هـ - 1963 م .
- 📖 أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) : دار صادر بيروت ، 1399 هـ - 1979 م .
- 📖 أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) : تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر مصر ، الطبعة السادسة 1379 هـ - 1959 م .
- 📖 الأشباه والنظائر: مقاتل ابن سليمان (ت 150 هـ) : تحقيق: عبد الله محمود شحاته القاهرة ، 1975 م .
- 📖 الاشتقاق : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321 هـ) : تحقيق : عبد السلام هارون ، مؤسسة الخانجي مطبعة السنة المحمدية ، 1378 هـ - 1968 م .
- 📖 إصلاح المنطق : ابن السكيت يوسف بن إسحاق (ت 244 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ - 2002 م .
- 📖 الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : لجنة البيان ، مصر ، الطبعة الثالثة 1961 م .
- 📖 الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي . (ت 316 هـ) : تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1972 م
- 📖 الأضداد : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ) : تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة ، صيدا - بيروت ، 1407 هـ - 1987 م .
- 📖 الأضداد في اللغة : محمد حسين آل ياسين : مطبعة المعارف بغداد ، 1394 هـ - 1974 م .

📖 الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت351هـ) ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ، 1963 .

📖 الإعجاز البياني ومسائل نافع ابن الأزرق : الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء دار المعارف ، القاهرة - مصر 1391 هـ - 1971م .

📖 الاعجاز القرآني أسلوباً ومضموناً : الدكتور شلتاغ عبود ، دار المرتضى بيروت الطبعة الأولى ، 1413 هـ - 1993 م .

📖 إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (ت 311هـ) : تحقيق : إبراهيم الإيباري مطبعة سلمان الفارسي ، قم ، 1406 هـ - ق .

📖 الأعلام : خير الدين الزر كلي : كوستانتسوماس وشركاه ، الطبعة الثانية 1374هـ - 1148م .

📖 الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية .

📖 الألفاظ المترادفة : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) : تحقيق : محمد محمود الرافعي ، محمد محمود الشنقيطي ، مطبعة ومكتبة المحمودية (د . ت) .

📖 الأمثل في تفسير الكتاب العزيز : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة البعثة بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1992م .

📖 الانتصاف في حاشية الكشاف للزمخشري : أحمد بن المستنير (ت 683هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ - 1997م .

📖 الأنصاف في مسائل الخلاف : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الانباري النحوي (ت 577هـ) : تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد محمود توفيق ، 1945 م .

📖 أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الرابعة ، بيروت - لبنان 1429 هـ - 2008م .

📖 أوزان الفعل ومعانيها : د. هاشم طه شلاش : مطبعة الآداب ، النجف الأشرف 1971 م .

📖 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه هداية السالك : أبو محمد عبد بن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د . ت) .

📖 الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إمام الدين أبي حفص عمر القزويني الشافعي (ت739 هـ) : تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت الطبعة الخامسة ، 1400هـ - 1980م

﴿ ب ﴾

📖 بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي : مؤسسة الوفاء ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة المصححة ، 1403هـ - 1983م .

📖 البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، 1428هـ - 2007م .

📖 البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية (د . ت) .

📖 بصائر ذوي التمييز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ) تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان (د . ت) .

📖 بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس : أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت599هـ) : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1417هـ .

﴿ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) : تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1426هـ - 2005م .

﴿ بلاغات النساء : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت 280 هـ) ، انتشارات مكتبة الحيدرية ، المطبعة شريعت - قم ، الطبعة الثانية ، 1378 .

﴿ البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع : د. أحمد مطلوب ، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الطبعة الأولى ، 1400هـ - 1980م .

﴿ البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ) ، تحقيق : حسن السندوبي المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، 1932 م

﴿ ت ﴾

﴿ تاج العروس من جواهر القاموس : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الجنفي (ت 1205هـ) : تحقيق : علي شيري ، دار الفكر 1414هـ - 1994م

﴿ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ) : تحقيق : الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان (د . ت) .

﴿ تاريخ بغداد أو مدينة السلام : الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) : تحقيق : أحمد أمين الخانجي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1349هـ - 1931م .

﴿ تاريخ قضاة الأندلس : ابن حسن النباهي (ت 739هـ) ، تحقيق : الدكتورة مريم قاسم الطويل : دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415هـ - 1995م .

﴿ تأويل مشكل القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت 276 هـ) تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان الطبعة الثانية ، 1428هـ - 2007 م .

- 📖 التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان (د . ت) .
- 📖 التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : لابن الزمكاني (ت 651 هـ) تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي- ساعدت وزارة التربية والتعليم على طبعه، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى ، 1383 هـ - 1964 م .
- 📖 تذكرة الحفاظ : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة . (د . ت) .
- 📖 الترادف في اللغة : الدكتور حاكم مالك الزيايدي ، دار الرشيد ، 1980 م .
- 📖 تصحيح الفصح : عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت 347 هـ) : تحقيق عبد الله الجبوري مطبعة الإرشاد - بغداد ، الطبعة الأولى ، 1975 م .
- 📖 التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة د. عودة خليل أبو عودة : الأردن - الزرقاء (د . ت) .
- 📖 التطور اللغوي التاريخي : الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 1401 هـ - 1981 م .
- 📖 التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي ، دار الزهراء إيران ، الطبعة الأولى 1387 ش - 1439 ق .
- 📖 التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ) : ضبطه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1983 م .
- 📖 التفسير الفقهي عند ابن عطية : د. عبد السلام محمد أبو سعد ، ليبيا جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2007 م .
- 📖 تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) : دار الأندلس للطباعة ، بيروت (د . ت) .
- 📖 التفسير الكبير : الإمام محمد بن عمر الفخر الدين الرازي (ت 606 هـ) ، الطبعة الثانية (د . ت)

📖 تفسير غريب القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، 1378هـ - 1958م .

📖 تفسير مجاهد : مجاهد بن جبر المخزومي أبو الحجاج (ت 104هـ) : تحقيق أبو محمد الأسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426هـ - 2005م .

📖 تفسير مقتنيات الدرر : الحاج مير سيد علي الحائري الطهراني : مطبعة الحيدري بطهران ، 1338 هـ ش .

📖 التقديم والتأخير في القرآن الكريم : حميد أحمد عيسى ، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية " ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ، 1996م .

📖 تهذيب الكمال في أسماء الرجال : جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت 742 هـ) : تحقيق : الدكتور. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2002م .

📖 تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370 هـ) : محمد عوض مرعب عمر السلامي ، عبد الكريم حامد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان الطبعة الأولى ، 1421هـ - 2001م .

📖 التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ) بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 1426هـ - 2005م .

﴿ ث ﴾

📖 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : الرماني (ت 384هـ) والخطابي (ت 388هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) : تحقيق محمد خلف الله أحمد : د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة (د . ت) .

📖 ثلاثة كتب في الأضداد : الأصمعي (ت 216 هـ) و السجستاني (ت 248 هـ)
وابن السكيت (ت 244 هـ) ويليها ذيل في الأضداد للصغاني : تحقيق : الدكتور أوغست
هفتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (د . ت) .

﴿ ج ﴾

📖 جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، 1373 هـ - 1954 م .
📖 الجامع الصحيح سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي
(ت 279 هـ) : تحقيق : محمد شاكر و آخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . (د .
ت) .

📖 الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ)
تحقيق : أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان 1996 م .

📖 الجملة العربية والمعنى : الدكتور فاضل صالح السامرائي دار الفكر ، عمان الطبعة
الثانية ، 1430 هـ - 2009 م .

📖 جمهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، (توفي في حدود
170 هـ) ، دار صادر بيروت ، 1383 هـ - 1963 م .

📖 جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) : تحقيق : محمد أبو الفضل
إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الحديثة مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ، 1384 هـ - 1964 م .

📖 جمهرة اللغة : ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري
(ت 321 هـ) ، مكتبة المثنى بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب (د . ت) .

﴿ ح ﴾

📖 حاشية الصبان على شرح الأشموني : الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي (ت1260هـ) : تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م .

📖 حجة القراءات : الأمام الجليل أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت403هـ) : تحقيق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، 1399هـ - 1979م .

📖 الحجة في القراءات السبع : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت370هـ) تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية 1428هـ - 2007م .

📖 الحجة للقراء السبعة : أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار علي الفارسي (ت377هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1431هـ - 2001م

📖 الحدود في النحو (ضمن رسالتان في اللغة): أبو الحسن علي بن عيسى الرماني تحقيق وتعليق وتقديم : إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان 1984م .

﴿ خ ﴾

📖 الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) : تحقيق : عبد الحميد هندراوي دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1424هـ - 2003م .

﴿ د ﴾

📖 الدر المنثور في التفسير المأثور وهو مختصر ترجمان القرآن : جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية : 1424هـ - 2004م .

📖 دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الرابعة عشر ، 2000م .

📖 درة الغواص في أوهام الخواص : أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت516 هـ) (د . ت) .

📖 الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني : الدكتور تراث حاكم مالك الزيادي مكتبة المثقف ، باب المعظم ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ، 1429 هـ - 2008 م .

📖 دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : د. محمد ياس خضر الدوري : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1427 هـ - 2006 م .

📖 دلائل الاعجاز في علم المعاني : الأمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471 هـ) : تحقيق : السيد محمد رشيد رضا ، شركة الطباعة الفنية المتحدة مصر 1381 هـ - 1961 م .

📖 دلالات التراكيب : الدكتور محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، عابدين القاهرة الطبعة الرابعة ، 1429 هـ - 2008 م .

📖 دلالة الألفاظ : الدكتور إبراهيم أنيس ، مطبعة محمد عبد الكريم حسان القاهرة 2004 م .

📖 الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : الدكتور حامد كاظم عباس : بغداد الطبعة الأولى ، 2004 م .

📖 دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان ، ترجمة الدكتور كمال بشر ، الناشر مكتبة الشباب ، 1975 م .

📖 الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي (ت 799 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان .

📖 ديوان الحطية : برواية وشرح ابن السكيت : تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1424 هـ - 2003 م .

📖 ديوان الأخطل : غياث بن غوث (ت 90 هـ) تحقيق عبد الرحمن المصطفى ، دار المعرفة دار بيروت - لبنان (د . ت) .

📖 ديوان الأدب : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت350هـ) : تحقيق :

الدكتور أحمد مختار عمر ود. إبراهيم أنيس ، مطبعة الأمانة ، مصر ، 1976م .

📖 ديوان الأعشى : ميمون بن قيس بن جندل (ت 7 هـ) : تحقيق : فوزي عطوي

الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت- لبنان (د . ت) .

📖 ديوان الحطية : تحقيق : الدكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي

الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان (د . ت) .

📖 ديوان الراعي النميري : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل (ت90هـ) ، تحقيق

الدكتور واضح الصمد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1416هـ - 1995م .

📖 ديوان الطرماح : الطرماح بن حكيم بن الحكم (ت125 هـ) ، تحقيق : الدكتور عزة

حسن : وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي مطبوعات إحياء التراث القديم دمشق

1388هـ - 1968م .

📖 ديوان العباس بن مرداس : تحقيق : الدكتور يحيى الجبوري المؤسسة العامة

للصحافة والطباعة دار الجمهورية ، بغداد ، 1388هـ - 1968م .

📖 ديوان الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي (ت110 هـ) الدكتور

صلاح الدين الهواري : دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2007م .

📖 ديوان المفضلين : أبو العباس المفضل بن محمد الضبي (ت168 هـ) ، شرح أبي

محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري : تحقيق : كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الأدباء

اليسوعيين بيروت ، 1920م .

📖 ديوان النابغة : قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري (ت50هـ)

الدكتور علي بو ملح ، دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1991م .

📖 ديوان النابغة الذبياني : قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري

(ت50هـ) : تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة

والنشر ، بيروت ، 1379هـ - 1960م .

📖 ديوان امرئ القيس : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت 80 ق هـ) : دار صادر بيروت (د . ت) .

📖 ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري (ت 54 هـ) ، دار صادر بيروت (د . ت) .

📖 ديوان شعر ذي الرمة : غيلان بن عقبة العدوي (ت 117 هـ) : تحقيق كارليل هنري هيس مكارنتي ، مطبعة كلية كمبريج ، 1337 هـ - 1919 م .

📖 ديوان عمرو بن كلثوم : عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب (ت 40 ق هـ) تحقيق : الدكتور عمر فاروق الطباع دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع لصاحبها أحمد أكرم الطباع ، بيروت - لبنان (د . ت) .

📖 ديوان عنتره بن شداد : عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي (ت : 22 ق هـ) تحقيق : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1388 هـ - 1968 م .

📖 ديوان لييد بن ربيعة العامري : لييد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري (ت 41 هـ) : تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ، 1417 هـ - 1997 م .

📖 ديوان لييد بن ربيعة العامري : لييد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري (ت 41 هـ) : دار صادر بيروت (د . ت) .

﴿ ر ﴾

📖 رسائل في النحو واللغة : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ت(384 هـ) تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ، يوسف يعقوب مسكوني ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1388 هـ 1969 م .

📖 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 1270 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1480 هـ - 1987 م .

﴿ ز ﴾

📖 زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597 هـ) : تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان الطبعة الثالثة ، 1422 هـ - 2002 م .

📖 الزاهر : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ) تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، 1399 هـ .

📖 الزينة في الكلمات الإسلامية : الرازي أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322 هـ) مطبعة القاسم الرسالة ، مصر ، 1957 م .

﴿ س ﴾

📖 السبعة في القراءات : أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت 324 هـ) : تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1400 هـ .

📖 سر صناعة الأعراب : أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) : دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت - لبنان ، 1428 هـ - 2007 م .

📖 سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، 1413 هـ - 1993 م .

﴿ ش ﴾

📖 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت 1360 هـ) : تحقيق : عبد المجيد خيالي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ - 2003 م .

📖 شذا العرف في فن الصرف : الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي (ت 1315 هـ) : تحقيق : الدكتور عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة ، 1428 هـ - 2007 م .

- 📖 شرح ابن عقيل : عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت 769 هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة عترت ، طهران ، الطبعة الرابعة 1385 ش .
- 📖 شرح أدب الكاتب : أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن الخضر بن محمد البغدادي اللغوي الشهير بالجواليقي (ت 539 هـ) : تحقيق : السيد مصطفى صادق الرافعي ، مطبعة القاهرة ، 1350 هـ .
- 📖 شرح المفصل للزمخشري : موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلية (ت 643 هـ) : تحقيق : الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ، 1422 هـ - 2001 م .
- 📖 شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي : أبو حجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري (ت 476 هـ) : تحقيق : إبراهيم نادن ، الدكتور محمد بن شريفة الطبعة الأولى ، 1425 هـ - 2004 م .
- 📖 شرح ديوان المتنبي : عبد الرحمن البرقوقي : مطبعة الاستقامة القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1357 هـ - 1938 م .
- 📖 شرح ديوان امرئ القيس : حسن السندوبي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1373 هـ - 1953 م .
- 📖 شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري : مطبعة مصر (د . ت) .
- 📖 شرح شافية ابن الحاجب : الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي (ت 686 هـ) : تحقيق : محمد نور الحسن محمد الزقراف ، محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (د . ت) .
- 📖 شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري (ت 761 هـ) ، مطبعة الستارة ، الطبعة الثالثة . (د . ت) .

📖 **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** : أبو الحسين أحمد ابن فارس (ت 395 هـ) : تحقيق : مصطفى الشويمي ، بيروت - لبنان ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، 1382 هـ - 1963م .

📖 **الصاح تاج اللغة وصحاح العربية** : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ) : تحقيق : أحمد عبد الغفور عطاء ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة 1404 هـ - 1984م .

📖 **صحيح البخاري** : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) ، مركز الدراسات والإعلام دار أشبيليا (د . ت) .

📖 **صحيح مسلم** : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261 هـ) مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر ، 1380 هـ - 1960م .

📖 **الصلة** : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت 578 هـ) : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب (د . ت) .

📖 **الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن** : د. محمد فريد عبد الله ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ، 2008م .

﴿ ط ﴾

📖 **طبقات المفسرين** : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت 945 هـ) تحقيق : عبد السلام عبد المعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1422 هـ - 2002م

📖 **طبقات المفسرين** : أحمد بن محمد الأندروني : تحقيق : سليمان بن صالح الخزي السعودية ، مكتبة العلوم والحكم ، 1417 هـ .

📖 **طبقات المفسرين** : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت 911 هـ) طهران ، 1960م .

📖 **طبقات فحول الشعراء** : محمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ) : تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (د . ت) .

﴿ ظ ﴾

📖 ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : د. طاهر سليمان حمودة الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية (د. ت) .

﴿ ع ﴾

📖 علم الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : لجنة البيان ، مصر ، الطبعة الثالثة 1961م .

📖 علم الدلالة : الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2006م

📖 علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي : الأستاذ الدكتور هادي نهر ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، الطبعة الأولى ، 1429 هـ - 2008م .

📖 علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي : لجنة البيان ، مصر ، الطبعة الخامسة 1382هـ - 1962م .

📖 علم اللغة العام : محمود السعران : دار المعارف بمصر ، 1962م .

📖 العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) : تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ، 1408هـ - 1988م .

﴿ غ ﴾

📖 غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين أبي محمد بن محمد الجزري (ت833هـ) : تحقيق : ج . برجستراسر ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1351هـ - 1932م .

﴿ ف ﴾

📖 فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني (ت 1250 هـ) : تحقيق : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
(د . ت) .

📖 الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر : الأستاذة رانية محفوظ عثمان الورفلي منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي - ليبيا (د . ت) .

📖 الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) : مكتبة القدسي ، القاهرة 1353 هـ .

📖 الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن: تأليف : الدكتور محمد عبد الرحمن بن صالح الشايح، الطبعة الأولى ، الناشر: مكتبة العبيكان ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، 1414 هـ - 1993 م .

📖 فصول في فقه اللغة العربية :الدكتور رمضان عبد التواب ، دار الحمامي للطباعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1973 م .

📖 فعلت وأفعلت : أبو حاتم السجستاني ، البصرة ، 1979 م (د . ط) .

📖 فقه اللغة وخصائص العربية : محمد مبارك : دار الفكر بيروت ، الطبعة الثالثة 1968 م .

📖 فقه اللغة العربية : د. كاصد الزيدي : 1407 هـ - 1987 م .

📖 فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور عبد الملك ابن محمد الثعالبي (ت 429 أو 430 هـ) : تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الايباري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1357 هـ - 1938 م .

فهرس ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي (ت 546 هـ)
تحقيق : أبو الأجفان ، محمد الزاهي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية
1983 م .

في الأصوات اللغوية : د. غالب فاضل المطلبي ، 1984 م .
في ظلال القرآن : سيد قطب : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الخامسة
1386 هـ - 1967 م .

﴿ ق ﴾

القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ) مؤسسة
فن الطباعة روزين شلهوب (د . ت) .

القراءات القرآنية : الدكتور عبد الصبور شاهين : دار القلم 1966 م .
قضايا لغوية وقرآنية : الدكتور عبد الأمير زاهد ، مطبعة أنوار دجلة ، بغداد
1424 هـ - 2003 م .

قلائد العقيان محاسن الأعيان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي
الشهير بأبن خاقان (ت 529 هـ) : تحقيق : الدكتور حسين يوسف خريوش مكتبة المنار)
د . ت) .

﴿ ك ﴾

الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسبويه (ت 180 هـ) : تحقيق : الدكتور
أميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي ببيضون دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان
الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 1999 م .

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن
عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538 هـ) تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء
التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ - 1997 م .

📖 الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت 1094هـ) : تحقيق عدنان درويش محمد المصري ، الطبعة الثانية ، 1413 هـ - 1992 م .

﴿ ل ﴾

📖 لحن العامة والتطور اللغوي ومظاهره وعلله : الدكتور رمضان عبد التواب ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1967 م .

📖 اللحن في اللغة العربية : يوسف المطوع ، المطبعة العصرية ، الكويت . (د . ت) .

📖 لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرريقي المصري (ت 711هـ) : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1374 هـ - 1955 م .

📖 لهجة قبيلة أسد : الدكتور علي ناصر غالب ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد الطبعة الأولى ، 1989 م .

﴿ م ﴾

📖 ما اتفقت ألفاظه واختلف معناه في القرآن المجيد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت 285هـ) : تحقيق : عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري ، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ، 1350 .

📖 ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه : الأصمعي (ت 216 هـ) : تحقيق : مصطفى سلطان المطبعة الهاشمية ، بدمشق ، 1370 هـ - 1951 م .

📖 مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته : أ. د. عائد كريم علوان الحريزي ، العراق 2008 م .

📖 المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم : الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 2000 م .

📖 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصللي (ت 637 هـ) : تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة مصطفى باب الحلبي وأولاده ، مصر ، 1358 هـ - 1939 م .

📖 المجازات النبوية : الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (ت : 406 هـ) تحقيق : محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ، 1937 م .

📖 مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت 210 هـ) : تحقيق : الدكتور محمد فؤاد سزكين ، مطبعة محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر ، الطبعة الأولى 1374 هـ - 1954 م .

📖 مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) ، دار المعرفة ، إيران ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ - 1986 م .

📖 المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والأيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) : تحقيق : علي النجدي ناصف الدكتور عبد الحلیم النجار ، الدكتور عبد الفتاح إسماعيل الشلبي . (د . ت) .

📖 المحرر الوجيز : أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي (ت 546 هـ) : تحقيق أحمد صادق الملاح ، القاهرة ، 1394 هـ - 1974 م .

📖 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546 هـ) : تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، 1428 هـ - 2007 م .

📖 المخصص : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت 458 هـ) : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (د . ت) .

📖 مدارك التنزيل وحقائق التأويل : الإمام الجليل العلامة أبو البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفي (ت 710 هـ) (د . ت) .

📖 المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : الدكتور رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1405 هـ - 1985 م .

📖 المزهري في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)
تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك ، أحمد أبو الفضل إبراهيم ، محمد علي الجاوي الطبعة
الثالثة ، دار إحياء الكتب العربية . (د . ت) .

📖 مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل : الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي
(ت 1320هـ) : تحقيق : مؤسسة آل البيت " عليهم السلام " لإحياء التراث ، بيروت لبنان
، الطبعة الثانية ، 1408هـ - 1988م .

📖 المستقصى في أمثال العرب : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(ت 538هـ) : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987م .

📖 المشترك اللفظي ، نظريةً وتطبيقاً : توفيق محمد شاهين ، مطبعة الدعوة الإسلامية
القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1980م .

📖 معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ) : تحقيق : محمد
عبد الله نمر عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة ، الطبعة الثانية
1414هـ - 1993م .

📖 معاني الأبنية في العربية : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت
كلية الآداب ، الطبعة الأولى ، 1401هـ - 1981م .

📖 المعاني الثانية في الاسلوب القرآني : د. فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف
الإسكندرية ، 1976 .

📖 معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) : تحقيق : أحمد يوسف
نجاتي ، حمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، 1980م

📖 معاني القرآن : سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف الأخفش
الأوسط : تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة
الأولى ، 1423هـ - 2002م .

📖 معاني القرآن الكريم : الإمام أبو جعفر النحاس (ت : 338هـ) : تحقيق : محمد
علي الصابوني ، الطبعة الأولى ، 1408هـ - 1988م .

📖 معاني القرآن وإعرابه : الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت 311هـ)
تحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي : عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى
1408 هـ - 1988 م .

📖 معترك الأقران : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) : تحقيق : أحمد
شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1408 هـ - 1988 م .

📖 معجم في أصحاب الإمام أبي علي الصديقي : محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن
عبد الله بن عبد الرحمن أبو عبد الله القضاعي البننسي المالكي المعروف بابن الأبار
الأندلسي (ت 658 هـ) ، 1885 م

📖 معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ) : تحقيق
عبد السلام محمد هارون ، دار الإسلامية ، 1410 هـ - 1990 م

📖 مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبو بكر محمد بن علي السكاكي (ت 626 هـ)
تحقيق : الأستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى
1403 هـ - 1983 م .

📖 مفردات ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني
(ت 425 هـ) تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ذوي القربى ، قم الطبعة الرابعة
1383 ش - 1452 ق

📖 المفضليات : أبو العباس المفضل بن محمد الضبي : تحقيق أحمد ، محمد شاعر
عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة . (د . ت) .

📖 المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) : تحقيق : حسن حمد
إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1320 هـ - 1999 م .

📖 مقدمة في أصول التفسير لأبن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت 728 هـ)
تحقيق : الدكتور عدنان زرزور ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1391 هـ
1971 م .

📖 من وحي القرآن : الدكتور إبراهيم السامرائي ، اللجنة الوطنية ، بغداد ، الطبعة
الأولى 1401 هـ - 1981 م .

📖 الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1984هـ) : دار الكتب الإسلامية طهران ، 1379هـ ش .

﴿ ن ﴾

📖 النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : حازم عبد الله خضر ، دار الحرية بغداد ، 1981 م .

📖 نزهة الالباء في طبقات الأدباء: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الانباري (ت 577هـ) : تحقيق : الدكتور . إبراهيم السامرائي ، الطبعة الثانية ، تشرين الثاني ، 1970م .

📖 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ت 885هـ) : برهان الدين ابراهيم ابن عمر البقاعي : تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1424هـ - 2003م

📖 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أديب المغرب أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1401هـ) : تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، الطبعة الأولى ، 1368هـ - 1949م

📖 نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ) ، مطابع كوستانتسوماس وشركاه (د . ت) .

﴿ ه ﴾

هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل باشا البغدادي
مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، 1951م .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(ت911هـ) تحقيق : السيد محمد بدر الدين النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان (د . ت) .

﴿ و ﴾

وفيات الأعيان وأنباء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
آبن خلكان (ت681هـ) : تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر
الطبعة الأولى ، 1367هـ - 1948م .

الرسائل الجامعية

- 📖 أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى القرن الرابع الهجري: كريم حسين ناصح الخالدي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب 1990م .
- 📖 أساليب المجاز في القرآن الكريم : أحمد حمد محسن : أطروحة دكتوراه، كلية الآداب بغداد ، 1410هـ - 1989م .
- 📖 البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ) : ابتهاج كاصد الزيدي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد . ذو القعدة 1424 هـ كانون الثاني - 2004 م .
- 📖 الصورة الفنية في آيات النور في القرآن الكريم : حسن مهاوش العزاوي : رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة الكوفة ، 1420هـ - 1998م .
- 📖 الظواهر الصوتية في كتاب " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " لابن عطية الأندلسي – في ضوء علم اللغة الحديث : عبد القادر سيلا : رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، 1422هـ - 2001م .
- 📖 الظواهر اللغوية في كتب إعجاز القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري : عادل عباس هويدي النصراوي ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، 2006 م .
- 📖 العدول الصرفي في القرآن الكريم (دراسة دلالية) : هلال علي محمود الجحيشي أطروحة دكتوراة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، 1426هـ - 2005م .

📖 المسائل اللغوية والنحوية في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 208هـ) : عبد الكاظم محسن كاظم الياسري ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، النجف ، 1418هـ - 1998م .

البحوث المطبوعة والإتترنت

📖 التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص دراسة تطبيقية : الدكتور زيد خليل القرالة .
www. iugaza. edu. sp – ar – periodical. article .

📖 الدلالة التركيبية بين النحاة العرب والتوليديين التحويليين : يسري الصاوي .
www. ugru . uaeu. ac. ae .

📖 صيغ المشتقات بين الوضع والأستعمال : أ. محمود حسن .
WWW. ARAB ACADEMY. GOV.

📖 ظاهرة التضاد الدلالي في القرآن الكريم وأثرها : د. حامد الصالح .
WWW. YCSR. ORG. DERASAT – YEMENIA. ISSUE . HUSSAIN
– ALSALEH – ALTADAD . PDF.

📖 القرائن اللغوية في الأصوات المفردة في القرآن الكريم : الدكتورة عدويه عبد الجبار
مجلة مآب ، العدد / العاشر ، السنة الثالثة ، 1430هـ - 2009م .

📖 المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة، الدكتور علي زوين مجلة
آفاق عربية، العدد/ الأول، السنة السابعة عشر، 1412هـ - 1992م .

Abstract

this research entitled " the semantic interpretation in muharir al – wajeer by ibn atya the holy Quran interpretation ". is regarded as the common point among several linguistic and semantic issues included in the interpretation after being shattered in various studies of " muharir al – wajeer " this book is regarded as one of the linguistic treasures that included its different levels of sounds, morphology grammar and semantic features that enabled the interpretation of the holy Quran text .

this study put several verses under investigation and analysis .

research is divided into a preface and three chapters the first one " the semantic investigation on the phonetic and phonemic levels". the second one "the structural significance ". the third one " the semantic phenomena ".

the three chapters were followed by the main results that the researcher reached .

they were :-

1. it has been revealed through the research that ibn atya was a multi directions scholar . he was not just an interpreter but a poet ,a writer a scientist , a jurist and linguist .

2. the scientific personality of ibn atya was the interest of many scholars at his time and all those who followed him .
3. many interpreters have made use of what was mentioned in ibn atyas inter- pretation and his opinions .

University of kufa
College of education for girls
Department of the Arabic language



The Semantic Study of Ibn Atya`s

**Interpretation (died 546 A.H.) (AL-Mharir
Al-wajeez Fi tifseer Al-Kitab Al-Aziz)**

A Thesis

Submitted to The council of the College of education for girls
University of Kufa

By

Rusul Abbas Mohammed Sheroozah

In Partial fulfillment of the Requirments for the (M.A.)
Degree in the Arabic language and it`s Literature

Supervised by

Prof.Dr. Abdul-Kadhim Muhsin al-yasiri

2011 A.D

1432 A.H.